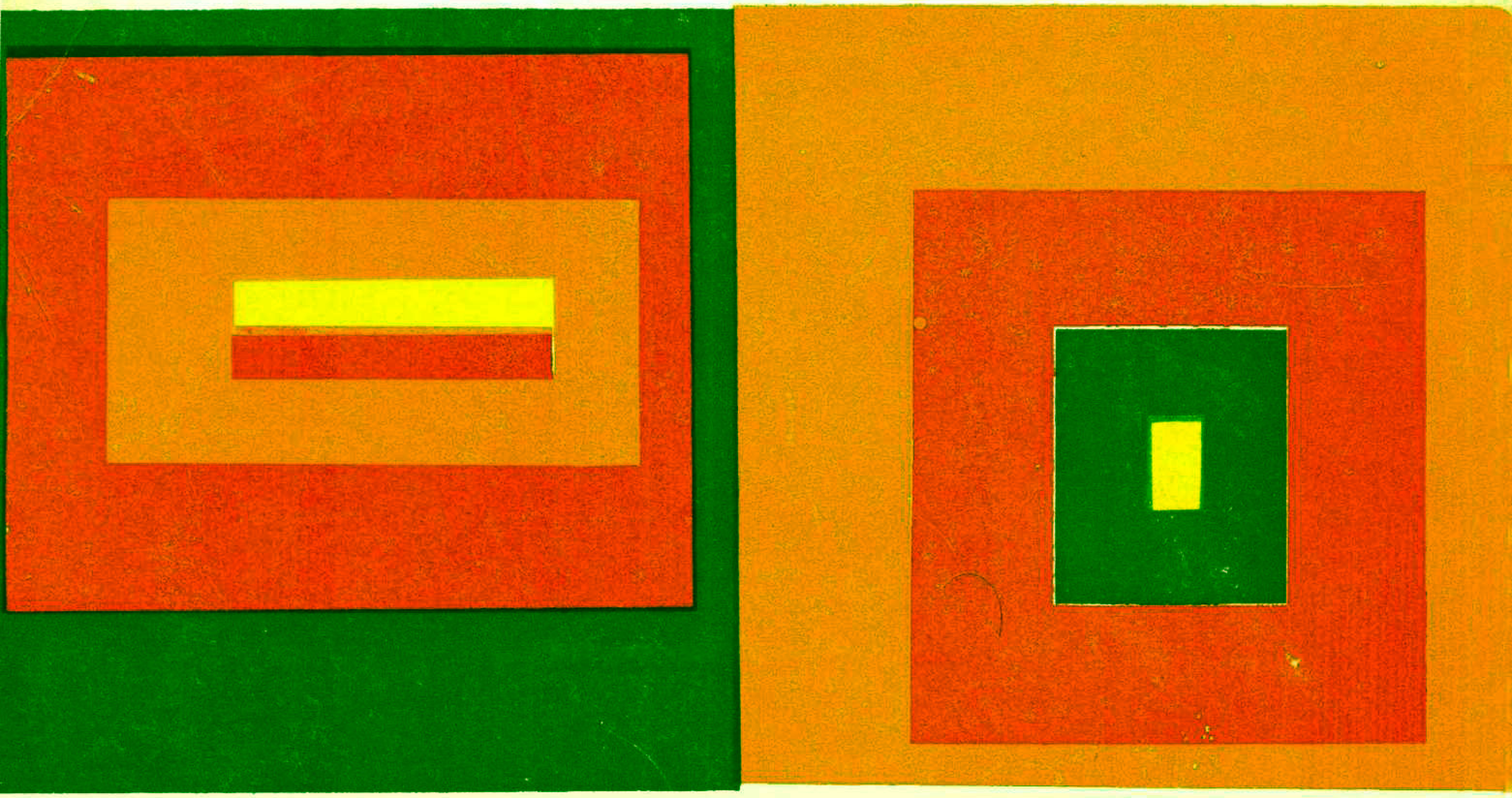
الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق



العدد ٤

السنة ٤

كلمة المجلة

اجتازت مجلة « الآداب الأجنبية » عامها الرابع ، وهي في تقدم ان لم يكن حثيثا فهو مطرد ، وقد استطاعت في زحمة المجلات العربية أن تكون على حداثة سنها في الطليعة وان تخلق في نفوس قرائها الكثر احتراماً وثقة يتجليان في رواجها ومبادرتهم الى اقتنائها بعد ان يكونوا ترقبوا صدورها بكثير من التلهف وحب الاستطلاع .

ولا ريب في ان هذا التقدير يدل على تقويم ذكي وعفوي لدى الجمهور داخل قطرنا العربي السوري وخارجه وعلى امتداد الوطن العربي الكبير .

ولا حاجة بنا الى تذكير اصدقائنا بأن مجلتنا وسيط أمين وحيادي مهمته نقل المختار من النتاجين الأدبي والفكري من الشرق والغرب دون الالتزام بادب امة معينة يقيد حريتها ويتنافى مع خطتها .

ولا شك في ان المجلة لم تبلغ الشاو الذي نرجوه لها ولكننا لن ندخر جهدا في مواصلة التقدم والانفتاح اكثر فاكثر على آداب الشعوب والأمم كافة .

رئيس التحرير

من الأدب الانكليزي

أغاني البراءة والتجربة

للشاعر : وليم بليك ■ مقدمة وترجمة : د. محمد عدنان جيرن

كان وليم بليك (١٧٥٧ - ١٨٢٧) شاعراً وكاتباً ناثراً ورساماً . وكان طليعة الشعراء الخمسة البارزين في الحركة الرومانتيكية الانكليزية ، والاربعة الآخرون هم كولريدج ، ووردزورث ، وشلي ، وكيتس ، وبعده بعضهم ولا سيما تاريخ اصدارة لمجموعته الشعرية (أغاني البراءة) في سنة ١٧٨٩ بداية العصر الرومانتيكي ، على انه انفرد من دون سائر الرومانتيكيين برؤيته المتميزة للعالم .

يقول آرثر سيمونز عنه « لكي يعرّف المرء شعر بليك ينبغي له أن يجد تعريفات جديدة للشعر وحالما توجد هذه التعريفات سيبدو بليك الشاعر الوحيد الذي هو شاعر في جوهره » .

كان بليك يرى أن عالمه انما هو الخيال وكان من نتيجة ذلك ما يلاحظ في شعره من انصراف واضح عن استخدام التشبيه الى الرمز ، لما في التشبيه من بعد واقعي ، وقد أقام لنفسه عالماً رمزياً متفرداً . لقد كان في الشعر ثورياً متمرداً على التراث .

في سنة ١٧٩٤ أعاد بليك اصدار (أغاني البراءة) في مجلد واحد مع مجموعة أخرى أسماها (أغاني التجربة) واصفاً المجموعة الثنائية هذه بأنها تعرض

الحالتين المتناقضتين للروح الانسانية » · ان لضمه هاتين المجموعتين الشعريتين في كتاب واحد دلالة خاصة من حيث انه يعكس عملية مراجعة للنفس بين مرحلة وأخرى من حياته ؛ فعندما أصدر مجموعة (أغاني البراءة) في سنة ١٧٨٩ كان يؤمن ايماناً مطلقاً ببراءة الحياة ، وكان سبيله الى هذا الايمان هو الرؤيا وقد تجلى في الطابع الحلمي لأغاني البراءة ·

واذا كانت (أغاني البراءة) تسجل مرحلة الاستسلام الى هذا الايمان المطلق ببراءة الحياة فان (أغاني التجربة) ـ اذا نظر اليها منفصلة ـ تبدو وقد ولدت من نقيض هذه الحالة ومن ايمان هنيف مزلزل بأن الغلبة في هذا العالم هي للشر ، ولا شك أن بليك نفسه لم يرد (لأغاني التجربة) أن تؤخذ مستقلة وانما رمى من اصدارها مع (أغاني البراءة) الى الاعلان عن انهيار عالم البراءة المثالي أمام مواصف التجربة العاتية ، وقد كان سبيل بليك الى هذه الغاية ـ علاوة على ادماج التجربتين في كل متماسك ـ طريقتان داخليتان أولاهما نقض قصائد من (أغاني البراءة) نقضاً صريحاً بقصائد في (أغاني التجربة) كالمزاوجة بين قصيدتي (منظف المداخن) وقصيدتي (أغنية المربية) وقصيدتي (الخميس المقدس) ؛ والطريقة الثانية في داخل قصائد معينة من (أغاني التجربة) تبدو كل منها تجربة كاملة الأبعاد تنتهي بانتصار الشر ، ويتجلى ايمان بليك بغلبة التجربة وقدرتها على تدمير البراءة في قصائد (الوردة العليلة) و (شجرة وردي الجميلة) و (جنة الحب) و (حزن الرضيع) ·

يدفعنا هذا الى الاعتقاد بان بليك لم يكن يؤمن عندما أصدر المجموعة الثانية هذه بأن التجربة التي تفسد البراءة وتدمرها هي حالة ضرورية · انها بالأحرى حالة حتمية قضي على الانسان أن يمر عبرها ، وبليك في ذلك على وعي أنه يسجل نظرة شاملة الى الحياة · وبالرغم من أن ايمان بليك بالخيال لم يتزعزع بل ازداد عمقاً نتيجة لهذه التجربة فان عالمه الخيالي في (أغاني التجربة) يبدو مشدوداً الى الواقع ؛ فهو قريب من الأرض التي نهض عليها المجتمع الصناعي في عصره ، ولا غرو فقد غطت حياة بليك الفترة الحاسمة من عصر الثورة الصناعية في انكلترا ·

ظل بليك طيلة حياته على هامش المجتمع الأدبي مقيماً لنفسه عالم عزلة بناه من ايمانه المطلق بالخيال حتى لقد رمي بالجنون · الا أن بعض أحداث حياته تشير بوضوح الى أنه كان مهيأ لدخول معترك الحياة الاجتماعية من أوسع أبوابه ؛ فقد كان الى حين نصيراً متحمساً للثورة الفرنسية ، وقد حمى أحد أصدقائه الثوريين ، كما أنه هو نفسه تعرض للمحاكمة بتهمة الخيانة · وكما يقول جون برمي « كان بليك العالم هو أيضاً بليك الثوري » · والحق أنه كانت لعزلته جذور اجتماعية عميقة ؛ فالى جانب القضايا الميتافيزيكية والمفهومات المطلقة التي شغلته وكانت تتصل اتصالا حميماً بعالم رؤياه كايمانه الصوفي بوحدة الله والانسان والخيال ، وبالحب الحر امتلأ – وهو ذو المنشأ المتواضع – بالكراهية للطبقة البورجوازية الصاعدة نتيجة للثورة الصناعية ؛ ففي قصيدته (لندن) موقف حداثة من المجتمع الصناعي المبكر يتوهج باحساس الرفض في حملته على المؤسسات القائمة في عصره : الكنيسة والطبقة الحاكمة والنظام الاجتماعي في جملته ممثلا بشوارع لندن المحمومة بالنشاط التجاري متوسلا الى ذلك بنماذج من ضحايا ذلك المجتمع : منظف المداخن ، والجندي ، والبَغيّ ·

ومع أن لبليك أعمالا أخرى هامة مثل (كتب النبوءات) التي أخذت تجتذب اهتمام الباحثين المحدثين لفناها فان (لأغاني البراءة والتجربة) نكهة خاصة تجعلها من أبرز مجموعات الشعر الغنائي الانكليزي · وفيما يلي ترجمة كاملة لها كما جاءت في أعمال بليك الكاملة ·

أغاني البراءة

المقدمة

كنت انفخ في المزمار هابطا الأودية الموحشة
اعزف اغاني النشوة الحلوة ،
على سحابة رايت طفلا
قال لي ضاحكا :

- اعزف اغنية حمل .
فعزفت ببهجة الطرب .
- يا عازف اعزف تلك الاغنية ثانية .
فعزفت وبكى وهو يصغي .
- الق بمزمارك ، مزمارك السعيد !

غن اغانيك المرحة السعيدة ! -

فغنيت الاغنية نفسها ثانية
بينما كان يبكي ببهجة وهو يصغي .
- يا زمار اقعد واكتب في

سفر قد يقرؤه كل الناس .
واختفى عن ناظري
فاقتلعت قصبة جوفاء

وصنعت ريشة ريفية
وخضبت الماء النقي
وكتبت اغاني السعيدة
اغاني قد يبتهج كل طفل وهو اليها يصغي .

حلم

ذات مرة نسج حلم ظلا
فوق فراشي الذي تحرسه الملائكة ،
انه ضلت نملة طريقها
حيث خيل الي انني استلقي على العشب

مزعجة ، منذهلة ، يائسة
ادركتها ظلمة الليل وقد ارهقها السفر
فوق كثير من الغساليج المتشابكة
سمعتها تقول بقلب كسير :
« آه يا اطفالي ! هل تبكين ؟
هل تسمعن اباهن يتنهد ؟

تارة تنظرن في المدى البعيد لترين
وتارة اخرى تعدن فتبكين من أجلي »

سفحت دمعة اشفاق
ولكنني رايت على مقربة حباحبا
اجاب « اي مخلوق منتحب
ينادي حارس الليل ؟
أنا موكل باضاءة الأرض
بينما الخنفساء تطوف .
اتبع الآن همهمة الخنفساء
ايها الهائم الصغير اسرع الى البيت »

الطفلة المفقودة

في المستقبل
ارى نبوءة
أن الأرض من النوم
ـ وليحفر القول بعمق ـ
سوف تهب وتبعث
عن صانعها الحليم
والفلاة الموحشة
تصبح جنة لطيفة

وفي الاقليم الجنوبي
حيث عنفوان الصيف
لا يذوي ابدا
اضطجعت لايسا الجميلة

قالت لايسا الجميلة
ذات الأصياف السبعة من العمر :
لقد كانت هامت طويلا
تستمع الى اغنية الطيور البرية
أيها النوم العذب
تعال الي
تحت هذه الشجرة
ايبكي ابي ،
اتبكي امي
اين تستطيع
لايسا ان تنام

ـ تائهة في الفلاة الموحشة
طفلتكما الصغيرة ؟
كيف تستطيع لايسا ان تنام
اذا كانت أمها تبكي ؟ »
ـ اذا كان قلبها يتألم

فلتستيقظ لايسا !
اذا كانت أمي تنام
فان لايسا لن تبكي »
ـ أيتها الليلة المتهجمة ، المتهجمة
فوق هذه الفلاة المشرقة
ليبزغ قمرك
بينما اطبق عيني ،

كانت لايسا نائمة
والوحوش الضارية
تخرج من الكهوف العميقة
فترى الفتاة نائمة

وقف الليث ذو الهيبة الملكية
والقى نظرة على العذراء
ثم طفر مرحا وهو يحوم
فوق الرقعة الجليلة

لعبت الفهود والأنمار
حولها وهي مستلقية
وانحنى الليث الهرم
بعفرته الذهبية

ولحس صدرها ،
وعلى عنقها
من عينيه اللهبيتين
انحدرت دموع ياقوتية

واللبوة
حلت ثوبها الرقيق
وحملا عارية
الى الكهوف ، الفتاة النائمة

العثــور عـــلى الطفلـــة

وباسى طـوال الليـل
يمضي والدا لايســا
عبــر الأودية العميقــة
بينمــا تنتحب الفلــوات

متعبين أودى بهما الكـرب
بـح صوتهما من الأنـين
ذراعــا بذراع ولسبعة أيـام
تبعــا مســالك الفــلاة

ولسبعة أيـام ينامــان
بــين الظــلال العميقــة
ويحلمان انهما رأيــا طفلتهمــا
تتضور جوعا في الفــلاة الموحشــة .

تهيــم الصــورة المتخيلــة

ممتقعة عبر مسـالـك لا ممر فيهــا
جائعة باكية واهنة
صرختها العميقة تستدر الاشفاق

وتنهض من الاعيــاء
المرأة المرتعشة وتشـد
بقلــبين ارهقهما الكـرب
لا تقوى على مواصلة السـير .

وفي ذراعيــه حملهــا
مزوداً بحــزن ممض
حتى رأيــا في طريقهما
ليثــا يتمــدد مضطجعــا

كان النكوص عبثــا
وسرعان ما حملتهما عفرته الثقيلة
الـى الارض
واخــذ يطوف حولهما برفــق ؛
يشــم فريســته
لكن مخاوفهمــا تتبدد
عندمــا يلعــق أيديهمــا
ويقف قربهمــا صامتا

وينظــران الى عينيــه
وقد ملأتهما دهشة عميقة
فيريان وهمــا يتأملان
روحــا مدرعــا بالــذهب

علــى رأســه تــاج ،
وعلـــى كتفيـــه
تدلـى شـعره الــذهبي
تبــددت كــل خشيتهمــا

قــال : « اتبعــاني
لا تبكيــا علــى الفتــاة !
ففي أعمــاق قصــري
تضطجــع لايســا نائمــة »

وســـارا
حيث قادتهمـا الرؤيـا
فرايـا طفلتهمـا نائمـة
بين الأنمـار الضـارية •

والى هـذا اليـوم يقيمون
في وهـدة موحشـة ،
لا يخشـون عـواء الذئـاب
ولا زئـير الأسـود

الحمـــــل

أيها الحمل الصغير من صنعك ؟
أتعلم من صنعـك ؟
منحك الحياة واوعز اليك ان ترعى
على ضفة الجدول وفي المرج
أسبغ عليك لباس البهجـة ،
أنعمَ لباس ، صوفيا ، مشرقـاً
أعطاك مثل هـذا الصـوت الرقيق
الذي يجعل الأودية كلهـا تبتهـج ؟
أيهـا الحمل الصغير من صنعـك ؟
أتعلـم من صنعـك ؟

أيها الحمـل الصغير ! سأخبرك
أيها الحمل الصغير ! سأخبرك
انـه سَمِيُّك
لأنه يدعو نفســه « حمـلا »
انـه رؤوف ، وانه لطيف
لقد أصبح طفـلا صغـيراً •
أنا طفـل وأنت حمـل ،
نحن ندعـى باسمه
أيها الحمل الصغير ! ليباركك الله !
أيها الحمل الصغير ! ليباركك الله !

الــزهـــرة

أيها الدوري المرح المرح !
تحت أوراق شديدة الخضرة
زهـرة سـعيدة
تراك سريعا كالسـهم
تلتمس مهدك الضيق
قـرب صـدري

يا أبـا الغنـاء الجميل الجميل !
تحت أوراق شديدة الخضرة
زهـرة سـعيدة
تسمعك تنشج ، نشيجاً
يا أبا الغناء الجميل الجميل !
قـرب صـدري •

الخضـــرة المصـــدية

الشمس تبــزغ
وتسعد السماوات
الأجراس المرحة تدق
ترحيبا بالربيع
القبرة والسلماني
وطيور الغابة
تشدو عاليا حوالينا
على صوت الأجراس البهيج
بينما ترى ملاعبنا
على الخضرة التي تردد الصدى

وجون المسن ذو الشعر الأبيض
يبدد بالضحك الهم
جالسا تحت السنديانة
بين كبار القوم
انهم يضحكون من لعبنا

ويبادرون جميعا قائلين :
« هكذا هكذا كانت المباهج ،
حين كنا جميعا فتيات وفتيانا
يتفتحه نرى
على الخضرة التي تردد الصدى »

الى ان يتعب الصغار
فلا يستطيعوا مواصلة المرح ؛
تنحدر الشمس
وينتهي لعبنا
وفي أحضان الأمهات
كبير من الاخوة والأخوات
كالطيور في عشها
يستعدون للراحة
واللعب يتوارى
عن الخضرة القاتمة

الصـــورة الالهيـــة

للرحمة والشفقة والسلام والحب
الجميع يصلون في شدتهم ؛
ولفضائل الفرح هذه
يردون شكرهم

لأن الرحمة والشفقة والسلام والحب
هي الله ، أبونا الغالي
والرحمة والشفقة والسلام والحب

هي الانسان ، طفله ورعايته

لأن للرحمة قلبا انسانيا
وللشفقة وجها انسانيا
وللحب الصورة الانسانية الالهية
وللسلام الرداء الانساني ·

فكل انسان من أي اقليم

يصلي في شدته
انما يصلي للصورة الانسانية الالهية
للحب والرحمة والشفقة والسلام

فعلينا جميعاً ان نحب الصورة الانسانية
في الوثني او التركي
حيث الرحمة والحب والشفقة تقيم
ثمّ الله مقيم ايضا ٠

منظف المداخن

حين ماتت أمي كنت صغير السن جداً
وقد باعني أبي بينما كان لساني
لا يكاد يصرخ صرخة البكاء « ويب ، ويب ، ويب »
وهكذا أنظف مداخنكم ، وفي السّخام أنام ٠

هناك (توم ديكر) الطفل الذي بكى حينما كان رأسه
الجعد الشعر كظهر حمل يجز ٠ قلت له :
« صه توم ٠ لا عليك ! فحين يكون رأسك عارياً تعلم
أن السّخام لا يستطيع أن يفسد شعرك الأبيض »

وهكذا سكن ، وفي تلك الليلة نفسها
رأى توم في نومه مشهداً غريباً !
أن مئات من المنظفين : ديك ، جو ، نيد جاك
كانوا جميعاً في توابيت سوداء أقفلت عليهم

وجاء ملاك بيده مفتاح ذو بريق
وفتح التوابيت وأطلق سراحهم !

فجروا على سهل أخضر واثبين ، ضاحكين
واغتسلوا في نهر ، واستحموا في الشمس .

ثم تركوا خلفهم ـ وهم عارون بيض ـ جميع حقائبهم ،
وارتفعوا فوق السحب ولهوا في الريح .
وقال الملاك لتوم ان يكن صبياً طيباً
فسيكون الله أباه ، ولن يفتقد البهجة .

وهكذا استيقظ توم ، ونهضنا في الظلام
واخذنا حقائبنا ومكانسنا لنعمل .
ومع أن الصباح كان بارداً فقد كان توم سعيداً ودافئاً
وهكذا لو أن كلاً أدى واجبه فلا حاجة لخشيته من الأذى .

الحبور الطفل

« ليس لي اسم !
ليس لي من العمر الا يومان .
ماذا ساسميك ؟
« سعيد انا ،
الحبور هو اسمي .
فليهبط عليك الحبور الحلو !

أيها الحبور الجميل !
حبور جميل ولكن عمره يومان
ادعوك حبوراً جميلا :
انت تبتسم
بينما انا اغني ،
ليهبط عليك الحبور الحلو !

الراعي

ما احلى عيشة الراعي الحلوة !
يهيم من الصباح الى المساء !
يتبع قطيعه طوال النهار
ولسانه عامر بالثناء .

لانه يسمع النداء البريء من الحمل
ويسمع الرد الرقيق من النعجة !
انه يراقبهما بينما هما في سلام
فهما يعرفان متى يكون راعيهما على مقربة .

الليـــــــل

تنحدر الشمس في الغرب ،
نجمة المساء تسطع ؛
الطيور صامتة في عشها
وينبغي لي ان ابحث عن طريقي .

القمر مثل زهرة
في تعريشة السماء العالية
ببهجة صامتة
يجلس ويبتسم في الليل .

وداعا أيتها الحقول الخضراء والأيك السعيدة
حيث ابتهجت القطعان .
حيث الحملان قضمت ، وتتحرك بصمت
أقدام الملائكة النورانية ؛
دون ان ترى تسكب البركة
والحبور ، فلا تتوقف ،
على كل برعم وزهرة
وكل صدر نائم .

انها تنظر في كل عش خليّ البال
حيث الطيور مغطاة دافئة ؛
تزور كهوف جميع الوحوش
لتحميها من كل اذى
وان رات باكيا ما
كان ينبغي ان يكون في سبات
تسكب النوم على راسه
وتجلس قرب فراشه .

حينما تعوي الذئاب والأنمار من أجل فريسة
تقف شفقة وتبكي ؛
ساعية لدفع عطشها
وحائلة بينها وبين القطيع
اما اذا اندفعت مخيفة
فالملائكة ، وهي في غاية الحذر ،
تستقبل كل روح لطيفة
لكي ترث عوالم جديدة .

وهناك عينا الليث الحمراوان
سوف تفيضان دموعا من ذهب
وهو مشفق على الصرخات الفضة
يخطر حول الحظيرة ،
يقول : « الغضب برأفته ،
والمرض بصحته
يطردان
من يومنا الخالد

والآن قربك ايها الحمل الثاغي !
استطيع أن استلقي وانام ،
او افكر في من يحمل اسمك
وارعى وراءك وانام
لأن عفرتي المشرقة ، أبداً
ـ وقد غسلت في نهر الحياة ـ
سوف تشع كالذهب
وأنا أحرس الحظيرة » .

أغنيــــة للمهــــد

أيتها الاحلام الحلوة اصنعي ظلا
فوق رأس رضيعي الحبيب !
ـ أيتها الاحلام الحلوة ذات الجداول المذبة!ـ
بالأشعة القمرية السعيدة الصامتة ٠

أيها النوم الحلو ! بالزغب الناعم
انسج حاجبيك تاجا للرضيع ٠
أيها النوم الحلو ! أيها الملاك اللطيف
حوم فوق طفلي السعيد ٠

أيتها البسمات الحلوة ! في الليل
حومي فوق بهجتي !
أيتها البسمات الحلوة : بسمات الأم
تزجي كل الليل الطويل
أيتها الأنات الحلوة ، أيتها التنهدات الحمامية
لا تدعْنَ النعاس من أعينكن
أيتها الأنات الحلوة ، أيتها البسمات الأحلى
كل مفاتن الأنات الحمامية ٠

نم نم ايها الطفل السعيد !
فقد نام كل الخلق وابتسموا
نــم نــم نوما سعيدا
بينما تبكي امك فوقــك

أيها الطفل الحلو ! في وجهك
استطيع ان المــح صــورة
ايها الطفل الحلو ! مرة مثلــك
اضطجع صانعك وبكى من اجلي ،

بكى من أجلي ، من أجلك ، من أجلنا جميعاً
حينما كان وضيعا صغـيرا ٠
أنت ترى صورته ابدا
وجها سماويا يبتسم لــك
يبتسم لك ، لي ، لنا جميعا !
من اصبح وضيعا صغـيرا
بسمات الرضيع بسماته هو
تهدهد السماء والأرض الى السلام

الطفــــل المفقـــود

ابي ! يا ابي ! أين انت ذاهب ؟
اه ! لا تهـرول هكـذا
تكلم ـ ايها الأب ! ـ كلم طفلك الصغير
والا ضاضيع ٠

كانت الليلة داجية ! لم يكن ثمَّ اب :
كان الطفل مبللا بالندى !
كان الطين عميقا ، وقد بكى الطفل
وطــار البخار بعيــدا ٠

العثور على الطفل

الطفل الضائع في المستنقع الموحش
يهديه الضوء الهائم ،
شرع يبكي ؛ لكن الله ، القريب ابدا ،
ظهر ، كابيه ، في البياض

قبل الطفل وبيده التاده
واخذه الى امه
التي كانتممتقعةفي حزنها، عبر الوادي الموحش
تبحث عن طفلها الصغير باكية •

أغنية المربية

حين تُسمَع أصوات الأطفال على المرج الأخضر
ويُسمع الضحك على الرابية
يرتاح قلبي في صدري
وكل شيء سوى ذلك ساكن •

فتعالوا الى البيت يا أطفالي ، لقد غابت الشمس
وأنداء الليل تبزغ
تعالوا ، تعالوا ، دعوا اللعب وهيا بنا
الى أن يظهر الصبح في السموات »

« لا ! لا ! دعينا نلعب فما زال نهاراً
لا نستطيع أن نذهب للنوم ؛
ثم ان الطيور الصغيرة تطير في السماء
والروابي جميعاً مغطاة بالقطيع »

حسناً ! حسناً ! اذهبوا والعبوا حتى يضمحــل النــور
حينئــذ اذهبــوا الى البيت لتنــامــوا ،
قفــز الصغــار وزعقوا ، وضحكــوا
ورددت الصـدى جميـــع الــروابــي ·

الخميس المقـــدس

كان ذلك يوم خميس مقدس ، وجوههــم البريئة نظيفة ،
الأطفــال يسيرون مثنى مثنى بالأحمر والأزرق والأخضر ·
أمامهم مشى الشمامسة ذوو الرؤوس الشيب والصولجانات البيض كالثلـج
الى أن يجروا كمياه التايمز الى قبة القديس بول العالية ·

آه أي حشد بدوا ، زهــرات مدينة لنــدن !
وقــد جلسوا في جماعات والاشعاع كله اشعاعهــم ·
كانت هناك همهمة الحشود لكنها حشود من الحملان ؛
آلاف من الصبية والفتيات يرفعون أيديهم البريئة ·

والآن مثل ريح عاتية يرفعون الى السماء صوت الغناء ،
أو مثل قصفات الرعــد المتناغمة بين أركان السماء ·
تحتهم يجلس المسنون ، الأوصياء ، الحكماء على الفقراء ؛
فاحمل في قلبك الشفقة لئلا تدفع عن بابك ملاكاً ·

حول حزن الآخر

استطيع ان ارى اسى انسان آخر
ولا احزن ايضا ؟
استطيع ان ارى حزن آخر
ولا التمس تاسية لطيفة ؟

استطيع ان ارى دمعة منحدرة
ولا اشعر بنصيبي من الحزن ؟
ايستطيع اب ان يرى طفله
يبكي ولا يمتليء هـو بالحزن ؟

اتستطيع ام ان تجلس وتسمع
رضيعا يئن ، رضيعا يخاف ؟
لا ! لا! هذا ابدا مستحيل
ابدا ابدا مستحيل

وهل يستطيع هو الذي يبتسم للجميع
ان يسمع العصفور ذا الاحزان الصغيرة :
ان يسمع بحزن الطائر الصغير وهمه ؟
ان يسمع بالاسى الذي يكابده الاطفال الرضع ؟

ولا يجلس الى جانب العش

يسكب الشفقة في صدورهم ؟
ولا يجلس قرب المهد
ودمعته تنحدر مع دمعة الطفل ؟

ولا يجلس ليل نهار
بمسح كل دموعنا ؟
آه : لا ! هذا ابدا مستحيل !
ابدا ابدا مستحيل :
انه يمنح مسرته للجميع :
انه يصبح رضيعا صغيرا :
انه يصبح انسان أسى
انه يشعر بالحزن أيضا
لا تظنن انك تستطيع ان تتنهد تنهدة
وصانعك ليس الى جانبك ؟
لا تظنن انك تستطيع ان تسفح دمعة
وصانعك غير قريب ٠

آه ! انه يمنحنا مسرته
كيما يدمر حزننا :
وحتى يفر حزننا ويولي
انه يجلس بجانبنا ويئن ٠

الربيع

اعزف النـاي !
انه الآن صامت
الطيور تبتهج
ليل نهار
البلبل

في الوادي ،
القبرة في السماء ،
بحبور
بحبور بحبور ترحب بمقدم العام

الصبي الصغير
ممتلىء بهجة
الفتاة الصغيرة
حلوة نضيرة
الديك يصيح
وكذلك تفعل أنت
صوت بهيج
ضجة الرضيع
بحبور بحبور ترحب بمقدم العام

أيها الحمل الصغير
ها أنذا هنا !
تعال والحس
عنقي البيضاء
دعني أشد
صوفك الناعم ؛
دعني أقبل
وجهك الناعم :
بحبور بحبور ترحب بمقدم العام

التلميذ

أحب ان انهض في صباح صيفي
حين تغني الطيور على كل شجرة
والصياد البعيد ينفخ في بوقه
وقبرة السماء تغني معي ،
اه ! يا لها رفقة حلوة !

لكن أن تذهب الى المدرسة في صباح صيفي ،
اه : ذلك يبدد كل مسرة ،
فتحت عين قاسية بالية ،
يقضي الصغار النهار
في تنهد ورعب ،

اه : حينئذ أجلس مكتئبا
وانفق ساعات قلق كثيرة :
لا أستطيع ان استمتع بكتابي
او ان اجلس في تعريشة للتعليم

قد ابلاها الرذاذ الكئيب
كيف يستطيع طائر ولد للبهجة
ان يجثم في قفص ويغني ؟
كيف يستطيع طفل وقد اقلقته المخاوف ،
الا ان يخفض جناحه الغض
وينسى ربيع شبابه ؟
اه : أيها الاب وأيتها الأم ! اذا قطعت البراعم
وذرت الريح الأزهار
واذا عريت النبتات الغضة
من بهجتها في اليوم الربيعي
بالحزن ورعب الهم

فكيف سيهب الصيف بابتهاج
او تظهر فواكه الصيف ؟
او كيف سنلم ما تدمره الأحزان ،
او نبارك سنة النماء
عندما تعصف عواصف الشتاء ؟

الأغنيـــة الضــاحكـــة

حين تغني الخمائل بصـوت البهجـة
والجـدول المتمـوج يجري ضاحكـاً !
حـين يضحك الجـو مـع ظرفنـا المـرح ،
وتضحـك الرابية الخضـراء علـى خريـره !

حين تضحـك المـروج بالخضـرة الحيـة
ويضحـك الجنـدب في المشـهد المـرح ،
حـين مـاري ، وسوزان ، وايميلـي
بثغورهـن المدورة الحلوة يغنـين « ها ! ها ! هي ! »

حـين تغرد الطيـور المرسـومة بالألـوان في الظـل
حيث فرشت مـائـدتنـا بالكـرز والجـوز
تعـال عش وامـرح ، وشـاركنـي
نغني ترنيمـة الجـوقـة « ها ! ها ! هي ! »

الطفـــل الأســـود

أمـي وضعتنـي في الصـحراء الجنـوبي
وأنا أسود لكن آه ! ان روحي بيضـاء ،
أبيض كمـلاك هـو الطفـل الانكليـزي ،
ولكن أنا أسـود كمـا لو كنت محـرومـاً من الضيـاء ·

أمـي علمتنـي تحت شـجرة
وهـي تجلس في حـر النهـار ،

أخذتنـي في حضنهـا وقبلتني
وشـرعت تقـول ، وهي تشـير الـى الشـرق :

انظـر الـى الشمس البـازغـة : هنـاك الله يعيش
ويمنـح ضـوءه ، ويمنــح حـرارتـه ؛
ويتلقى الزهـر والشـجر والوحش والبشـر
الراحـة في الصبـاح والبهجـة في الظهــيرة .

ونحـن قد قسمت لنا رقعـة صغـيرة على الأرض
كيمـا نتعلـم تحمـل أشـعة الحب ؛
وهـذه الأجسـام الســود ، وهـذا الوجه الذي لوحته الشمس
ليست الا سحابة ، وليس الا كغيضة ظليلة

فحين تتعلـم أرواحنـا تحمـل الحــرارة

ستختفي السـحابة : سنسمع صـوتـه
قائـلا : « اخرجوا من الغيضة يا حبي ويا همي !
وحـول خيمـة الله ابتهجـوا كالحمــلان »

قالت أمـي هـــذا وقبلتنـي ؛
وكذلـك أقـول للصبي الانكليـزي الصغـير .
حينمـا أتحرر أنا من السـحابة السـوداء وهو من البيضاء
وحـول خيمـة الله نمـرح كالحمــلان
سأظلله مــن الحر الى أن يستطيـع تحمـل
الركـوع بابتهـاج على ركبتـي أبينـــا
وحينئـذ سأقف وسأداعب شـعره الفضي
وأكون مثلـه وحينئذ سوف يحبنـي .

صوت الشاعر القديم

يا شباب الفرح هلمّ
وانظر الصبح المنبلج ،
صورة حقيقة ولدت من جديد
ولى الشك ، وسحب العقل
والنزاعات المظلمة والمضايقات الخبيثة ٠
الحماقة متاهة بلا نهاية
تُعَقِّد الجذور المتشابكة طرقها ٠
كم من امرىء سقط هناك !
انهم يتعثرون طوال الليل بعظام الموتى
ويشعرون أنهم لا يعرفون الا الهم
ويرغبون في قيادة غيرهم وأحرى بهم أن يقادوا

أغاني التجربة

المقدمة

اسمع صوت الشاعر المغني
يستشرف الحاضر والماضي والمستقبل
من سمعت اذناه
الكلمة القدسية
تسري بين الأشجار العتيقة

تنادي الروح التي هوت
وتبكي في ندى المساء ؛
تلك التي تستطيع ان تتحكم في
القطب النجمي
وتجدد ــ وقد هوت ــ الضياء الساقط

« ايتها الارض ! ايتها الأرض ! عودي !
هبي من بين العشب الندي ؛
الليل اضمحل
والصباح
ينهض من الكتلة النائمة

لا تنصرفي
لماذا تنصرفين ؟
فبساط النجوم
والشاطىء المائي
منحتهما الى بزوغ النهار » ٠

جـواب الأرض

رفعت الأرض رأسـها
من الظلمـة المرعبة الكئيبة .
ولـي ضيـاؤهـا ،
رعب متحجـــر !
وخصلات شعرها مغطاة بيأس أشيب

- سجينة على الشاطىء المائي ،
غيرة النجوم تبقي وكري
بـرداً وصقيعـاً ،
وابكــي
وأنا أسمع أبا البشر الأقدمين .

يا أبا البشر الأناني :
أيها الخوف القاسي ، الغيـور ، الأناني !
أتســتطيع الفـرحـة

- وقد قيدت في الليل -
أن تحمـل عذارى الشباب والصباح ؟

هل يخفي الربيع ابتهاجـه
حين تنمو البراعم والأزهار ؟
هـل للبـذار
أن يبـذر في الليـل ،
أو يحرث الحراث في الظلام ؟

اكسر هذا القيد الثقيل
الذي يجمـد عظامي .
أناني ! عابث !
لعنــة أبـديـة !
تلك التي قيدت الحب الحر بالعبودية . .

الخميس المقـــدس

ماذا أرى ؟ هل هو شيء قدسي
في بلدٍ قد اغتنى بالثمر
أطفاله في قبضة البؤس
تطعمهم فيه يد باردة مرابية ؟

والصرخة المرتعشة أهـذه أغنيـة ؟
أهذه أغنية من فرح ؟
وهذه الأعداد من أطفاله بائسة
فإن هذي الأرض أرض الفقر !

فشمسهم لا تشرق البتة
حقولهم كئيبة جرداء
دروبهم تغص بالأشواك
فهو شتاء أبدي

فحيثما أشرقت الشمس
وحيثما تساقط المطر
ليس لطفل أن يجوع
والفقر لا يروع خاطراً .

منظف المـــداخـــن

شيء صغير اسود بين الثلج
يصيح « ويب ويب ! » بانغام الاسى
« اين ابوك وامك ؟ أتقول ؟ »
ذهبا كلاهما الى الكنيسة يصليان ،

لانني كنت سعيداً في العراء
وابتسمت بين ثلوج الشتاء ،

البساني لباب الموت
وعلماني ان اغني انغام الاسى

ولانني سعيد ، وارقص واغني ،
يظنان أنهما لم يؤذياني
وقد ذهبا ليحمدا الله وكاهنه وملكه
الذين صنعوا (····) من بؤسنا ·

أغنيـــة المـربيـــة

حين تسمع اصوات الأطفال على الخضرة
والهمسات في الـــوادي
تهب أيام شبابي طازجة في خاطري
وينقلب وجهي اخضر شاحباً ·

تهلموا الى البيت ، يا أطفالي · ان الشمس
قد انحدرت
وأنداء الليـل تنهض
تهدرون ربيعكم ونهاركم في اللعب
وشتاءكم وليلكم في التنكر ·

الـــوردة العليلـــة

عليلة ـ أيتها الوردة ! ـ انت !
الدودة الخفية التي
تطير في الليـل وفي
ولولة العاصفة

قد وجدت مهادك
في بهجة من قرمز
وان حبها
ـ تلفه سرية سوداء ـ
مدمرٌ حياتك ·

الذبابة

ايتها الذبابة الصغيرة
ملعبك الصيفي قد
بدده
بطش يدي الشريرة

الست يا ذبابة
ذبابة مثلك ؟ بل
الستِ اهلا ان تكوني
مثليَ انسانا ؟

لانني ارقص
لانني اشرب
لانني اغني

حتى ارى يدا خفية عمياء
تهشم لي جناحي .

فان يك الفكر حياة
وقوة وتنفسا
وان يك الفقر الى
الفكر هو الموت الذن

فهل انا
ذبابة سعيدة
تعيش او
تموت ؟ .

الملاك

حلمت حلما ـ ماذا
ترءه ان يعني ؟ ـ
بانني مليكة بتول
يحرس مصيري ملك لطيف
وحزني الاحمق لا يزول

وطيلة ليلي بكيت ، سحابة يومي بكيت
ومسح دمعي
بكيت طوال نهاري وليلي
واخفيت فرحة قلبي عنه

فلمّ جناحيه عني وطار
وابلج صبحي بحمرة ورد
فسلحت خوفي وجففت دمعي
بعشرة آلاف رمح ودرع

وسرعان ما عاد
ملاكي وكنت تسلحت ، عاد ملاكي من دونجدوى
فقد كان ولى زمان الشباب
وقد وخط الشيب راسي .

النمـــــر

أيهـا النمـر ! أيهـا النمر المتوقد المتوهج
في غـابـات الليـــل !
أية يـد أو عـين خـالـــدة
استطاعت أن تصوغ تناسقك المخيف ؟

في أية أعماق نائية أو سماوات
اشـتعلت نـــار عينيـــك ؟
على أيـة أجنحـة جرؤ أن يحلـــق ؟
أيـة يـد جرؤت أن تقبض على النـــار ؟
وأي كتف ، وأي فـن
استطاعا أن يفتـلا نيـاط قلبـك ؟
وحـين شرع قلبـك ينبض
أيـة يـد رهيبـة ؟ وأيـة أقـدام رهيبـة ؟

أيـة مطرقـة ؟ أيـة سلسلة ؟
في أي أتـون كـــان دمـاغـــك ؟
أي ســندان ؟ أيـة ملقطـة مرعبـة
جـرؤت أن تقبض على الهـول المميت ؟

حين ألقت النجـــوم برمـاحهـــا
وأمطـــرت الســـماء بدمـوعهـــا
هل ابتسم وهو يرى صنيعـه ؟
أمـــن صنـع الحمـــل صنعـــك ؟

أيها النسر ! أيها النسر المتوقد المتوهج
في غابات الليل !
أية يد أو عين خالدة
استطاعت أن تصوغ تناسقك المخيف ؟

شجرة وردي الجميلة

أُهديت زهرة
أيار لم يحمل بمثيلها فقلت ،
وقد رددت الزهرة الحلوة : « عندي
شجيرة جميلة الورد » .

ثم قصدت وردتي الجميلة
في الليل أرعاها وفي النهار
فازورت الوردة غيرى
وكان من أشواكها متعتي الوحيدة .

آه ! يا زهرة دوّار الشمس

آه ! يا زهرة دوار الشمس التي ضاقت ذرعاً بالزمن ،
وتحصي على الشمس خطاها .
تبحث عن ذلك الاقليم الذهبي الحلو
حيث تنتهي رحلة المسافر .
حيث الشباب ، وقد أنحله الشوق ،
والعذراء الشاحبة مكفنة بالثلج ،
ينهضان من قبريهما بتوق
الى حيث تهفو زهرة دوار الشمس ، زهرتي ، أن ترحل .

الـــزنبقـــة

الـوردة الحييـة تخــرج شـوكــة ،
النعجــة المتـواضعـة قرنـاً يتهــدد
بينمـــا تفـرح الزنبقـة البيضـاء في الحب !
لا شـوك ولا وعيـد يلطخـان جمالهـا المشـرق ٠

جنـــة الحـب

ذهبت أبغـي جنـة الحب
رأيت ما لـم اك مـن قبـل رأيت
كنيسـة قـد شـيدت في وسـطها
هنـاك فـوق المـرج كـــان مرتعـي

كنيسـة موصـدة الأبـواب
قــرأت فـــوق مـدخـل لهـــا
« انــك لـــن تـدخـــل »
فملت نحـــو جنـــة الحب التـي
تفتحت أزهـارهـــا العلـــوه٠

وجدتهـا عاريـة مــن الـزهـــور
تحفـــل بـالقبــــور
تشـهق فيهـا شـواهـــد القبــور
وفي المسـوح السـود رهبـان يطوفـون
فيهـــا ويحـزمـــون
مباهجي وأمنيـــات صـــدري
بـاقـات ورد بـري ٠

الشريد الصغير

أمي الغالية ! أمي الغالية ! الكنيسة باردة
لكن المشرب صحي وممتع ودافىء ؛
ثم انني أستطيع ان اتحدث عن المكان الذي يحسن استخدامي
مثل هذا الاستخدام لن يجدي في الجنة

ولكن لو أنهم يعطوننا في الكنيسة بعض البيرة
ومدفأة مبهجة لنمتع أرواحنا
اذن كنا سنغني وسنصلي طوال النهار
ولن نرغب البتة أن نشرد من الكنيسة

حينئذ يمكن للقس أن يعظ ويشرب ويغني
وسنكون سعداء كالطيور في الربيع ؛
والسيدة المتواضعة (ليرتش) التي لا تبرح الكنيسة
لن يكون لديها أطفال مقوسو الأرجل ، ولا صيام ، ولا عصا

والله مثل أب يبتهج لرؤية أطفاله مبتهجين سعداء مثله
لن تكون له خصومات أخرى مع الشيطان أو مع الحيوان
بل سيقبّلهما ويمنحهما الشراب والكساء ٠

لنـــــــدن

أطوف عبر كل شارع مستاجر
قريباً من حيث نهر التايمز المستاجر يجري
وارى في كل وجـه القـاه
امارات الوهـن ، امارات المحن ،

في كـل صرخة من كل انســان ،
في كل صرخة خـوف من رضيع ،
في كل صوت في كل لعنة
أسمع القيود التي يصوغها العقل

كيف أن صرخة منظف المداخن
ترعب كل كنيسة مسودة !
وتنهدة الجنــدي البائس
تجري بالدم على جدران القصر .

لكن جل ما اسمع عبر شوارع منتصف الليل
لعنة البغي الشـابـة
تنجر دمعة الرضيع حديث الولادة ،
وتنهال باللعنات على عربة الزواج .

المثــل الأعــلى الانســاني

لن تكون ثمّ شفقة
ان لم نجعل انسانا ما فقيرا :
ولا يمكن أن تكون ثمّ رحمـة
لو كـان الجميع سعداء مثلنا .

والخوف المتبادل يجلب السلام
حتى يزداد الحب الأناني
ثم تحيك القســوة فخا
وتنشر طعومها بعناية .

وتجلس بمخاوف قدسية
وتمطر الأرض بالدموع :
ثم يضرب التواضع جـذراً
تحت قـدمهـــا .

وسرعان ما ينتشر الظل الكئيب
من الســر فـوق راسها
وتتغذى اليرقـة والذبابـة
علـى الســر

وتحمل ثمرة الخديعة
حمراء طيبة المآكـل !
وقد صنع الغـراب عشه
في أكثف ظـلالهـــا .

آلهـة الأرض والبحـر
بحثت في الطبيعة عـن هـذه الشجرة !
لكن بحثهـا كـان عبثا كلـه :
ثمّ واحدة تنمو في الدماغ الانساني .

حـزن الـرضيـــع

انت امي : وانتحب والدي •
وقفـزت الى العالم الخطر
عاجزا . عاريـا ، عالي الصراخ
كعفريت اختبأ في سحابة •

اصارع في يدي والدي ،
اقاوم قماطي المشدود ،
ثم فكرت وانا منقمط" متعب انه خير لي
ان اكب صامتا على ثدي امي •

شـــجرة سـامـــة

غضبت من صديقي ،
اعلنت سخطي فانتهى سخطي •
غضبت مـن عدوي
فلم اصرح فنما سخطي •

سـقيته بخـوفى
بالدمع في المساء ، بالدمع في الصباح :
عرضته للشمس بابتسامة
بالحيل الخادعة الناعمة •
حتى نما ليل نهـار ،

يحمل لي تفاحة مشرقة :
أبصرها سـاطعة عدوي ،
ادرك انهـا لـي .

فانسـل" في حديقتي
والليـل يحجب القطب :
وفي الصبـاح
رايت مسرورا عدوي
مجندلا في ظل تلك الشجرة"

طفـــــل مفقـــود

• ما من احد يحب آخر كما يحب نفسه
ولا يحترم آخـر كذلك
والفكـر لا يستطيع
ان يقر بما هو اعظم منـه

فيا ابي : كيف استطيع ان احبك انت
او احدا من اخوتي حبا اكثر ؟

احبك كالطـائـر الصغير
الذي يلتقط الفتات من لدن الباب •

كان الكاهن يجلس قريبا ويسمع الطفل .
امسك بشعره وهو يرتعش حماسة :
اقتاده من معطفه الصغير
والجميـع معجبون برعاية الكاهن •

وقف على المذبح العالي
وقال : « انظروا ! أي عفريت هنا !
واحد ينصب العقل قاضياً
على سرنا الأقدس » .

لم يكن الطفل المتعب ليسمع
والآباء الباكون بكوا عبثاً !

جردوه حتى قميصه الصغير
وقيدوه بسلسلة من الحديد .

وأحرقوه في مكان مقدس
حيث احرق كثيرون من قبل
والآباء الباكون بكوا عبثاً
أأمور كهذه تحدث على شاطىء البيون ؟

طفلة مفقودة

أبناء العصر المقبل
الذين يقرؤون هذه الصفحة الناقمة
اعلموا أنه في زمن غابر
كان الحب ! الحب الحلو ! يعد جريمة

في عصر الذهب
الخالص من برد الشتاء ،
الشباب والأنوثة المشرقان
بالنور القدسي
يبتهجان عاريين في أشعة الشمس

ذات مرة ، شابان
ممتلئان بارق العواطف
التقيا في حديقة مشرقة
حيث النور القدسي
قد أزاح توا ستائر الليل

هناك في ضحوة النهار
كانا يلعبان على العشب ،
والأبوان بعيدان
والغرباء لا يقتربون
وسرعان ما نسيت الفتاة خوفها

متعبين من القبل الحلوة
اتفقا على أن يلتقيا
حين يكون النوم الصامت
يتموج فوق أعماق السماء
والهائمون المتعبون المرهقون ينتحبون

والى أبيها الأبيض
جاءت الفتاة المشرقة
لكن نظرته الحبيبة
كالكتاب المقدس

هزت كل اطرافها الفضة بالرعب
- اونا ! شاحبة واهنة !
كلمي ابـاك !

آه ! يا للخوف المرتجف !
آه يا للعطف الكئيب ! يهز زهرات
شعري الحائل . . .

الى تـــــيرزه

ربما اضيفت حوالي ١٨٠١

ما يولـد ميلادا فانيـا
ينبغي ان يستهلك مـع الارض
لينهض من النشـوء حـرا :
اذن ما لـي بـك ؟
الجنسان انبثقا من العار والغرور
نفخ فيهما في الصبـاح . وفي المسـاء ماتا
لكن الرحمة بدلت الموت نومـا
فهب الجنسان ليعملا ويبكيـا

انت يا ام جزئي الفاني
بقسوة صنعت قلبي .
وبدموع زائفة خادعـة لنفسها
عصبت منخري وعيني واذني :

عقـدت لساني في الطين الذي لا حس فيه
واسلمتني الى الحيـاة الفانية
ان موت يسـوع اطلقني حرا :
اذن ما لـي بـك ؟ .

قصيـــدة مــزيــده

نشرت حوالي ١٧٩٤ ولكن بليك لم يضمنها المجموعة

صـــــورة إلهيــــة

للقسـوة قلب انسـاني .
للغـيرة وجـه انساني !
للرعب الشكل الانساني الرباني .
والسـرية
هي في ثوب انسـاني .
الثوب الانساني حديد مطـروق

والشـكل الانسـاني
حانـوت الحـداد
والوجـه الانسـاني
كـور مختـوم
والقلب الانساني
جـوف منهـوم .

اعتمدت في كتابه المقدمة على المصادر الانكليزية الآتية :

1 — Sir Morris Bowra, The Romantic Imagination, London, 1966.

2 — T. R. Barnes, English Jerse, London, 1967.

3 -- John Press, The Fire and The Fountain, London, 1966.

4 — Boris Ford, ed., The Pelican Guide to English Literature, 5, From Blake to Byron, Harmondsworth, Middlesex, England, 1957.

5 — Lilian R. Furst, Romanticism in Perspective, Glasgow. 1969.

6 — Cristopher Ricks, Poems & Critics, London & Glasgow, 1966.

★ ★ ★

هملت وفلسفة النقد الأدبي *

بقلم : موريس ويتز
ترجمة : عبد النبي اصطيف

أولاً – في مبضع إليوت

ينبغي ان يكون الاهتمام الرئيسي لناقد مسرحية هملت – كما يبدو بالنسبة الى إليوت في مقالته القصيرة الرائعة « هملت » – (١٩١٩)(١) – دراسة المسرحية ككل ، مقارنتها بغيرها ، وتقويمها . وهو في تأكيده على التقويم اكثر من التفسير ، اضافة الى اهتمامه بهملت المسرحية عوضاً عن « هملت » البطل ، انما يعود بنا الى نقاد هملت وشكسبير في القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر .

★ انظر Morris Weitz, Hamlet and the Philonaphy of Literary Criticism, Faber and Faber, London (1972), PP. 37-43.

١ – T. S. Eliot, "Hamlet", Selected Essays (London 1932).
وقد نشرت هذه المقالة في البداية تحت عنوان (هملت ومشكلته) في مجلة The Athenasum العدد ٤٦٦٥ عام ١٩١٩ . وكل الاشارات التي ستلي ستكون الى المقالة المنقحة في « مقالات مختارة » .

وتقويم مسرحية هملت ــ كما ينشغل به إليوت ــ يشمل اجراء محاكمة للخصائص الفنية للمسرحية ، واعطاء اسباب لهذه المحاكمة ، وتقديم شرح لاخفاق المسرحية . ان هملت بالنسبة الى إليوت ــ اذ يبدا معالجتها ــ «اكبر اخفاق فني بالتأكيد» ، «وابعد كثيراً من ان يكون رائعة شكسبير»(٢) . انها في الحقيقة موناليزا الادب « Mona Lisa » وهي ممتعة اكثر من كونها عملاً فنياً عظيماً .

ويقدم إليوت ثلاثة اسباب لحكمه السلبي هذا :

* **الأول** : هو ان المسرحية غير متسقة في صناعتها الشعرية .

* **والثاني**: هو انها تتضمن مشاهد « غير مشروحة ، وليس لها غير مسوغ ضئيل كمشاهد بولونيوس ــ لايرتس Polonius - Laertes وبولونيوس ــ رينالدو « Polonius - Reynaldo » (٣) .

* **والثالث**: والاكثر اهمية وهو ان معظم العمل في المسرحية مسرف في عاطفته الاساسية . وهذا هو السبب الوحيد الذي يعتمد عليه إليوت بشكل رئيسي ، فالعاطفة الاساسية في المسرحية التي كتبها شكسبير هي شعور ابن تجاه والدته الآثمة(٤) ، ولكن هملت سود بعاطفة لا يمكن التعبير عنها ، لانها افراط في الوقائع كما تظهر(٥) ، يقول إليوت : والذي جرى خطأ هو ان شكسبير لم يوجد معادلاً موضوعياً لعاطفة هملت او :

« مجموعة من الموضوعات ، او موقفا ، او سلسلة من الاحداث، تكون صيغة لهذا الانفعال الخاص ، حتى اذا ما اعطيت الوقائع

٢ ــ إليوت : « مقالات مختارة » ص ١٤٣ .
٣ ــ المرجع نفسه : ص ١٤٣ .
٤ ــ المرجع نفسه : ص ١٤٤ .
٥ ــ المرجع نفسه : ص ١٤٥ .

الخارجيـــة ـ التي ينبغي ان تنتهي بتجـربة حسـية ، استعيد الانفعال نفســه حالاً »(٦) .

فـ «مكبث» على سـبيل المثال تتضمن هذا المجادل الدقيق وحالة السـيدة «مكبث» العقلية توصـف « بتراكم متقن لانطباعات حسـية متخيلة »(٧) عندما تمشـي في نومهـا مثـلاً .

« ان الحتمية الفنيـة كامنة في كفاية الخارجي التامة هذه للانفعال ، وهذا بالضبط ما ينقص هملت »(٧) وهكذا فان هملت تخفق جزئياً بسـبب من ان كثيراً منها غير متصـل ـ كما ينبغي ـ بانفعالها الاساسي ، كما تخفق في تشيىء Objectification هذا الانفعال في علاقات هملت بامــه .

ان إليوت يرفض التفسير او الشرح كوظيفة نقدية سليمة(٨) ، والشرح الوحيد للمسرحية الذي يسمح به هو « تقديم الوقائع التاريخية الوثيقة الصلة بالموضوع والتي لا يفترض بالقارىء ان يعرفها »(٩) . ولكن يبدو ان إليوت ينقض هذا التنازل بالسبب الثالث لتقويمه المسرحية ، لان جزءاً من هــذه الحجة يتضمن شرح هملت او تفسيرها وبالتحديــد (الانفعــال الاساسي في المسرحية والذي هو شعور ابن تجاه أمه الآثمة) . واذا كان بالامكان اظهــار خطأ إليــوت في شرحه ، فان حجته يمكن ان تنهار ، وبالتالي فان معالجتــه الخاصـة تضعف ان لم تبطل بكاملهــا .

وينتقل بعدها إليوت ليعلل اخفاق شكسـبير في تقديم الوقائع التاريخية الوثيقة الصلة بمسرحية هملت ، ويستقي محاجته مــن ج. م. روبرتسـون J. M. Robertson ، و إ. إ. ستول E. E. Stoll ، في بيــان ان المسرحية

٦ ـ المرجع نفسه : ص ١٤٥ .

٧ ـ المرجع نفسه : ص ١٤٥ .

٨ ـ من المعلوم أن إليوت تخلى عن رفضه للتفسير انظر مقدمته لكتاب :
G. Wilson Knight **The Wheel of Fire** New York 1957.

٩ ـ إليوت : مقالات مختارة ص ١٤٢ .

ما هي الا تراكمات لمسرحية قديمة ، وان فهم شكسبير لانفعال هملت الاساسي فيها ما هو الا طبقة اخرى مضافة تندمج بالمواد الاكثر قدماً . ان « المأساة الاسبانية » Spanish Tragedy لكيد Kyd ومسرحية هملت المفقودة له ايضاً ، وحكاية بيلفورست The tale of Belleforest . اضافة الى النسخة الالمانية للمسرحية ، كل ذلك يتيح الفرصة امامنا لاستخلاص بعض هذه المواد القديمة اضافة الى استخلاص مسرحية اقدم :

« كان الحافز فيها ـ وبكل بساطة ـ حافز انتقام ، وكان العمل ـ او التاخير ـ بسبب صعوبة اغتيال الملك المحاط بالحرس لا لشيء آخر ، وكان جنون هملت مجرد تلفيق من اجل تجنب الشكوك وبنجاح »(١٠) .

ان التاخير في مسرحية شكسبير لم يفسر بصعوبات خارجية ، اضافة الى ان الجنون اثار الشكوك . ويبدو ان هملت كان مدفوعاً باكثر من الثأر ، في حين ان هذا « الاكثر من الثأر » لا يعبر عنه بوضوح او بموضوعية عن طريق العمل . ان مسرحية شكسبير تخفق بسبب كونه غير قادر على أن يستمد انفعال هملت الاساسي من المواد الصعبة المعالجة في المسرحية القديمة . وينتهي إليوت الى القول « بأننا ينبغي ان نقر بأن شكسبير قد عالج هنا مشكلة قد برهنت مراراً قبله »(١١) .

ويمكن ان يلاحظ ان إليوت ـ وحتى في مقالته الموجزة هذه ـ ينشغل بعدد من المهام المختلفة . فهو يصف بعض جوانب هملت ـ جنونه على سبيل المثال هو تلفيق اكثر منه جنوناً حقيقياً(١٢) ـ ويشرح المسرحية ، ويبين لماذا تخفق ، ثم يقومها في النهاية . وبما ان مهمته الاساسية كانت التقويم فلنحاول ان نمحصها اولاً .

١٠ـ إليوت : المرجع نفسه .
١١ـ إليوت : المرجع نفسه ص ١٤٦ .
١٢ـ إليوت : المرجع نفسه .

يزعم إليوت ان هملت اكبر اخفاق فني ، وهو يحاج في حكمه هذا ــ كما اعتقد ــ على الوجــه التــالي :

مقدمة اولى : احــد معايير العمل الفني العظيم انــه ينبغي ان يتضمن معادلاً موضوعياً للانفعــال الرئيســي .

مقدمة ثانية : مسرحيــة هملت لا تتضمن هــذا المعــادل الموضــوعي . Objective Correlatinc

نتيجــــة : ولهذا فانها ليست عملاً فنياً عظيماً ، اي هي اخفاق فني.

وثمة ردود عديدة ممكنة في هــذا الموضع ، واحدها ان نفنــد المقدمة الثانية ، وهذا معناه محاولة التاكيد على ان هملت ترضي معيار إليوت ما دامت الوقائع الخارجية ليست افراطاً في انفعال هملت ، بل انها في الحقيقة مكافئة لهــذا الانفعــال . وعلى هذا فان إليوت يخفق كناقد في التقاط هذا الانفعال الاساسي في شخصية هملت والذي تجسّد في عمل Cction وهــذا مساو لقولنــا ان إليــوت لا يحسن فهــم المسرحية لانه يخفق في شــرح شخصية البطــل هملت .

ويسلك ج. دوفر ويلسون J. Dover Wilson السبيل نفسها مؤكداً ان انفعال هملت ليس افراطاً في وقائع المسرحية ، لانه ليس مجرد انفعــال تجاه والدة آثمة فقط ، بل مسافحة ايضــاً :

« ان فكرة السفاح الشائنة هي الشبح الماثل في ذهــن هملت خلال المناجاة الاولى ، وهذا بالذات ــ بعيداً عن الاسراع المريع في اجراءات الزفاف ــ ما جعل كل « اعراف العالم » تبــدو مملة ومبتذلة وسطحية بل غير مجدية تلطخ طبيعته البشرية ، وتجعله ينتظر الموت، ويستحث الصرخة المرة: (سهولة الانقياد، والاسم امراة) هل الانفعال الكامن في هذا الكلام اسرافاً في الحقائق؟ انه سؤال الاختبار الذي

تقوم به قائمة مقولة إليوت او تتهاوى ، لانه اذا ما قبلت المناجاة الاولى على انها ملائمة مسرحياً ، فالبقية يمكن ان تتبعها »(١٣) .

هل من الممكن بعدئذ ـ كما يقترح ويلسون ـ ان يكون إليوت ، وليس شكسبير ، هو الذي عالج مشكلة دلل عليها مراراً قبله .

وثمة جواب آخر ممكن لتقدير إليوت السلبي للمسرحية وهو ان نستحصل على معادل موضوعي في المسرحية ، ليس في عاطفة واحدة ، ظنّ انها رئيسية ، ولكن لنقل في بعض موضوعات مضللة . وهذه الامكانية واردة في نقد ج. ويلسون نايتس (G. Wilson Knight) في تصوره لمجموعة من المشابهات في مسرحية هملت . كما هي واردة في تفسير(١٤) فرنسيس فيرغسون Francis Fergusson . فيما يلمحان الى سؤال مفاده ، لماذا يجب ان يتجسد العمل في مسرحية هملت في مجرد عاطفة او انفعال رئيسي ، ولماذا لا يكون المعادل الموضوعي موضوعاً ، او طباقاً ، او مقابلة ، او اسطورة ، او نموذجا طقسيا ؟

وايضا هناك رد ثالث ممكن في تخطي المقدمة الثانية ، والاستدارة الى المقدمة الاولى ، المقدمة الاساسية في محاجة إليوت . وهذا الرد يثير اسئلة جادة حول المعادل الموضوعي جملة . فاليوت يزعم أن الابانة من معادلموضوعي هو احد معايير الفن العظيم . ويبدو واضحاً من خلال مناقشته انهذا الشرط بالنسبة اليه ضروري ـ ولكنه غير كاف ـ للعظمة الفنية . وهو لا يقدم اي حجة يدعم بها هذا الزعم ، وبالتالي فثمة تساؤل يمكن اثارته هنا يتعلق

١٣ـ Wilson, «Mr. Eliot's Theary of Hamlet», **What Happens in Hamlet, Appendix D, P. 307.**

١٤ـ انظر الفصل السابع من هذا الكتاب .

بمكانة هذا الزعم او المذهب . هل هو بدهي ؟ هل هو صحيح بالتجربـة ؟ او انه مجرد مسلمة فنيـة بالنسبـة لاليوت ؟

وسؤال آخر هنا هو ما الذي يعنيه اليوت بالمعادل الموضوعي ؟ ان اليوت لا يعرّف هذا المفهوم . صحيح انه يعطي امثلة ولكنه يترك المرء يتساءل بعدها ما الذي يعنيه به ، ولماذا يقصره على الانفعال في الفن ، بالتاكيد فان « الحتمية الفنية » Artistic inevitability ليست دائما من هذا النـوع العـاطفي . وهكذا فان اليوت يبقى مديناً لنا إمـا بتعريف هـذا المفهوم المفتـاحـي او توضيحه(١٥) .

وثمة اسئلة اخرى ــ ربما كانت اكثر جوهرية ــ تتصل بنظرية اليوت ــ او بأي نظرية تقويم في النقد . وسوف أناقش ذلك بالتفصيل في الفصل السادس عشر ، ولكن ما دامت هذه المقالة النقدية تثير اسئلة كهذه ، فان تعداد بعض منها هنا يخدمنا بشكل جيد . إن غرض اليوت الرئيسي ــ هو ان يقدممعالجة معقلنة للمسرحية ؛ ويبدو انه يفترض ان التقويم شيء طبيعي بالنسبـة الى النقد ، ولكن هل هو جزء ضروري لدراسة اي عمل فني ؟ وهل يخلّ التقويم بالنقد ، واكثر من هذا إن اليوت يحاكم المسرحية ، فهل محاكمته هذهصحيحة ام خاطئة ؟ واخيراً هو يقدم اسباباً لمحاكمته ، ولكن ثـلاثـة اسئلة يمكن ان تثـار هنـا :

ما هي الصلة بين المحاكمة والاسباب ؟

١٥ــ من اجل نقـد متخلخل لمعادل إليوت الموضوعي انظر : كتـاب Elisea Vivas فصـل « The Objective Carrelative of T. S. Ellot » .
فـي كتـابه Creation and Discovery (New York 1955) .
الصفحات ١٧٥ ــ ٢٠٦ .

هل محاجة اليوت في إخفاق مسرحية هملت الفني ـ كما يبدو انه يقترح ـ استنتاجية ؟ ام هي استقرائية ؟ او هل ثمة إمكانية اخرى ؟

وغرض اليوت الثاني في مقالته ـ على الرغم من احتجاجه ـ هو الشرح، وكما يلاحظ ج دوفر ويلسون فان ما هو خطأ في مسرحية هملت يصبح بالنسبة لاليوت خطأ في البطل هملت . ولذلك فهو يقرر ـ مقتفياً في ذلك اثر روبرتسون وستول ـ ان الناقد يستطيع ان ينتفع بحقائق تاريخية معينة (اعني اوصافاً وشروحات معطيات معينة خارج المسرحية) ليكون فرضية توضح ما هو محير في المسرحية . هذا الزعم يستدرجنا الى احد بيانات « المنهج » « Method » الفعال في النقد والمسمى بالتاريخي « Historical » والذي سيكون لدي الكثير مما يمكن ان اقوله عنه في الفصلين اللاحقين . وتكفي الاشارة هنا الى ان اليوت يقبل وثاقة صلة الحقائق التاريخية في صياغة فرضية وشرحه اللاحق لاخفاق مسرحية هملت . وثانية يقود ج ، دوفر ، ويلسون الهجوم على هذا التطبيق المحدود للمنهج التاريخي في دراسة هملت فيقول :

« إن شكسبير ـ كما يخبرنا اليوت وروبرتسون وستول ـ يلقي بطراز شعره الذي لا يضارع على البنية البدائية لمسرحية كيد ، ولكنه كان غير قادر تماما على ان يبعث فيها الحياة دراميا ، ويبدو انه ليس لديهم اية مبادىء جمالية او درامية او ما شابه ذلك . بل هم يبحثون عن شرح وتقويم كل شيء في شكسبير بالاشارة الى الأسباب التاريخية . وهكذا فانهم عندما يأتون الى المقطوعات او المشاهد او الشخصيات التي تربكهم ، وبدلاً من سؤال انفسهم ماذا يمكن ان يكون غرض شكسبير منها ، او ماالوظائف الفنية التي يمكن ان تتضمنها مقاطع او مشاهد او شخصيات كهذه في مسرحية كتبت للمسرح الاليزابيثي وللجمهور الاليزابيثي ، تراهم يسمونها رفات مسرحية قديمة ،

ويتحدثون عــن عــمر مواد شكسبير او فجاجة الدراما الاليزابيثية »(١٦) .

إن ويلسـون يسـلّم بأن بعض صعوبات هملت يمكن شرحهــا تــاريخيــا ـ كالتناقضات التي تثيرها تنقيحات المسرحية ـ كعصــر هملت على سبيل المثال ، ولكن شرح معظمها امر غير ممكن ، يقول : « إنني اشك في ان تنسب اي من هذه الصعوبات الى استعصاء حل العقدة الموروثة ، وانا جد متاكد انها يمكن ان تتلاشى جميعاً في ايام المسرح »(١٧) .

ولكن اعتراض ويلسون الرئيسي على نقاد هملت « التاريخيين » يتوجه نحو إهمالهم لصعوبات جمة في المسرحية تتطلب معرفة تاريخية لحلهــا « إن الصعوبة الرئيسية للنقاد التاريخيين هي جهلهم للتــاريـخ ونقص فضــولهــم التــاريخي »(١٨) . وهــو يؤكــد ان علينــا ان نعرف الكثير عن علم الارواح الاليزابيثي Elizabethan demonology وعن النظرية السياسية ، والحوادث النفسية والسياسية ، والاستعمالات اللغوية ، إذا كنــا نريد ان نفهم جميــع معطيات المسرحية الاكيدة . فويلسن إذن لاينكر وثاقة صلــة التــاريخ بنقــد هملت ، بل على العكس انه يؤكد على استعماله السليم كتمهيد للتحليل الفني للمســرحيــة .

★ ★ ★

١٦ـ Wilson, « The New Shakespeare » Hamlet, PP. XLVI-LVII

١٧ـ المرجع نفسه ص XLVII .

١٨ـ المرجع نفسه ص L .

ثانيـا ـ في تفسيـرات « نايت »

يكتب ج ، ويلسـون ، نايت G. Wilson Knight ، مثلنا الثالث ** ، عن مسرحية هملت في كتـابـه « دولاب النـار »(١) «The Wheel of Fire» (١٩٣٠) .. إن نقد نايت يختلف في منهجه ومجـالـه عن نقـد برادلي(٢) Bradley وجونز(٣) Jones ، فعوضاً عن الابتداء بتطبيق مقولات خاصة لفهم المسرحية ـ كالشخصية او العقدة ـ كما يفعلان من قبل انتقالهما الى مهمتهما الرئيسية في شرح هملت ، يبدأ نايت بعرض وتسويغ مطـولـين لفن شعري خاص بالدراما الشكسبيرية ، يطبقه بعدها على المسرحية .

إن مشكلة نايت ـ كما يصفها ـ هي ان يقدم قراءة صحيحة للمسرحية، وهو يفضل ان يـدعو هذه المهمـة « تفسيرا » Interpretation اكثر منهـا « نقداً » ، قاصراً النقد على المقارنة والتقويم.ولكن هذا القصر غير ضروري ـ كما يعترف هو نفسه(٤) . وانا افضل ان أؤول ما يدعوه بالتفسير ببساطة على أنه جزء واحد من العملية النقدية يقف جنباً الى جنب مع اجزاء اخرى

* انظر الفصل الثالث من كتاب :
Morris Weitz, Hamlet and the Philosophy of Literary Criticism
Faber and Faber, London (1972), PP. 27-36.

** في قائمة نقاد هملت الذين تتم مناقشة نقدهم في الكتاب السابق .

١ ـ انظـر G. Wilson Knight, The Wheel of Fire, London 1930; 5th ed. revised New York, 1957).

٢ ـ انظر كتابه . A. C. Bradley, Shakespearean Tragedy London (1904). (المترجم)
وكتاب موريس ويتز المذكور آنفاً : ص ٣ ـ ١٨

٣ ـ انظر كتابه Ernest Jones, Hamlet and Oedipus New York (1949). (المترجم)
وكتاب موريس المذكور سابقاً ص ١٩ ـ ٢٦

٤ ـ انظر G. Wilson Knight, Ibid, P. 16.

كالتقويم والمقارنة . إن هذا سيكون اقل تضليلا من إعادة نايت للتعريفات وهو لن يشوه اغراضه باية طريقة كما اعتقد . وهكذا فان المهمة الاولية لناقد مسرحية هملت بالنسبة الى نايت ، هي ان يقدم تفسيراً لها ، وهذا مساو لفهم المسرحية .

ان تفسير مسرحية هملت بالنسبة الى نايت يعتمد على نظرية صحيحة عن طبيعة الدراما الشكسبيرية ، ودون فهم شعري كهذا فان تفسير هملت او فهمها غير ممكن . وافضل مدخل للفن الشعري الخاص بالدراما الشكسبيرية كما يعرضه نايت متضمن ــ كما اعتقد ــ في محاضرته « هجوم تولستوي على شكسبير » (١٩٣٤) التي اعيد طبعها في كتابه « دولاب النار » . يقول نايت:

« لم نفهم شكسبير بعد ، وخطؤنا هو التركيز على الشخصية والمظاهر الواقعية بشكل عام ، وهذه اشياء لا تشكل عظمة شكسبير الاساسية ، اضافة الى الاهمال المدمر للرمزية الشعرية الشكسبيرية والذي هو مشابه لذلك وخطر حقاً »(٥) .

ان الشخصية والعقدة ليسا كل شيء في مسرحيات شكسبير ، بل هما وجهان لشيء اكبر هو حقيقة الزمان ــ المكان ــ كما يحدده نايت ــ في كل واحدة من مسرحياته . يقول نايت في فصله الاول المعنون « في مبادىء تفسير شكسبير » : ثمة

« مجموعة من المشابهات المتصلة ببعضها ، وبشكل مستقل عن تتالي الزمن الذي هو القصة ، مثل موضوع الموت في مسرحية هملت ... والذي دعوته احياناً بجو المسرحية «The play's atmosphere» »(٦) .

ان الشخصيات والعقدة محكمة التلاحم بهذه المجموعة من المشابهات ،

٥ ــ المرجع السابق الصفحات ٢٧١ ــ ٢٧٢ .
٦ ــ نفسه ص ٣ .

وهكذا فان الشخصيات تخضع لمقتضيات زمانية ومكانية Spatial, Temporal وتمييز هـذه الوجوه المكانية يخدم كثيراً في تقليص وجود اخطـاء في تطور الشخصية : « هناك في اعمال شكسبير ذلك التداخل المحكم للزماني ـ الذي هو سلسلة عقدة الاحداث التي يتلو بعضها بعضا ـ بالمكاني ـ الذي هو الحقيقة الغامضة والكلية التي تحضن السكون المهيمن على حركة المسرحية وفي داخلها ايضـا »(٧) فتحت سطح العقدة والشخصية « العنصر الزماني » يكمن ذلك « الجوهر المتقد للحقيقة العقلية او الروحية « العنصر المكاني » التي تستمد منه كل مسرحية طبيعتها ومعناها »(٨) . ان كل مسرحية شكسبيرية بخاصتها الاساسية المكانيـة ما هي الا « استعادة موسـعة Expanded metaphore بمعنى ان الرؤية الاصلية قـد طبقت بأشكال متشابهة تقريباً مـع الحقيقة الفعلية »(٩) . هذه الاشكال يمكن ان تتصور على انها موضوعات ـ على سبيل المثال مواضيع الكره والموت وغيرها ـ هي بمثابة القلب الداخلي ، او جوهر المسرحيـة .

كل دراما شكسبيرية اذن ـ تبعا لنايت ـ لها طبيعتها الاساسية المؤلفة من العناصر الروحية والرمزية والموضوعية (من Thematic) (التي هي العنصر المكاني) ملتحمة بالعقدة والشخصيات (التي هي العنصر الزماني) . ان الصفة الاساسية المميزة لكل دراما هي عنصرها السكوني الموضوعي عموماً . وهذا التحديـد ـ كمـا يقول نايت ـ هو التحليـل الصحيـح لطبيعـة الدراما الشكسبيرية او جوهرها . وضمنـاً فان هـذا اقرار صحيـح بكون هملت ـ جوهرياً ـ مسرحية على سبيل المثـال .

والنقد كتفسير ـ كما يحدده حينئذ نايت من خلال تحديده للدراما ـ هو طريقة في فهم الدراما يلتقط فيها المرء حقيقتها الزمانية ـ المكانية ، انه محاولة الوصول الى بؤرة تركيز صحيحة في المسرحية ، الى « الجوهر الحقيقي

٧ ـ نفسه الصفحات ٤ ـ ٥
٨ ـ نفسه الصفحة ١٤ .
٩ ـ نفسه الصفحة ١٥ .

المسرحية المدروسة »(١٠) . ان التفسير هو محاولة لاعادة بناء رؤيا الشاعر ، ليس عن طريق فهم الشاعر ولكن عن طريق فهم خلقه ، وذلك « بمحاولة فهم موضوع هذا الخلق في ضوء طبيعته الخاصة وباستعمال الاشارات الخارجية كتمهيد للفهم فقط »(١١) . انه يرى « المسرحية ككل مطروحة امامه كمنطقة وذلك بتزامن مع تنبه لهذه المشابهات المنتشرة بكثافة في منظر واحد من هذا الكل »(١٢) . وهو ميتافيزيائي يهدف الى ادراك الحقيقة العضوية للعمل الفني المعروض عليه .

وبتعبير سلبي ان التفسير يستلزم رفض البحث في مقاصد الشاعر من انشائه العمل الفني ، او في مصادر المسرحية ، او في الجوانب الاخلاقية للشخصيات ودوافعها في المسرحية . وعلى الاساس نفسه ان هذه البحوث تفرض ، على الحقيقة الحية للفن ، منطقاً غريباً عن طبيعته تماماً(١٣) .

وباختصار ، ان التفسير هو محاولة من جانب الناقد لشرح النموذج الموضوعي الاساسي المتحكم بالمسرحية . واذا كان هذا الشرح المجسد يعبر عن حقيقة المسرحية ، فانه عندئذ يمكن ان يقال عنه انه التفسير الصحيح ، او قراءة للمسرحية .

ويمكن ان نفسر هملت الآن . ان جوهرها المكاني الذي يحدد كونها دراما يمكن ان يلتقط . وبواسطة العقل المفسر يمكن ان يسند معنى معيناً الى المسرحية ككل . وهكذا يقدم لنا نايت تفسيره للمسرحية والذي هو القراءة الصحيحة لها على زعمه . ان الحقيقة المركزية للمسرحية ــ تبعا له ــ تكمن

١٠ــ نفسه الصفحة ٢ .
١١ــ نفسه الصفحة ١ .
١٢ــ نفسه الصفحة ٣ .
١٣ــ نفسه الصفحة ٧ .

في الصراع بين الخير والشر ، بين الصحة والمرض ، بين الحياة والموت(١٤) ، أما شخصية هملت بطل المسرحية فان الموت هو الشيء الاساسي فيها وهو الذي يحذر مصير كـل المشابهات في المسرحية والعقـدة والشخصيات على السواء : « حقاً ان الموت هو موضوع المسرحية ، لان مرض هملت كان عقلياً ، موتاً روحياً »(١٥) . ان المسرحية في الواقع تمثل انتصار الفناء على الحياة .

« ان عالم المسرحية ـ باستثناء موت والد هملت في الاصل ـ هو عالم الحياة النشيطة والسليمة ، والطبيعة الخيّرة ، وحس الفكاهة ، والقوة الرومانتية ، والثروة ، مقابل خلفية ذلك الرمز الذي هو هملت الشاحب المصحوب بوعي الموت . ان سفير الموت يتجول وسط الحيـــاة »(١٦) .

« ان هملت في عالم المسرحية ـ بغض النظر عما يمكن ان يكون قد حـدث في الماضي ـ هو العنصر المعارض الفريـد ، والعائق الوحيد ، للسعادة والصحة والرخاء ؛ انه الموت الحي في وسط الحيـــاة »(١٧) بينما يقف كلوديوس والبلاط من جهة أخرى كرمز للحياة والصحة . « انهم من هذا العالم ـ بجرائمهم، وسطحيتهم، وخيلائهم ، وتألقهم . انهم من المجموعة البشرية ـ التي هي رغم سقطاتها حقيقية وهي مع ذلك انسانية »(١٨) .

١٤ـ يناقش نايت (مواضيع الحيـاة) في مقالتـة (وردة أيـار) « The Rose of May » في كتـابـه : **The Imperial Theme** الصـادر في لندن عام (١٩٣١) . ومع ان تفسيره في مقالتـه قـد الحق بالكتـاب الآنف الذكـر « دولاب النـار » الا انـه لا يناقض اي شيء حول هملت فيه .

١٥ـ . Knight, **The Wheel of Fire**, P. 28

١٦ـ نفسه ص ٣٢ .

١٧ـ نفسه ص ٤٠ .

١٨ـ نفسه ص ٣٤ .

ان الدانيمارك والعـالم ؛ اللذين يمضيان ككائن بشـري سليم ، همـا الصحيحان ، وهملت وحده هو المريض . ان فهم نايت الاساسي قائم ـ كمـا يقول هو نفسـه ـ على مركز الوعي القريب من الموهبة المبدعة للشاعر »(١٩) لم يصور كلوديوس كشر ؛ « بل انه ليعبر عنه »(٢٠) ، فحكومته تتحرك بيسر، وهو بدوره يبدي لباقة في معاملته لحاشيته واهتماماً حقيقياً بزوجه ـ ام هملت ـ ، وحتى لطفاً ـ على الاقل في البداية ـ تجاه هملت نفسـه « انه ـ مهما يبدو غريباً ـ ملك لطيف خيّر ، وقع في شرك سلسلة سببية متصلة بجريمة ، وقد كان بامكانه ـ ربما ـ ان يكسر هـذه السلسـلة الا بالنسبة الى هملت ، وكان في حدود قدرته ان يجعل كل شيء جيداً »(٢١) . بل انه حتى ليرتفع الى مرتبة العظمة ـ كما يقول نايت ـ بعد المشهد المسرحي في صلاته : « ان الزهرة الجميلة للروح الانسانية المكروبة » ربما كانت اقرب الى السماء في هذا المشهد من الباحث عـن القتل « هملت »(٢٢) .

وفي مقابل كلوديوس والآخرين ـ باستثناء الشـبح ـ نـرى ان هملت غير انسـاني :

« انه سوبرمان بين الرجال ، وهو رجل خارق لانه مشى الى الموت وتحدث معـه ، وضميره يعمل في اطار مـن الموت ورفض

١٩ـ نفسه ٣٢ .

٢٠ـ نفسـه .

٢١ـ نفسه ص ٣٥ .

٢٢ـ نفسه ص ٣٦ ، وانظر ايضاً كتاب برادلي السابق ذكره حيث يقول : « عندما كان كلوديوس يصلي من أجل المغفرة . كان مصمماً طول الوقت وبشكل كامل على الاحتفاظ بتاجه ، وكان يعرف ذلك ، واكثر من هذا ـ وهـو من أروع مـا في أعمال شكسبير مع أنـه يصفه بشـكل هادىء جداً يجبرنا على عدم التنبه له ـ فان الملك عندما كان يصلي لمغفرة قتله الأول ، كان قد انهى الترتيبات الاخيرة للقتل الثـاني ـ هملت ـ ولو رغب هملت حقاً في قتله في لحظـة انعدمت فيهـا أية أمـارة من أمارات الخـلاص ، لما كان في حاجة عندما أن ينتظر ، انظـر A. C. Bradley, Shakespearean Tragedy, (P. 171 and n. 1)

الكلبية . لقد راى ـ هملت ـ وحـده ـ ليس دور الدانيمارك فقط ، بل دور الانسانية ايضاً ـ حقيقة العالم ، وهذه الحقيقة هي الشر ، وهكذا فان هملت هو عنصر شر في دولة الدانيمارك»(٢٣) . ان هملت مسكون بسم الرفض واللاشيئية ولذلك « فهو يهدد عالماً من الاصرار الايجابي »(٢٤) .

الموت اذن هو موضوع المسرحية ، وظل الموت يكاد يطيف بالمسرحية من البداية حتى النهاية ، وهملت البطل يعكس هذا الامر اساساً ؛ ولذا فاننا حتى نستطيع ان نمسك بلب غموضه لا بد لنا من ان نركز على مرض روحه . ان كل مشاكل شخصية هملت وصعوباتها يمكن ان تشرح في سياق ترميزية هملت للموت كما يزعم نايت . فعندما نلتقي بهملت للمرة الاولى نراه قد فقد لتوه كل عزم على التصميم وغدا هزيل الروح . وموت والده وزواج والدته الثاني ـ كما تكشف عن ذلك مناجاته الاولى ـ يثيران حالة مـن القنوط في نفسـه . « ان امله في الشفاء والعودة الى الحالة الطبيعيـة للحيـاة العقلية السليمة يعتمد بشكل كبير على مقدرته على نسيان ابيه ، والصفح عن امه . وقد اوصاه كلوديوس خيراً(٢٥) » ولكن هملت حاور بعدها الشبح الذي طلب منه بدوره الثار وليس النسيان او العفو . انه مدان لتوه ؛ فهو لا يستطيع ان يتحرك ، لقد غودر روحاً مريضة ، مدانة حتى تشفى ، واوفيليا ـ امله الاخير في الشفاء من خيبته العصابية ـ تدعه . انـه منتـه ، شراكه المرارة والكلبية والاشمئزاز مـن الحياة والكراهيـة « هو لا ينتقم لموت والده لان بداهته معطلة ، وارادته معدومة وغير مجدية ، هي كساق مكسورة ، لا شيء ذو شان »(٢٦) . ويبقى هملت ـ حتى نهاية المسرحية تقريباً ـ « في عملية

٢٣ـ Knight. The Wheel of Fire, P. 38 .

٢٤ـ نفسه نفسه ص ٤١ .

٢٥ـ نفسه ص ١٩ .

٢٦ـ نفسه ص ٢٣ .

مستمرة لقتل النفس »(٢٧) ، ومن خلال القسوة ، والعذاب المفرط ، والاهانة، يصبح اكثر فاكثر رمزاً للموت ، وهو يتردد فقط في الثار ، وليس في متابعة وصية والده الاخيرة .

وداعا ، وداعا يا هملت تذكرني .

وهملت يطيع ــ ليس بحكمة وانما برغبة وبشكل جيد جداً(٢٨) ــ فهو لم يقم باي شيء غير تذكر شبح والده . يقول هملت :

الروح الذي رايتــه
ربما كان الشيطان

انه هو .

« انه شيطان معرفة الموت الذي تملك هملت ، وساقه من البؤس والالم الى المرارة المتصاعدة والكلبية والقتل والجنون »(٢٩) . هملت اذن ــ في عالم المسرحية الدرامي ــ يرمز الى مبدا رفض الحياة المجدورة مقابل عالم الثبات .

وهكذا فان نقد نايت لمسرحية هملت مركب من :

فــن شعري Poetics .

ونظرية في التفسير Theary of interpretation .

وقراءة معينة للمسرحية Particular Reading of the Play .

والآن ماذا يمكن ان نقول في هذا النقد ؟ ، ربما يعتقد المرء انه ينبغي على الاقل ان يقــال : ان نقــد نايت كله نظراً وتطبيقاً غير صحيح . تامل ــ في البداية ــ تفسيره الخاص لهملت، هل هو تفسير صحيح ؟ هل ينسجم ما يقوله

٢٧ــ نفسه ص ٢٦ .
٢٨ــ نفسه ص ٣٠
٢٩ــ نفسه ص ٣٩ .

عن الجوهر الموضوعي الاساسي لمسرحية هملت مع جوهر المسرحية ــ مفترضاً لحين ــ ان هذا الاساس يحدد مسار كل شيء آخر في المسرحية ؟ ثمة شكوك جادة فعلاً ! اولاً : ان تصور نايت لعالم مسرحية هملت على انه عالم صحة وقوة وانسانية ، وان هملت هو الشخص الوحيد المريض فيه ، يبدو غير صحيح مطلقاً وبعيداً ــ الى الحد الذي يمكن للمرء ان يتصوره ــ عن مركز وعي الشاعر . واذا كان ثمة شيء من هذا ــ كما اشار فرنسيس فيرغسون من بين آخرين ــ فانه العكس . ان عالم مسرحية هملت ــ الذي يشمل البلاط ــ هو عالم فاسد ، غير سليم ، متعفن ، مؤسس على القتل والسفاح ، وهملت هو الشخص السليم الذي يسعى ــ ليس بشكل حاسم ان شئنا الدقة ــ للكشف عن هذا الخراج الدفين وتطهيره . وانا لست ازعم ان الراي الاخير صحيح ، ولكن فقط ان كان لها هذا الجوهر ــ مهما يكن أن يكون هذا الجوهر او الحقيقة الروحية للمسرحية ــ فان نايت يصنع من المسرحية مظهراً اخلاقياً خادعاً بهذا الطباق بين الحياة والموت . وعلى اي حال فان كلوديوس ــ وليس هملت ــ هو المغتصب في عالم المسرحية .

ثانياً : ان تصور نايت لهملت ــ على انه عنصر رفض ، وانه رمز للموت ضد الحياة ــ مفهوم ضيق جدا . فهملت بالتأكيد أكثر من هذا مهما يفسر المرء ما تبقى منه . ويبدو ان برادلي اكثر قرباً من الحقيقة ــ إن كان ثمة حقيقةعن واقع هملت الروحي في المسرحية ــ عندما يفسر هملت على انه رمز ــ ليس للرفض ــ ولكن لرحابة عالمنا الروحي وغموضه ، ذلك العالم الذي تستطيع فيه روح عظيمة كروح هملت ان تضحي بنفسها في كفاحها ضد الشر ، وثانية انا لا اعارض نايت في كون هملت رمزاً للرحابة ، ولكن فقط اود ان اشير الى انه اذا كان يمكن ان يقال ان هملت يرمز الى شيء ، فان تفسيراً آخر امر ممكن . اما كيف يمكن للمرء ان يستطيع ان يقرر اي التفسيرات هو الصحيح ، او انه يمكن ان يقرر فسأناقشه فيما بعد . كل ما ارغب ان ازعمه هنا في هذه المرحلة هو ان المرء يستطيع بالتأكيد ان يقرر متى يكون التفسير الخاص ــ وللاسف ــ غير كاف ، وخاصة عندما يشوه او يحذف بعض حقائق

واضحة في المسرحية ، كمواقف هملت غير السلبية ، تجاه الحيـاة والعالم في هذه الحالة الخاصة .

ثالثاً : إن نايت لا يلتقط مجموعات المشابهات ــ التي يبحث عنها هــو نفســه ــ في المسرحية ، وثمة في نظريته الخاصة في التفسير ما هو اكثر ممـا يتصور هو نفســه ليتفهم . إن نايت يعيد عالم المسرحية الى موضوعات مكانية محددة : الخير مقابل الشر ، الصحة مقابل المرض ، والحياة مقـابل الموت . ولكن المسرحية وبشكل واضح تتيح منظوراً اغنى من هذه المجموعةمن الاقطاب. فاذا ما كان الجو الروحي متطلباً ، فلم لا يجمع المرء هذه الرحابة المطلقـة ، وقابلية فهم الجزئيات الدقيقة لخبرتنا الانسانية ، والتي مسرحتفي هملت ــ تلك الرحابة المطلقة وقابلية فهم الجزئيات الدقيقة التي تبدو انهـا تتحـدى إمكانية إيعازها الى صيغة واحدة . وبالتأكيد وفي دراسة مـاهـو اساسي في هملت ، ان حقيقة المدى المجيد للخبرة الانسـانيـة هذه ، هي جزء من فتنـة المسرحية التي يمكن ان تكتشف .

إن تفسير نايت الخاصلمسرحية هملت يبدو لي غير صحيح لهذه الاسباب الثلاثة . فهو يحذف مناطق من المسرحية تتطلب تفسيراً ويشوه ــ الى درجة مضحكة احياناً ــ المناطق التي يمسحها .

وماذا عن نظريته في التفسير :

من الاهمية بمكان الاشارة اولاً الى انه بالرغم من ان نـايت يجمـع الى نظريته تفسيراً خاصاً للمسرحية ، فان نظريته وتفسيره متميزان عن بعضهما ، اي ان المرء يستطيع ان يقبل ــ او ان يرفض ــ نظريته في التفسير دون قبول قراءته الخاصة للمسرحية او رفضها بالضرورة . فعلى سبيل المثال يستطيع المرء ان يوافق على ان التفسير في النقد يهدف الى التقاط لب المسرحيـة ، وان ينكر بعدها على نايت ان يكون قد التقط هذا اللب . وقد اوضحت لتوي

ان نايت لم يلتقط الاحتمالات الممكنة في مجال المسرحية ، واريد الآن ان اثير بعض الأسئلة عن التفسير في مجموعه .

إن تعريف نايت للتفسير كفهم للواقع الروحي للمسرحية يعني ان هذا الواقع موجود فيها ليلتقط من قبل المفسر « في ضوء طبيعتها الخاصة بها » . ولكن ما الذي يمكن ان يعنيه هذا ؟ ثمة اسئلة عن هملت يمكن ان تقرر بهذه الطريقة ــ ميزات هملت العضوية والنفسية مثلاً ــ ولكن ما هو لب ، او واقع روحي او مركزي في مسرحية هملت لا يمكن ان يقرر بهذه الطريقة . ويبدو لي اننا لانجد الواقع الروحي للمسرحية باي نمط من الفهم ، بل على العكس ، إننا عندما نفسر مسرحية فاننا نقوم بصياغة فرضية عما هو مركزي فيها ، ومن ثم نستعمل هذه الفرضية لايضاح كل شيء آخر فيها . ثمة في المسرحية شخصيات وحوار وعقدة وامزجة وربما موضوعات مقررة ، ولكن ليس هناك شيء له جوهره الخاص به ، والذي يمكن ان نكتشفه على ضوء من طبيعته الخاصة . ان الناقد هو الذي يسلط اضواء هذه المركزية او الجوهر على المعطيات التي تتجمع عندها بواسطة فرضيته عن المسرحية .

إن نظرية نايت في التفسير ــ كما ارى ــ غير صحيحة ، لانه يزعم ان التفسير نمط مستقل في فهم المسرحية ، لايعتمد على شيء إلا رؤية المسرحية في ضوء طبيعتها الخاصة بها . ولكن التفسير غير مستقل ما دام يعرف في ضوء نظرية الدراما الشكسبيرية (نظرية نايت) التي وظفت لتشرح مسرحية هملت. ان ما يقصده نايت بالتفسير اذن ما هو الا نمط من الشرح يستطيع الناقد من خلاله أن يبحث عن شرح للمسرحية كلها . وليس عن شرح لمجرد واحدة من الشخصيات فيها . وهكذا فان التفسير ليس نظرية ، بل هو حد اقصى ، وهو .

« لنقد مسرحية من مسرحيات شكسبير ابحث دائماً عن فرضية توضح وتربط كل مكونات هذه المسرحيات بها » .

إن مشكلة المتانة المستقلة للتفسير في مقابل الشرح تثير مقولة اخرى في النقد ، وسوف اعود لها في الفصل الخامس عشر من هذا الكتاب(٣٠) .

واخيراً دعنا نتفحص الفن الشعري للدراما الشكسبيرية الذي طرحه نـايت .

إن نظرية نايت في التفسير قائمة على نظريته في الدراما الشكسبيرية او – لنضعها في اللغة التي اقترحتها من قبـل – هي قـائمـة على نمط في شرح المسرحيات الشكسبيرية بواسطة واقعها الروحي المستمدة من افتراض مفاده ان هذه المسرحيات لها تلك الوقائع التي هي ميزاتها المحددة لها . ان فن نايت الشعري في الدراما الشكسبيرية هو ان لكل مسرحية ذلـك الواقـع الروحي (الموضوعي) وان هذا الواقع اكثر اهمية من الشخصيات او العقـدة او اي شيء آخر .

وهنا ، ثانية ، ينبغي لنا ان نثير اسئلة اساسية :

١ – هل مصطلحاته التعريفية للدراما الشعرية واضحة ؟

والذي يعنيه « بالجو » Atmosphere وبالروحي Spiritual وبالجوهر المتقد للواقع العقلي او الروحي وبالمكاني Spatial ؟ هل هي اكثر مـن مصطلحات مجازية غامضة ؟

٢ – هل تعريفه صحيح ؟ وكيف يمكن للمرء أن يبرهن ان الموضوعاتأساسية في الدراما الشكسبيرية ؟

٣ – هل زعمه بأن الزماني – المكاني ، او مجموعات المشابهات اكثر اهميـة من الشخصية او العقدة صحيح ؟

٣٠– انظر : الفصل المعنون بـ « الشرح » « Explanation » فـي كتـاب « M. Weitz »
Hamlet and the Philosophy of Literary Criticism »
الصفحات (٢٤٥ – ٢٦٨) (المترجم)

او بالأحرى او ليس بتعريفه للدراما الشكسبيرية لا يقوم بوظيفة البيان الصحيح عن جوهر هذه الدراما ، بل بوظيفة توصية بالنظر في الدراما الشكسبيرية بطريقة معينة.اي النظر اليها كشيء هو اكثر اهمية من الشخصية او العقدة ؟

إن نايت في رايي لم يعط تعريفاً حقيقياً للدراما الشكسبيرية ، انه لم يعط بياناً صحيحاً عن الميزات الضرورية والكافية لها . ولكنه يبطل نفور التعريف ـ قدم توصية قوية للدخول في موضوعات الدراما الشكسبيرية ـ اكثر من اي شيء آخر ـ لصياغة فرضية اساسية لمعنى المسرحيات كل على حدة .

★ ★ ★

دستويفسكي

وراوية هيجو .. اليوم الأخير لمحكوم بالإعدام

بقلم : لاري ر . اندروز   ترجمة : عرفان العبرة

مما هو جد ممتع في مضمار دراسة مسالة التاثير والتاثر ان نصادف كاتبا خبر في الواقع أزمة استولت على خياله في مجال الادب • تلك هي حال دستويفسكي كقارىء لفكتور هيجو • اذ بعد ما ينوف على عقد بقليل من اعجاب دستويفسكي الاول بقصة هيجو التي تصور العذاب النفسي الذي عاناه قبل تنفيذه رجل محكوم بالاعدام ، فقد عانى دستويفسكي نفسه من عذاب الاعدام الهزلي المعروف في (بتراشفسي) • قد يبدو مستحيلا ، او على الاقل من غير المناسب ، ان نبحث عن اي تاثير هام لرواية (اليوم الاخير لمحكوم بالاعدام) على اعمال دستويفسكي • ذلك انه لم يكن بالتاكيد بحاجة الى اي شخص اخر ليصف له مخاوف المحكوم عليه • ومع ذلك فلقد اثر عمل هيجو الصغير في حجمه على مستقبله الادبي • وعزز واقع خبرته الخاصة البصمات الاولى التي خلفها الكتاب في نفسه • وبعد ذلك الاعدام الهزلي بفترة طويلة تابع مديحه لخصائص العمل الادبية وتناوله بالدرس لاستخلاص المادة التي رغب فيها ، وعلى الرغم من اطرائه على فكرة (البؤساء) ، فان (اليوم الاخير) هي الاقرب الى تكنيك دستويفسكي الروائي من بين كل اعمال هيجو •

لم يعر المثقفون الغربيون الا انتباهاً ضئيلا لاهتمام دستويفسكي بهيجو ، ولا سيما بهذه الرواية على وجه الخصوص • ويعود هذا الى اهمال هيجو عامة قبل فترة الاحياء الحديث للاهتمام النقدي به • وبالامكان تفسير ذلك أيضاً على ضوء

(1) Comparative Literature, Winter 1977, No. 1, PP. 1-16.

الندرة النسبية لاشارة دستويفسكي الواضحة الى هيجو ، اذا ما قورنت باعترافه بفضل بلزاك على سبيل المثال · ولقد لاحظ المثقفون السوفييت الأوائل عدداً من الصلات بين الكاتبين ، ولكن يبدو أن الموضوع قد أهمل في الأعوام الأخيرة · ان وصفاً أكثر شمولية لأصداء (اليوم الأخير) المحددة في كتابات دستويفسكي سوف يسهل الوصول الى استنتاجات عامة معينة حول مقومات كتاب هيجو التي استجاب لها دستويفسكي استجابة قوية ·

ولا ريب في أن دستويفسكي قرأ (اليوم الأخير لأول مرة في صيف عام ١٨٣٨ عندما كان منكباً أيضاً على دراسة هوفمان وبلزاك وغوته وكورنى وراسين · ويفيد في رسالة موجهة الى أخيه مكسايل في التاسع من آب من ذلك العام انه قد قرأ كتب فكتور هيجو ، عدا كتابي (كرومويل) و (هيرناني) · ويعبر في رسالة أخرى مؤرخة في ٣١ تشرين أول عن أسفه لتقويم النقاد الفرنسيين البخس لمسرحيات هيجو ورواياته · ومن المفروض أن تكون قراءاته قد شملت كل روايات هيجو وأشعاره الأولى بما في ذلك (اليوم الأخير) التي ظهرت في فرنسا عام ١٨٢٩ · وواضح أن مطالعته لكتابات هيجو كانت ، ككل قراءاته للادب الفرنسي ، بلغتها الأصلية · وكانت روايات هيجو الأولى غذاء متيسراً للجميع في روسيا في الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر · في ذلك الحين كانت العامة المثقفة تلتهم الرواية القوطية والرواية المتسلسلة وفي بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر أعطت رواية (برقية من موسكو) بشكل خاص دفعاً لشعبية هيجو ، وقرأ دستويفسكي قصصاً أخرى تدور حول الاجرام والاعدام في الأدب والتاريخ الفرنسيين في الفترة هذه قبل محاكمة بتراشيفسي · لكن معالجة هيجو للموضوع كان لها أكبر الأثر في نفسه · وبالتاكيد كان (اليوم الأخير) أعمق كتاب قرأه وأكثرها خصباً · وهكذا ، فعندما تبرز تعابير تشير الى الاعدام على غير توقع في أعمال دستويفسكي التي كتبها في أربعينات القرن التاسع عشر ، نرى أنفسنا وقد أغوينا لنرى فيها أثراً خفياً لقراءة دستويفسكي لأعمال هيجو · ما يفتأ غولجادكين في كتاب (المزدوج) يقول لنفسه : (انك جلاد نفسك) في ذنبه ومرض خيلائه ، وفي الحقيقة تذكر مغادرة غولجادكين في المشهد الحاشد الأخير عندما يعلن وصف الطبيب للمصح المقفلي بقوة وبرعب كاعلان

الحكم ، بمشهد مشابه عند هيجو ، وهو مشية الرجل المحكوم من السجن المؤقت الى العربة التي ستقله الى المقصلة • ورفت أجفان السيد بروكسارسين في لحظة موتـه (كما يقولون ان الشخصيات ترف أجفانها عندما تجري الدمـاء دافئة في عروقهـا وهي ما تزال حية ترزق ، ويهرق دمها هذا بعد أن تقطع فأس الجلاد رؤوسها) • وتنظر كاترينا في (مالكة الأرض) الى أودينوف (مثل انسان حكم عليـه بالموت ، دون أمل في عفو) لأن ذنبها قد اثقلها • وتشعر نيتوتشكا نيزفانوفا كأنه (حكـم عليها بالموت)في اقترافها الأول المعذب للذنب • وتصف الحياة كلهـا كالتالي لدى وفاة زوج أمها : (بدا الفاس معلقاً فوق رأسه طوال حياته ، وكان يتوقع طـوال حياته ، بعذاب لا يوصف ، أنه سيدق رقبته في كل لحظة ـ وأخيراً دق الفأس عنقه ! كانت الضربة محيقة • أراد أن ينجو من الحكم الذي صدر عليه ، ولكـن لم يكـن أمامه مكان يهرب اليه : أمله الأخير قد خبا ، ذريعتـه أصبحت هباء) وتعاني كـل الشخصيات المومى اليها في الروايات المشابهة من عذاب يصل الى حد الهلوسة التـي تشبه هلوسة مجرمي هيجو كثيرا • وتعكس (البطل الصغير) التي كتبها في السجن خلال الأشهر التي سبقت تنفيذ الاعدام الهزلي مباشرة اهتمام دستويفسكي بالعذاب النفسي للمحكوم عليه بالاعدام ـ وتصور الرواية عـذاب السيدة م من جراء الرسالة المفقودة : (كيف يمكن للمرء ان يحكم ؟ ومن يستطيع ان يصدر الأحكام ؟ مازلت أذكر وجهها في تلك الدقيقة • كان مستحيلا أن أستمر في المعاناة • ان أشعر ، وان أعرف ، وأن أتاكد وان أتوقع ، كان في الأمر اعداماً ، يمكن اكتشاف كـل شيء في غضون ربع ساعة او خلال دقيقة واحدة) • ولا يعالج دستويفسكي أبدا في بواكـير أعماله الموضوع الواقعي لمجرم مدان واعدامه ، بل انه يستخدمـه بدل ذلك كنظير للتحكم بالتوتر العاطفي الشديد لشخصياته • وعلى الرغم من أن عمل هيجو ، على ما يبدو ، قد أثر عليه ، فانه لم يتميز بعد بوضوح عن الروايات العاطفية الأخرى التي قرأها وأحبها • وعلاوة على ذلك ، قد تكون أمانتـه (واهتماماته الأخرى) هي التي اعاقت كتابتـه عن مثل هـذا الموضوع المتخصص دون وجود أية معرفـة مباشرة بـه •

بعد ذلـك ، وفي الثاني والعشرين من كانـون الأول عام ١٨٤٩ دبر نيقولا

الأول بدقة الاعدام الهزلي في بيتراشفسي بواسطة فريق الاطفاء ، الأمر الذي جعل كابوس عمل هيجو يتحول الى حقيقة بالنسبة الى دستويفسكي . وعلى الرغم من اقتياد السجناء الى ساحة العرض في سيمنونسكي دون درايتهم بما سيحدث ، فانهم لا زالوا يتقاسمون الدقائق العشر أو الخمسة عشرة الأخيرة من أصل الأسابيع الستة التي شعر فيها راوية هيجو بحتمية موت وشيك . كانت الخبرة حدثاً رؤيوياً في حياة دستويفسكي . فعلى الرغم من أن تذكره للاحداث في (يوميات كاتب) يؤكد على قبوله في تلك اللحظات للشهادة من أجل القضية الاشتراكية ، فانها تطلق عليها (الدقائق العشر المرعبة والمخيفة التي يتوقع المرء فيها الموت) .

هل تذكر دستويفسكي بوعي كتاب هيجو أثناء أشهره الثمانية التي قضاها في قلعة بطرس وبولس عندما كان أكثر ما يمكن أن يتوقعه عقوبة النفي وربما السخرة ؟ احتمال ممكن ، خاصة لأنه كان يبدي اهتماماً حديثاً بالكتابات الاشتراكية الفرنسية . هل خطر له هذا العمل الأدبي عندما كان ينتظر دوره ليعدم رمياً بالرصاص ؟لم يكتب دستويفسكي عن هذا الكتاب أبداً ، لكن ف٠ن لغوف أفاد فيما بعد بأن دستويفسكي قد شارك الآخرين شجاعتهم وأنه كان في حالة نشوة في اللحظات الأخيرة وأنه أعاد الى ذاكرته (اليوم الأخير) التي كتبها فكتور هيجو ، وأنه قال لسبيشكوف فيما بعد (سنكون مع المسيح) ويرد تعبير فرنسي من المحتمل أنه تذكره من (اليوم الأخير) لأن صياغة الكلمات والظروف مشابهة بشكل مؤثر وذلك في رسالة مشهورة كتبها بالتأكيد الى أخيه بعد الحدث مباشرة . كانت الرسالة مفعمة بالحيوية والتعطش للحياة . لقد كيف نفسه مع سني الأشغال الشاقة الطويلة وعلى الخدمة العسكرية التي كانت بانتظاره : (ما زالت لدي الذاكرة والشخصيات التي أوجدتها ، لكني لم أجسدها بعد ! انها ستعذبني بالتأكيد ! لكن ما زال لدي قلبي وهذا اللحم والدم القادران دائماً على الحب والمعاناة والشفقة والتذكر وتلك هي الحياة ! انني أرى الشمس !) وفي الفصل التاسع والعشرين من (اليوم الأخير)، ينفعل المحكوم عليه بالاعدام لدى تذكره تشحيم الجلاد لثقوب المقصلة (المشهد مبني على خبرة هيجو الخاصة) . ويتملكه الذعر ، ويفضل الآن أدنى مستوى حياتي ، وهي حياة المتهم الخائف ، على الموت الذي فضله ساخرا فيما مضى .

(آه ، الصفح ، الصفح ! قد يصفحون عني · ليس للملك شيء ضدي · اذهبوا وفتشوا عن محام لي ! أسرعوا بالمحامي ! أريد أن أسجن · خمس سنوات في السجن أو عشرون سنة أو سجن مؤبد مع الحديد الحامي ولكن تبقى الحياة · ان السجين يظل يمشي ، يغدو ويعود ويستطيع أن يرى الشمس) ·

وتختلف طبيعة المقطعين بوضوح : يعبر دستويفسكي الذي ارجأ تنفيذ حكم الاعدام به عن ثقته وايمانه بالحياة حتى بحياة السخرة ، بينما يعبر راوية هيجو عن أمل غير منطقي وذعر مسعور في وجه المعقق · بيد ان كلا منهما يوصل الينا الاعتراف بالجوهر الوجودي للحياة الانسانية المعراة من كل القشور · ويعد هذا الفصل من (اليوم الأخير) خاتمة مرحلة نفسية جديدة بالنسبة للراوية · وصورة الشمس البيانية من أكثر الصور استمراراً وتأثيراً في الكتاب كله · إذ من المفروض ان العبارة قد تركت أثرا في نفس دستويفسكي أصلا وطفت ثانية · عندما سارت خبرته الحقيقية جنباً الى جنب مع قراءاته · ويوحي ارتجال العبارة نفسه في الرسالة بدرجة استيعابها · انه بالتأكيد يقتبس عن هيجو ·

هذا التداخل بين الحياة والأدب كان بشكل فريد نقطة تحول في حياة دستويفسكي الأدبية ، وشعر وهو منغمس في خبرته « الواقعية » الخاصة بدفع جديد لقوة ابداعه التي هيأته لرؤية مستقلة وناضجة · وتحول من حلمه الرومانتيكي الشاب ومن الاشتراكية الطوبائية الى مسألة طبيعة الانسان المعقدة والجامحة · ويذكر في نفس الرسالة الموجهة الى أخيه الصور والمشاعر الجديدة التي لا تحصى والتي اراد أن يضمنها في كتاباته ، ويصور تنفيذ الاعدام في صورة بيانية اذ يقول : (ان الرأس الذي أوجد وعاش حياة الفن الأرقى والذي فهم واعتاد حاجات الروح الأسمى ـ ذلك الرأس قد قطع) ·

وتختلف حياة دستويفسكي في السجن ، كما روى في كتاب (ذكريات من منزل الأموات) ، عن حياة رجل هيجو المحكوم عليه بالاعدام ، لكن دستويفسكي يتعلم مباشرة ما عرفه هيجو عن طريق الحدس أو ما تعلمه من الكتب وزيارات السجون ، انه يتعلم الأرغة (لغة اللصوص والمشردين) أيضاً · أنه يرى ان السجن يفسد ·

ويعاني من ارهاب الاحتجاز ويتخيل الحرية · ويصادف رجالا حكم عليهم بالجلد بالسياط ، ينفعلون بعنف لأنهم يعرفون ساعة عقابهم المحددة وسيفعلون أي شيء لتأجيلها ، حتى أنهم سيقترفون جرائم أبشع · ومع ذلك فالكتاب عامة ليس كتاباً دعائياً لاصلاح السجون بقدر ما هو سجل لمشاهدات واقعية لشخصيات انسانية ·

ومن المرجح جداً أن دستويفسكي جدد معرفته بالرواية أثناء استعادته لمكانته في عالم الأدب بعد اطلاق سراحه من السجن · ويقول بارون فرانجيل أن دستويفسكي احب قراءة أعمال هيجو أثناء وجوده في سيمبالاتنسك · ونشر شقيقه ماكسايل ترجمة (لليوم الأخير) في العدد الثالث من مجلة سفينتوس ، التي لم يستمر صدورها طويلا ، في عام ١٨٦٠ ·وقرأ دستويفسكي بشغف رواية هيجو (البؤساء) التي كانت قد نشرت حديثا فيصيف عام ١٨٦٢في فلورنسا ·وفيأواخرعام ١٨٦٢ نشرالأخوان ترجمة هامة (لأحدب نوتردام) فيمجلتهما (الزمان) وأرفق دستويفسكيبالترجمة مقالاافتتاحياً طال فيه المديح لرواية هيجو ولموضوع التجدد الروحي خاصة· وهكذا كان هيجوالروائي حياً في ذهنه عندما شرع بكتابة أعظم رواياته في الستينات من القرن التاسععشر·

من الروايات البارزة رواية (الأبله) و (الشياطين) اللتان تظهران بشكل خاص آثاراً ليس فقط لخبرة دستويفسكي الخاصة بل لقراءته (لليوم الأخير) أيضاً ، على الرغم من توفر حالات تشابه العذاب النفسي للمحكوم عليه في كل أعماله البارزة · ويبدو بجلاء الآن أن النصوص المشهورة من رواية (الأبله)التي تصف هذه المعاناة مستقاة من الحياة أكثر مما هي مأخوذة من الأدب ، وتذكرنا الحكاية الطويلة عن الرجل المعذب المحكوم عليه التي يرويها ميشكين للسيدة ايبانشين وبناتها بالتفاصيل الخارجية لتنفيذ حكم الاعدام الهزلي بدستويفسكي (وربما بالتفاصيل الداخلية أيضاً) · ان ميشكين معني جداً بفكرة مثل هذه الأزمة عينها: انه لا يجادل بوضوح فقط ضد عقوبة الموت ، ولكنه يعلن أيضاً انه تأثر جداً بهذه القصة وبتنفيذ حكم اعدام حقيقي آخر الى حد أنه حلم بالدقائق الخمس الأخيرة

أحياناً كثيرة فيما بعد • وتذكرنا قصته التالية عن الرجل الذي علق على أعواد المشنقة أكثر من أي شيء آخر بعمل هيجو • ويواجه الضحية مقصلة فرنسية بدل فريق الاطفاء • انه يعرف الحكم قبل اعلانه ، ومعاملة الحراس الرقيقة والوجبة الأخيرة اللذيذة مؤلمتان جداً • وعليه أن يتحمل رحلة طويلة الى المشنقة بين أصوات سكان المدينة المبحوحين • وبلا ريب، يذكر وصف ميشكين لمشهد المشنقة مع التركيز على وجه الضحية وعلى أفكاره الداخلية (التي حذفت بالطبع من وصف هيجو الذي رواه بنفسه) بأفكار دستويفسكي ذاتها •وتشمل ايحاءات ميشكين بأن مثل هذا المشهد سيكون مثالياً بالنسبة الى رسام اشارة رواية (اعدام يوحنا المعمدان) التي كتبها هانس فريز ، بتصويرها الدقيق لتعابير وجه الضحية التي رآها دستويفسكي حديثاً (آب ١٨٦٧) في مدينة بال • ويقوم ليبديف بمشاطرة ميشكين شفقته على الضحية في لحظة العذاب الأخيرة رداً على قصة اعدام السيدة دي باري •

وتوحي لنا مناقشة ميشكين لموضوع عقوبة الموت مع الخادم قبل هذا المشهد مباشرة أيضاً بأن دستويفسكي قد مزج بين قراءاته لفكتور هيجو وخبرته الخاصة• المشهد هوالمقصلة الفرنسية ثانية •ويؤكد مناعلى المعاناة النفسية الناجمةعن معرفة حتمية الموت في ساعة محددة ، وهو الشيء الذي أكد عليه هيجو تماماً • ويعاكس هذا التأكيد الجدال المؤيد لعقوبة الموت الذي يدعي أن ضحايا المقصلة يعانون قليلا لأن موتهم آني ويعالج هيجو مثل هذا الجدال بتهكم لاذع في الفصل التاسع والثلاثين من (اليوم الأخير) • ويقول راويته بأن المرء يعاني من حركات النزع الأخير ذاتها اذا سال دمه قطرة قطرة ، أو (خبا ذكاؤه فكرة فكرة) • ويتساءل عما اذا حدث أن وقفت أية رؤوس مفصولة لتشهد أنها لم تر الألم أو اذا عادت أية ضحية لتقول (شكراً لكم) • وبالطبع يفتقد ميشكين هذه الفطنة الساخرة ، ويعجب بدل ذلك بالشفقة الانسانية و (الخيال والقدرة على التفكير) التي يتحلى بها الفلاح • أضف الى ذلك أن دستويفسكي يؤكد على مقوم جديد من مقومات نفسية الرجل المحكوم عليه بالاعدام ــ وهو امتداد الزمن وشعور عميق بالنهاية • وتؤدي هذه المعرفة المصعدة الى بروز أخلاقية المؤمنين باليوم الآخر لدى كل من ارجيء تنفيذ الحكم فيه ، رغم أنه لا يستطيع التمسك بها فيما بعد ، وعند المشاهد المتعاطف

مع ميشكين الذي يخبر في نوبات صرعه شيئاً مشابهاً ولا يستطيع أن يمارس مثل هذه الأخلاقية المثالية بفعالية في عالم الواقع · ويقول ميشكين في نهاية حديثه أن الجنون قد يؤدي بسهولة الى مثل هــذا العذاب العقلي ، كما كان حال بتراشفيك غريغوريف · وأخيراً نستشف منــه ان أناساً كثيرين (هيجو ؟) صرحوا بمماثلة اللحظات الاخيرة المكبوتة ، لكن الشخص الذي أرجيء تنفيذ حكم الاعدام به أجدر من ينبؤنا بحقيقة هذا العذاب · هل يجعل دستويفسكي خيال (هيجو) ينطوي تحت لواء سلطان خبرته الأعظم ، مثلما ادعى تماماً في مكان آخر بأن الواقع أخصب خيالا من القصة ؟·

وتظهر رواية (الشياطين) علاقة أكثر امتاعاً برواية (اليوم الأخير)·وأشار ف· ف· ڤينوغرادوف منذ زمن خلى الى استخدام دستويفسكي لاحدى الكوابيس التي اقتبسها من عمل هيجو من مشهد انتحار كيريلوف · ففي أحد أحلامه الأخيرة الأكثر غرابة يحضر رجل هيجو المحكوم عليه روح حيزبون تشبه الزومبي (الأفعى المؤلهة في الديانة الودونية) مختبئة خلف باب خزانة مفتوح في احدى غرف بيتــه · وعندما يدني الراوية شمعته من ذقنها تطفئها وتعض يــده · وينهض مباشرة وقد تصبب عرقاً بارداً ينم عن الذعر · ويحتمل أن تعبر المرأة التي تشبه الجثة عــن الشعور بذنب اقتراف الجريمة ، وعن صنيعها المنيف واعدامه الوشيك ثمناً لها · لكن الطبيعة اللامعقولة والغريبة للحلم تشير فوق كل اعتبار الى تشوه ذهن تحتقسر متطرف في شدته ويحول دستويفسكي هذا الحلم بصورة تستدعي الدهشة الى حقيقة في نظر كيريلوف وبيوتر كسوڤينسكي · ولا يمكن للدقائق المتشابهــة ان تثير أي شك بالمصدر · ويظهر أن كيريلوف أيضاً في حالة نشوة خلف الخزانة · وعندمـــا ينوى ڤيركسوڤينسكي ليحرق وجه كيريلوف بالشمعة ، يقلبها كيريلوف على حــين غرة ويعض ڤيركسوڤينسكي من خنصره · وعندما يولي الارهــابي مذعوراً يصرخ كيريلوف : (فوراً !) ويرددها عشـر مرات ويطلــق النار على نفسه · ويخبــرنا الراوية أنالهول الذي يثيره المشهد يبقىالى الأبد بلا تفسيرفي ذهن ڤيركسوڤينسكي · وطبيعــي أن استخدام دستويفســكي للحــدث · انــه تقليل ساخــر لســيطرة ڤيركسوڤينسكي المؤثرة على الآخرين · ويشير في الوقت نفسه الى خطأ جوهري في

فلسفة كيريلوف الخاصة بالاله ـ الانسان : يبدو أن الانتحار عملا مجنوناً لعقل فرق بين النظرية وحب الحياة العفوي • وعضة اليد هذه من أغرب المشاهد وأقواها في كلا العملين الأدبيين • ويدل ورود المشهد في نهاية المذكرات على أن دستويفسكي اضافه في وقت متأخر جداً الى رواية (الشياطين) • والاشارة اليه مقتضبة جداً في المذكرات ـ (الساعة الرابعة • انك تزعجني • ينظر ثانية • أخفى نفسه) يعض اصبعه) • ومن العجيب أن افادة تورغينيف عن (اعدام تروبمان) الذي شهده في باريس في التاسع عشر من كانون الثاني عام ١٨٧٠ تذكر أن تروبمان عض يد كبير الجلادين عندما حاول جر رأسه من شعره الى المقصلة في لحظة المقاومة الأخيرة عند المقصلة • وينتقد دستويفسكي، في رسالة بعث بها الى ستراكسوف، غثيان تورغينيف حين تحول بناظريه في الدقائق الأخيرة من القصة (التي نشرت في روسيا في فيستنيك اويروبي في حزيران عام ١٨٧٠) • وينوه بها بهزء عندما يقدم كارمازينوف (تورغينيف) في (الشياطين) • هل نبهت قراءة مقالة تورغينيف المعنية دستويفسكي الى تذكر عمل هيجو الذي زوده فيما بعد بالمادة الكاملة لمشهد كيريلوف الذي كتبه بعد انقضاء فترة ما ؟

يرتأي آ• بيم الذي لا يورد ذكر علاقة تروبمان بأن دستويفسكي ربما استبقى العضة من قراءاته عند نيشايف مباشرة لأن يده قد عضت بوحشية أثناء خنق الطالب ايفانوف واطلاق النار عليه • فلو عرف دستويفسكي بهذا التفصيل لحذفه من وصفه لمقتل شاتوف • وربما أحل خياله مكانه مشهد كيريلوف باعتباره أكثر فائدة هناك • ومثل هذه الصلة الاضافية ممكنة ، لكن ارتباطه بكل من تروبمان وهيجو أكثر حتمية • وفي الواقع ، ان انتحار كيريلوف الفلسفي مزيج معقد للقتل الذي يقترفه ڤيركسوڤينسكي ولارادة كيريلوف المثالية التي ألبسها فيركسوفينسكي قناع (الانتحار) الزائف ، والتي تشير صراحة الى ابادة الذات بشكل عقيم •

ويجب استعراض العلاقة الأخيرة بين دستويفسكي وكتاب هيجو (اليوم الأخير)• ويأتي دستويفسكي في مقدمته (للروح الرقيقة : قصة خيالية) على ذكر عمل هيجو الفني بجلاء حين يدعي أنه يتبوأ مكان الصدارة بسبب استخدام تقنية السرد

المباشر (أي استخدام ضمير المتكلم أو الأنا الروائية في السرد) وبسبب استخدام التقنية الشبيهة بتيار الوعي في القصة • ويطري هنا على رواية هيجو القصيرة ويصفها بأنها أكثر واقعية وصدقاً من بين أعماله كلها • ويومىء دستويفسكي مرتين أخريين في مذكراته قبل كتابة هذه القصة بوقت قصير الى الانطباعات التي وصفها هيجو ساعة اثر ساعة ودقيقة بعد أخرى في أكثر أعماله الأدبية خلوداً (المحكوم بالاعدام) ، وعلى الرغم من أن هذه القصة القصيرة (كالزوج الأبدي) وكأعمال متأخرة أخرى تظل تشير الى الحالة النفسية للمحكوم عليه في الليلة الأخيرة ، فان دستويفسكي يولي الآن اهتماماً بتقنية السرد أكثر مما يولي المضمون الذي صار مرتبطاً بتجربته الشخصية • انها مسألة ارجاء التنكر لمقولية الراوية كما يوضح دستويفسكي •• انها أيضاً مسألة استخدام تقنية السرد المباشر الدرامي لشخصية شوهتها الأزمة، هذا الاستخدام الذي يكون جزءاً أساسياً من فهم دستويفسكي لواقعيته الخاصة وهي نقطة لنا عودة اليها بعد هنيهة •

بعد هذه النظرة السريعة الى التأثيرات المحددة لرواية هيجو (اليوم الأخير لمحكوم بالاعدام) على دستويفسكي ، ما هي الاستنتاجات التي يمكننا استنباطها ؟ يتبين أن تأثير هيجو عامة على دستويفسكي كان ضئيلا اذا ما قورن بتأثير الكتاب الأوربيين الآخرين مثل بلزاك وشيلر • ومع ذلك ، لم يعط تقويم هذا التأثير حقه • ونادراً ما يلمح دستويفسكي بشكل واضح للعيان الى (اليوم الأخير) ، وربما يعود هذا جزئياً الى سبب عدم اشارته أبداً الى تجربته مع المشنقة • ومع ذلك فقد وضع العمل في أعلى مرتبة بين مجموعة مؤلفات هيجو المثالية ، حتى فوق (البؤساء) التي أعاد قراءتها مرات عديدة بشره ومنحها قيمة فاقت قيمة رواية (الجريمة والعقاب) • لماذا ؟ خلف تطابق خبرته الخاصة مع خبرة رواية هيجو تبرز أوجه شبه عديدة بالفكرة والأسلوب بين هذا العمل وروايات دستويفسكي الخاصة •

وأول هذه العناصر المشتركة معالجة الجريمة والعقاب • وتعد (اليوم الأخير) بداية نقطة تحول في حياته الأدبية • بدأت اشتراكية هيجو الخاصة به تظهر عام

١٨٢٨ وهو العام الذي كتب فيه هذه الرواية ، حتى قبل أن تؤكد ثورة تموز ابتعاده عن المعسكر الملكي · ويختلف العمل عن روايات هيجو السوداء المبكرة وعن (هان ملك ايسلندا) و (بوغ صارغال) ومن الروايات التاريخية التي كتبها فيما بعد مثل (أحدب نوتردام) و (الرجل المضحك) ، لأن لهـا اهتماماً مباشراً بالمشاكل الاجتماعية المعاصرة ، على الرغم من أنها استغلت ترويج التقليد القوطي لأغراضها الخاصة بها · انها رائد (البؤساء) بنظرتها للمجرم كضحية اجتماعية وفي معارضتها لعقوبة الموت · وكتب هيجو مقدمة للطبعة التي صدرت عام ١٨٣٢ شن فيها هجوماً عنيفاً على عقوبة الاعدام · وبعد عامين نشر كتاب (كلود غو) وهو تشويه دعائي لقضية جنائية معاصرة · وغرض هيجو الرئيسي في (اليوم الأخير) اثارة شفقة القارىء على العذاب النفسي للمحكوم عليه ليحتج على عقوبة الموت بسبب من كونها مغالية وغير انسانية ويتعذر الرجوع عنها · انه يحرم الراوية من الاسم ومن الخلفية الملموسة (بما في ذلك تفاصيل جريمته) ليعمم الحالة · وينزع تنفيذ الاعـدام الوشيك صفة الانسانية عن الراوية ويقضي على أي ندم يشعر به تجاه جريمتـه وهكذا يخرج على العدالة والأخلاق · ويؤكد تصوير فرييوش الذي سيتبع الراوية بدوره الى المشنقة على النظرة الاشتراكية السائدة والقائلة بأن المجرم نتاج الظروف الاجتماعية السيئة · وفي الحقيقة استقبلت الصحافة الاشتراكية هذا العمل استقبالا ترحيبياً حاراً ·

وجلي أن يكون مثل هذا العمل قد جذب دستويفسكي لأسباب ايديولوجية في الأربعينات من القرن التاسع عشر عندما بلغ تأثره بالتفكير الاشـتراكي الطوبائي وبالرواية الفرنسية المسلسلة الأوج · وتتوارى نظرته لبطرسبورغ كمدينة حديثة بشرورها المتلازمة : الفقر والاستغلال الطبقي ونفي الأفراد كعوامل مسببة للمشكلات في أغلب أعماله المبكرة · وبالتأكيد بدأ اهتمامه الشامل بموضوع الجريمة في رسائته الأدبية اللاحقة مع قراءاته هنا ، حتى قبل خبرته الشخصية في السجن · ولكن ، على حين يعاود هيجو فيما بعـد تصوير المجرم بأسلوب بسيط كضحية اجتماعيـــة في (البؤساء) ، يعود دستويفسكي الى فكرة المسؤولية الأخلاقية الفردية كملازم ضروري للارادة الحرة الأساسية جداً لفهمه الناضج للانسان · من هنا جاءت هجماته العنيفة

على بعض اصلاحات البلاط في الستينات من القرن الثامن عشر وعلى النظريات الاجتماعية السائدة الخاصة بالجريمة التي روج لها العدميون . لقد جعلت تجربة السجن دستويفسكي يتحول الى ذاته ليصل الى ادراك أعمق لغناه النفسي ولمسؤوليته الشخصية . وحولت هذه التجربة انتباهه ، للمرة الأولى ، الى شخصيات تتمتع بارادة قوية غالباً ما كانت تصرفاتها بلا تفسير على ضوء البيئة . وفي معظم الأحيان كانت تضعه في مصاف رجال لا يتمتعون بأي حس أخلاقي مع الوحوش الحقيقية التي لم يعرفها هيجو قط عن طريق الخبرة المباشرة . ويظهر ديستويفسكي للعيـــان أقل تفاؤلا برؤيته لتجدد العالم الروحي . انـه مقتنع بصلابة بحقيقـة الارادة الحرة والمسؤولية الأخلاقية وبوجود الله وبقيمة الكنيسة أخيراً . واستجابته لازدواجات الروح الانسانية الصعبة مزيج من الايمان اليائس بالتجدد الروحي الفردي والادراك التعيس لحقارة الانسان .

وهكذا تجاوز دستويفسكي الى حد ما أيديولوجية الجريمة الواضحة في رواية هيجو (اليوم الأخير) . لكنه ظـل يكيل المديح (لواقعيتها) . ويبرز هـذا العمل الروائي من بين مجموعة أعمال هيجو الرومانتيكيـة لواقعيتـه ويتفـوق حتى على (البؤساء) ، على الرغم من أسلوبه العاطفي الـذي يتحول الى أسلوب ميلودرامي أحياناً . ولقد تميزت (اليوم الأخير) من بين قراءات دستويفسكي للرواية الفرنسية والرواية المسلسلة بقدر ما تميز كتاب (الأب غوريو) لمعاصرتها وايجازها ودقتها في التحليل النفسي : (بالطبع تمكن دستويفسكي أيضاً من الاعجاب وتقليد المكيدة المعقدة والتشويق المخطط للروايات الرومانتيكية الأكثر نموذجية) . لكن واقعية (اليوم الأخير) مختلفة عن واقعية فلوبير وتورغنيف . انها قريبة من تلك (الواقعية الخيالية أو (الواقعية في معناها الأسمى) التي خص دستويفسكي أعماله بها . ان ثلاث سمات تقنية محددة ومشتركة بين رواية هيجو وأعمال دستويفسكي تعزز هذا التماثل في المقترب الواقعي : استخدام عميق ، وحتى غـير عقلانـي ، لتقنية السرد المباشر ، وتمركز على الشخصية في أزمتها ، واستخدام الحلم والهلوسة .

وكما رأينا ، وجه دستويفسكي انتباهاً خاصاً لاستخدام (الأنا الروائية) في

رواية (اليوم الأخير) في مقدمته (للروح اللطيفة) كدفاع عن تجاوزه للمقبولية في هذه القصة :

(ما ادعوه عنصر الخيال في هذه القصة هو افتراض وجود كاتب اختزال يكتب كل شيء (بعده أصقل ما كتب) . لكن الذي سمح به في الأدب أكثر من مرة شيء مشابه جزئياً : لقد استخدم فكتور هيجو ، على سبيل المثال ، الطريقة المماثلة تقريباً في رائعته (اليوم الأخير) ، وعلى الرغم من أنه لم يستخدم كاتب اختزال ، الا أنه يقتضي ضمناً وجود استحالة اكبر بافتراضه أن رجلا محكوماً بالموت قادر (ولديه الوقت) ليكتب ملاحظات ليس فقط في يومه الأخير بل حتى في ساعته الأخيرة ودقيقته الأخيرة . ولكن لو لم يدع هذا الخيال ينطلق لما وجد ذلك العمل نفسه وهو الأكثر واقعية وصدقاً من بين كل الأعمال التي كتبها) . وهو يضمر هنـا أن أية معارضة نقدية واقعية لفن السرد تضمحل قيمتها اذا ما قورنت بالكسب المعوض الذي حققته الواقعية عن طريق الكشف النفسي المفصل للرواية . انه يمنح بلا استحياء عنواناً ثانوياً لعمله: (قصة خيالية) على الرغم من اعتباره لها (واقعية الى أبعد الحدود) ويجد دستويفسكي في تقنية هيجو فناً أخصب خيالا من فنه ، ولكن هذه النقطة قابلة للجدال . ويشرع راوية هيجو عنوة في تسجيل انطباعاته لأنه شخص حساس وواع لذاته ، ومثقف بحاجة الى التسلية والى ترجمة خبرته أيضاً . ولكنـه بتحديـد أدق يكتب (التشريح الفكري) ليقوم بدور (التعليم الشامل والعميـق) والذي يضم (أكثر من درس لأولئك الذين يصدرون الأحكام) . أو بكلمات أخرى ليقضي على وهم الحكام القائل بأن المحكومين بالاعدام لا يعانون ، وهكـذا يمهد الطريق أمـام اصلاح للعقوبات (على الرغم من أنه يسخر كثيرا من هذا الايثار في الفصل التالي). لذلك يتوفر دافع ملموس للشخصية لتقدم وصفاً مكتوباً وان بدا ضعيف الاحتمال في هذه الحالة. ومن الناحية الأخرى (يناجي راوية دستويفسكي نفسه) ، ولايتوفر الدافع هنا لوصف مكتوب ، وقد تبدو التقنية أكثر تصنعاً عند دستويفسكي منهـا عند هيجو .

وعلى أية حال ، تكمن في التحليل نقطة تشابه . فكلا العملين يسجل عمليـة عقلية : ففي عمل هيجو نلقى العذاب المتزايد والتردي الثابت للحالة العقلية للرجل

المحكوم عليه وفي عمل دستويفسكي نرى محاولة الزوج (شارحاً لنفسه) انتحار زوجته الذي انتهى لتوه • وكان الدافع وراء كلا العملين قصصاً صحفية (واقعية) توسع كلا الكاتبين فيها حتى غدت قصصاً ذاتية عميقة • وينتهي التشابه عند هذا الحد لأن شخصية هيجو تبقى بسيطة • بشكل أساسي • لقد عمم ذاته عن عمد وربط كل تفكيره بتنفيذ الاعدام • والصراع الداخلي طفيف • وهو يستبعد أي مزج لذنب شخصي في التضحية بالشخصية عندما ينبؤنا أن الخوفقد طمس الندامة• ومن الناحية الأخرى ، يعاني راوية دستويفسكي من عدة دوافع متصارعة ، من الكبرياء والذنب خاصة ، ويتطور بصورة أكثر تعقيدا خلال القصة • ويزداد ادراك راوية هيجو لنفسه قليلا • انه يعاني فقط • وعلاقة هيجو أيضاً براويته علاقة وثيقة متعاطفة ، بينما يبقى دستويفسكي منفصلا بسخرية • ولا يستخدم هيجو طريقة السرد ببراعة • ويتضح التضاد عندما نضع (اليوم الأخير) الى جانب (رسائل من أعماق الأرض) أو (ذكريات من منزل الأموات) أو حتى الى جانب شرح أبوليت في (الأبله) • ان احساسنا بوجود الحوار في الحالة الأولى مع مسوغاته الحاضرة مفقود في استخدام هيجو لتقنية السرد المباشر • فراوية دستويفسكي في كتاب سجنه يتساءل وينمو دائماً • ومجرد الاختلاف في الحالة ، وهي تنفيذ الاعدام الوشيك ، ليس كافياً لتبرير رسم هيجو المبسط لشخصياته • وتبقى (اليوم الأخير) محاولة نادرة قام بها هيجو لسبر أعماق شخصيته بشكل مفصل بواسطة استخدامه لطريقة درامية ، لكنها مع ذلك لا تضاهي عمق دستويفسكي وتعقيده •

ويزودنا التركيز على الشخصية التي تعاني من أزمة بمقارنة أكثر عطاء بين (اليوم الأخير) وأعمال دستويفسكي • وترتكز قدرة هيجو بمجملها على الوضع الصعب الذي يلقى راويته نفسه فيه • ويحاول هذا العمل ، أكثر من رواياته الأخرى ، باتساعه الملحمي ، أن يسجل بواقعية مايحدث لشخصية (تنوء بأقصى درجات المعاناة) لتعرض في هذه الحالة حقيقة أخلاقية لا يمكن ادراكها في حالة (عادية) : عدم الانتهاك المطلق لحرمة الحياة الانسانية ومن ثم لا انسانية عقوبة الاعدام ولا أخلاقيتها • ويتوقف فهم دستويفسكي (للواقعية في أرقى معنى لها) على استخدام الشخصيات والحالات غير العادية • اذ بالامكان ادراك حقائق معينة

عن الطبيعة الانسانية فقط في حالات تجريبية راديكالية · من هنا برزت نظرية راسكول نيكوف وفرضية الرجل السري من القصر البلوري وابراز كيريلوف للمبدأ في وضع مطلق وقصة ايفان كرامازوف (المحقق الكبير) والرؤى المتطرفة (للرجل المضحك) · وواضح من أصداء (اليوم الأخير) في أعمال دستويفسكي أن هذا التاكيد الموجود في رواية هيجو الصغيرة قد حلا له كثيرا وبرر مديحه لعمل هيجو بأنه (أكثر واقعية وصدقاً) · وتخدم أوضاع قصص دستويفسكي الموازية الى حد كبير لحالة راوية هيجو ـ اعدامات وشيكة ، وازمات ذنب ، ونوبات صرع ، وانتحارات ، وأمراض مميتة ـ في الكشف عن مقومات الشخصية التي لم يكشف النقاب عنها الى الآن · ويتركز اهتمام دستويفسكي ثانية ، بصورة أقرب ، على الشخصيات الفردية وعلى فلسفة الطبيعة الانسانية ، وان كان تشويه الشخصية الانسانية ضمناً مرضاً اجتماعياً أيضاً · والهامات شخصية هيجو كلها متجانسة وهي تبلغ درجة الاتهام المباشر للمجتمع ·

ولعل الأمر الأخير والأكثر أهمية هو أن يكون استخدام الحلم والهلوسة من أكثر التقنيات تشابهاً في واقعية (اليوم الأخير) واعمال دستويفسكي · وهنا نشعر بوجود هيجو في مقومه الفني · كلا الكاتبان عانى من كوابيس غريبة عجيبة طوال حياته · واستعمالهما الفني للاحلام مبني جزئياً على الخبرة ، من جهة ، وعلى العرف الأدبي من جهة أخرى · ويبدو أن حلم المرأة العجوز في ذروته وعضة اليد في اليوم الأول قد كان حلم هيجو الخاص وأنه ورد في المخطوطة الأولى · لكن دراسة تشاليبيه للمخطوطة الأولى تكشف عن أن هيجو أضاف أثناء مراجعته وتوسيعه للعمل معظم الهلوسات الأخرى ، فضلا عن لمسات اضافية حية ، ليزيد في التاثير وليذيب بشكل أكثر ملاءمة تفكك احساس الراوية للتزايد · وربما يُظهر تحويل دستويفسكي لحلم هيجو الى حقيقة في مشهد انتحار كيريلوف مدى رغبته في تصوير تشويه الواقع الذي يحيط بالشخصية المأزومة : فالشخصية عند هيجو ترى أشياء غريبة ، أما شخصية دستويفسكي فتقوم بهذه الأشياء · وبينما أنشد هيجو الى تقنية الحلم بسبب أثره العاطفي في الرواية السوداء ، فانه يستخدمه في (اليوم الأخير) بصورة أساسية كتقنية لرسم الشخصيات (الواقعية النفسية) وكنذير

بالأحداث ، ويستخدم دستويفسكي الأحلام بالطريقة ذاتها ـ كحلم راسكول نيكوف بالحصان المضروب ، وهو مدين به لشعر هيجو · ودرس دستويفسكي أيضاً الرواية القوطية بكل حيلها وجذبته نظرية (الفروتسك) في كتاب هيجو (مقدمة كرومويل) وتشير روايات هيجو الى اتقانـه لتفاصيـل فن كتابـة الفروتسك بـدءاً بمباراة المكشرين في (أحدب نوتردام) وانتهاء بجثة تيناردييه الملقاة في (البؤساء) · كان دستويفسكي مدركاً تماماً للاثر الذي يخلفـه مشهـد انتحـار كيريلوف الغـريب ، فاستخدم حلم هيجو كوسيلة قوية لاظهار التوتر الداخلي لكريلوف بالاضافة الى هزئه من فيركسوفنسكي · ويذكر حلم ايبوليت بالعقرب وحلـم راسكول نيكوف بالراهن أيضاً بحلم الحيزبون الذي يشبـه حلـم فيلشانينوف في (الزوج الأبدي) وحوار ستافروجين مع شيطانـه · والشخصية في كل هـذه الحالات معرضة بصـورة مريعة لتتدخل عنصر غريب يدعو للاشمئزاز · قـد يكون هنالك بعض المسوغات لمقارنـة صور ارهاب الاحتجاز الكثيرة في أعمال هيجو بما في ذلك (اليوم الأخير) بالأماكن المغلقة التي تزخر بها روايات دستويفسكي كمليات بطرسبورغ التي غالباً ما تكون رموزاً للعزلة والأنانية الانسانية وتشويهاً للواقع ·

وهكذا نرى أن هناك بعض الصلات التي تسترعي الانتباه بين راويـة هيجو (اليوم الأخير لمحكوم بالاعدام) وأعمال دستويفسكي ، هذه الصلات التي يبدو أنها تتفق مع حدس النقاد المحدثين الذين يقارنون حداثة الكاتبين · ويصف موكولسكي دستويفسكي بأنه عاش في الأدب اكثر مما عاش في الحياة في بواكـير أعوامه · لكن دستويفسكي نفسه يوضح أنه كان يخلق أدباً جديداً ولـد في التجربة بعـد أزمـة ١٨٤٩ · وتعكس اشاراته الواضحة والخفية التي أومأ بها في مرحلة لاحقة الى رواية هيجو تأكيد صدقها الحي واعجابه المستمر بتقنياتها الأدبية · وعلى الرغم من أنه بدأ في السبعينات من القرن التاسع عشر يعبر عن مزيد من التحفظات بشأن هيجو ، الا أنه ما فتيء يشير اليه في عام ١٨٧٩ بأنه (الشاعر العظيم الذي كان لعبقريته اكبر الأثر علي منذ طفولتي) · ومن شأن الفروق الملحوظة بين استخدام الكاتبـين لمواضيعهما وتقنياتهما المشتركة أن تعكس الفروق في تجاربهما واهتماماتهما · كلا الرجلان سيد لفنه : انهما يحركان مشاعرنا في الأعماق ويغنيان تفكيرنا ·

الكلب ★

قصة : مارسيل ايميه
ترجمة : حسيب كيالي

كانت ديلفين وماريئيت عائدتين من سوق القرية ، حيث تسوقتا بعض الأغراض لأبويهما ، وبقي أمامهما كيلو متر واحد حتى تصلا الى البيت • وكان في سلتهما ثلاث قطع من الصابون ، ورغيف خبز معروك ، ونقانق عجل وبربع ليرة قرنفل • وكان للسلة أذنان تمسك كل واحدة أذناً ويؤرجحانها الى قدام والى وراء وهما تغنّيان أغنية حلوة ارتجلتاهما ارتجالا :

الآن نصل	حيث القط
حيث القبل	حيث البط
من بابانا	الآن الآنا
من ماما نا	ما احلانا !
ما احلانا	

عند منعطف الدرب ، وهما ما تزالان عند « حيث البط » رأتا كلباً جسيماً أشعث ، يمشي ورأسه الى الأرض • كان يبدو سيء المزاج ، تحت شفتيه

★ راجع الأعداد الماضية من الاداب الأجنبية • « الكلب » هي الحكاية الثالثة من كتاب ايميه « حكايات القط الجاثم »

المتدليتين تلتمع أنياب حادة كالكلابات ويشط لسان كبير يجر على الأرض • فجأة تأرجح ذنبه بحركة قوية وأخذ يركض على حافة الطريق ، ولكنه كان يركض بخرق حتى أنه صدم رأسه بجذع شجرة • وجعلته الفجاءة يتراجع وهو يهرُّ من غضب • وتوقفت الصغيرتان في وسط الدرب مرتصتين احداهما الى الأخرى حتى كادتا تسحقان سجق العجل الذي في السلة • ومع ذلك ظلت مارنييت تغني :

حيث البط
الآن الآنا
ما احلانا

ولكن بصوت يرتعش بعض الشيء • قال الكلب :

ـ لا تخافا • أنا لست كلباً سيئاً • على العكس • ولكنني يضجرني جداً كوني ضريراً •

قالت الصغيرتان :

ـ أواه أيها الكلب المسكين ! ماكنا نعلم بذلك !

دنا الكلب منهما وهو يهز ذنبه أقوى من قبل ثم لعوس سيقانهما وشمشم السلة على نحو ودي ، واستأنف يقول :

ـ هاكما ما جرى لي • ولكن دعاني باديء الأمر أجلس لحظة • أنا منهوك كما تريان ، منهوك جداً •

جلست الصغيرتان في مواجهته على عشب التلعة بعيداً من الطريق ، وقد حرصت ديلفين على وضع السلة بين ساقيها احتياطاً •

وتنهد الكلب وأنشأ يقول :

ـ ما أطيب أن يستريح المرء ••• اذن فيما يتعلق بمسألتي أقول لكما انني ،

قبل ان اصبح انا نفسي مكفوفاً ، كنت في خدمة رجل كفيف ٠٠٠ البارح بالذات كان هذا الخيط الـذي تريانه يتـدلى من عنقي يستخـدم في ارشاد معلمي على الطريق ٠ وأنا افهم الآن خيراً من أي وقت مضى الى اي حد كنت نافعاً له ٠ كنت اقوده في كل مكان حيث الطرق جيدة يزدهر على عدويتها الموسج ٠ فاذا مررنا بمزرعة قلت له : « هاهي ذي مزرعة » ٠ فيعطيه المزارعون قطعة خبز ويرمون الي بعظمة واذا اسعف الحظ يسمحون لنـا بالنوم نحن الاثنين في ركن من أركـان بيت المونة وكثيراً ما تقع لنا لقاءات سيئة فادافع عنه وسعي ٠ أنتما تعلمـان ما يصادف الانسان في مثل هذا التشرد الدائب ، الكلاب الحسنة تغذيتهم ، والناس كذلك ، لا يحبون من تبدو عليه علائم الفقر ٠ ولكني انا كنت أكثر من انيابي فيتركوننا نمر في سبيلنا ٠ ذلك أني متى ما أردت لا أبدو سهـلا ٠ هاكمـا ، انظرا الي قليلا ٠٠٠

وأخذ يهر مكشراً عن أنيابه وهو يغـزل بعينيه الكبيرتين ٠ وقد افزع ذلـك البنيتين الصغيرتين جداً ٠ وقالت مارنييت :

ـ لا تكرر هذه الحركة أبداً ، ارجوك ٠

قال الكلب :

ـ فعلت هذا لكي أريكما فقط ، وافهمكما أني كنت أؤدي حقاً خدمات صغيرة لمعلمي ولن أتكلم على اللذاذة التي أكان يستشمرها عندما يصغي الي ٠ ما أنـا الا كلب ، هذا واضح ، ولكن الكلام يقطع الوقت دائماً ٠

ـ أنت تتكلم كما لو كنت انسانا ، يا كلب ٠

قال الكلب :

ـ أنتما لطيفتان جداً اذ تطريناني على هذا النحو ٠ وما أطيب الدائمة التي تفوح من سلتكما ! ٠٠ ذكرانا ٠ ماذا كنت أقـول لكما ؟٠٠ اي نعم ! معلمي ! كنت أفتن في جمل حياته ميسورة موفورة ، ومع ذلك لم يكن قط ممتنا ٠ من أجل نعم أو لا كان يرفسني ٠ من جهـة اخرى ، في وسعكما ان تثقـا انه امس الأول ادهشني بمداعبته اياي فجأة وتكليمي في مودة ٠ لقد أشاع في ذلك الاضطراب ،

انتما تعلمان ، ولا شيء يلذني مثل الدعاب الذي أحس" له في ضلوعي راحة لامثيل لها ، وسعادة في قرارة روحي • داعباني تريا ••

ومط" الكلب عنقه فانبسط رأسه الضخم أمام الصغيرتين اللتين داعبتا وبره الأشعث • والواقع أن ذنبه أخذ يرتجف بينما كان ينبح نباح الرضى قائلا : « أوا ، أوا ، أوا ! »

وعاد يقول :

ــ انتما طيبتان جداً اذا اصغيتما الي" ، ولكن علي" أن أنتهي من قصتي : فبعد أن أغدق علي" الوانا من المداعبة قال لي معلمي بغتة :

« كلب ، هل تريد أن تأخذ أفتي وتصبح أعمى عوضاً عني ؟ » لم أكن أتوقع هذا ! أن آخذ آفته • ان ما يحير خير الأصدقاء وأقواهم • قولا ما تشاءان في حقي ولكني قلت له كلا • قالت الصغيرتان :

ــ ماذا تقول ؟ ولكنك خيراً فعلت اذ قلت له كلا • قال الكلب :

ــ أليس كذلك ؟ كم أنا مسرور لانكما تريان رأيي • ومع ذلك كان يخالطني شيء من الندم لأني لم ألب" طلبه من الوهلة الأولى •

ــ من الوهلة الأولى ؟ كلب ، أصادف أن •••

ــ انتظرا ! أمس أبدى لي من اللطف ما زاد على ما فعل عشية البارح • كان يداعبني مداعبة من الرقة والمودة في حيث خجلت من رفضي • أخيراً ، لأقلها حالا ، انتهى بي الأمر الى القبول • لقد أعطاني الأيمان المغلظة والمواثيق على أني ساكون كلباً سعيداً وأنه سيكون دليلي في الدروب كما كنت له دليلا ، وأنه سيكون في وسعه الدفاع عني كما دافعت أنا عنه ••• ولكن ، ما أن أخذت عنه آفته حتى تركني من غير كلمة وداع صغيرة • أوهاننذا منذ مساء أمس وحيد في البرية ، أصطدم بالأشجار ، وأناطح صخور الطريق • وقد تنشقت الآن شيئاً يشبه رائحة العجل ، ثم سمعت فتاتين صغيرتين تغنيان ، وفكرت في أنكما قد لا تطردانني •••

قالت الصغيرتان :

ـ أحسنت اذ أتيت ٠

وتنهد الكلب وهو يملأ أنفه من عبق السلة :

ـ انا أيضاً جائع جداً ٠٠٠ الستما تحملان هنا قطعة لحم عجل ؟

قالت ديلفين :

ـ بلى ، سجق العجل ، ولكن أنت تفهم يا حضرة الكلب ، هذه من ضمن اغراض كلفتنا الأبوان شراءها ٠٠ انها ليست لنا ٠٠٠

قال الكلب :

ـ اذن ، الأفضل أن أكف مرة واحدة عن التفكير فيها ٠ الأمر عندي سيان ٠ لا بد أنها قطعة لحم طيبة ٠ ولكن ، قولا لي أيتها الصغيرتان ، الا تريدان أن تصحباني الى أبويكما ؟ فاذا لم يستطيعا الاحتفاظ بي فقد لا يرفضان اعطائي عظمة أو ، ربما ، زبدية شوربة ٠ وقد يقبلان ايوائي هذه الليلة ٠

لم تكن الصغيرتان تسألان خيراً من أخذه معهما ٠ بل كانتا تؤثران الاحتفاظ به دائماً في المنزل ٠ كل ما في الأمر انهما كانتا تخشيان بعض الشيء الاستقبال الذي سيستقبله الأبوان به ثم أنه يجب أن يحسب حساب القط الذي يتمتع بسلطة كبيرة في المنزل ، والذي قد لا ينظر الى مجيء الكلب اليه بعين رضية ٠ قالت ديلفين :

ـ تعال سنبذل جهدنا لكي نبقيك معنا ٠

وبينما كان الثلاثة ينهضون رأت الصغيرتان على الطريق أحد أشقياء المنطقة الذي كان يترصد الأطفال الذين يرسلهم آباؤهم لشراء الغراض لهم من السوق فيسلبهم سلالهم ٠ قالت مارينيت :

ـ انه هو ، الرجل الذي يسرق الأغراض ٠

قال الكلب :
ــ لا تخافا ، سأبدي له سحنة تقطع شهيته للمجيء والنظر في سلتكما .

كان الرجل يتقدم نحوهم واسع الخطوات وهو يفرك يديـه وهو يحلم بالمؤن التي تنتفخ بها سلة الصغيرتين ، ولكنه لما رأى سحنة الكلب وسمعه يهر في شراسة كأنه ينوي الانقضاض عليه ، كف عن فرك يديه ومر م ن الجانب الآخر للطريق وهو يرفع قبعته محييا . وقد لقيت الصغيرتين عسرا في كتمان ضحكتهما في حضوره وقال الكلب لما غاب الرجل :
ــ أرأيتما . أنا ، على الرغم من آفتي ، ما زلت قادرا على أن أنفع في شيء .

كـان الكلب مسرورا جـدا ويمشي قـرب الصغيرتين اللتـين كانتا تتناوبان الامساك بطوقه . وقال :
ــ ما أكثر التفاهم معكما على خير وجه . ولكن ما اسمكما أيتها الصغيرتان ؟

ــ أختي التي تمسك الآن بطوقك تدعى مارينيت ، وهي الأكثر شقرة .

وتوقف الكلب ليشم مارينيت ، وقال :

ــ طيب ، مارينيت . سأعلم كيف أتعرفها منذ الآن .
قالت الأكثر شقرة بدورها :
ــ وأختي تسمى ديلفين .

ــ طيب ، ديلفين . لن أنساها هي أيضاً أبـداً . أيتها الصغيرتان ، لكثـرة ما تجولت مع معلمي القديم عرفت كثيرا من البنات الصغيرات ، ولكـن يجب عليّ أن أقولها في صراحة لم تكن أيـة منهن تحمـل اسمـا على مثل جمـال اسم ديلفين ومارينيت .

لم تستطع الصغيرتان أن تمتنعا على الاحمرار ، ولكن الكلب لم يكن قادرا على رؤيتهمـا ، فوجـه اليهمـا ، ثنـاء آخر . قـال انكـما تتمتعـان كذلك بصوتـين عذبين وانهما لا بد عاملتان مهذبتان لأن أبويهما وثقا بهما وأمناهما على أغـراض ثمينة مثل سجق العجل .

ـ انا لا اعلم ما اذا كنتما أنتما اللتين نقيتما هذه السجق ولكني أوكد لكما ان لها عبقاً لذيذاً ...

كان لا يفوت على نفسه فرصة الا انتهزها للرجوع الى حديث سجق للعجل ولا يمل من ذكرها . وكان كل لحظة يركي انفه على السلة . ولما كان ضريراً فقد وقع له عدة مرات ان ارتمى بين ساقي مارينيت حتى كاد يطرحها أرضاً . وقالت ديلفين :

ـ اسمع يا كلب الأحرى بك أن تكف عن التفكير في سجق العجل هذا . أؤكد لك لو أنها كانت لي لأعطيتك اياها وانا ممتنة . ولكنك تعلم أني لا أستطيع ما عسى أن يقول الأبوان اذا أتينا البيت من غير هذه السجق ؟

قال الكلب :

ـ مؤكداً أنهما سيؤنبانكما ...

ـ ويجب علينا أن نعترف لهما بأنك انت الذي اكلتها . في هذه الحال سيطردونك عوضاً عن ايرائك ، أليس كذلك ؟

واضافت مارينيت :

ـ وربما ضرباك .

واقرَّ الكلب :

ـ أنتما على صواب . ولكن لا يخطر لكما على بال أن الشره هو الذي يجعلني اتكلم على هذه السجق العجلية . ما أقوله عنهما لا يعني أني أريد أن تعطياني اياها . أساساً أنا لا أهتم بسجق العجل . مؤكد أنها شيء ممتاز ، ولكني آخذ عليها أنها خلو من العظام . وعندما يقدم صحن من سجق العجل على المائدة فالملمون يأكلون عادة كل شيء من أغير أن يتركوا شيئاً للكلب .

وبينما الصغيرتان والكلب الكفيف يتكلمون وصلوا الى منزل الأبوين . وكان أول من رآهم هو القط ، لقد انتفَشَ وبره وراح ذنبه يكنس الأرض ، ثم هرع الى المطبخ وقال للابوين :

ـ ها هماتان الصغيرتان تعودان الى البيت وهما تسحبان كلباً من طوقه ٠ لا أحب هذا كثيراً ، أنا ٠

قال الأبوان :

ـ كلب ؟ لا ، هذه قوية !

وخرجا من المنزل فوجدا أن القط لم يكذب ٠

وسأل الأب بصوت محتد :

ـ كيف عثرتما على هذا الكلب ؟ ولماذا جئتما به الى هنا ؟

قالت الصغيرتان :

ـ انه كلب مسكين ضرير ٠ كان يصطدم رأسه بكل أشجار الطريق ٠ وكان يبدو تعيساً ٠٠٠

ـ هذا لا يهم ٠ أنا منعتكما من آن لاتوجها الخطاب إلى غريب ٠

نال الكلب بعد أن خطا خطوة الى الأمام واوماً برأسه محيياً :

ـ احترامي أيها الأبوان ٠ أنا أرى واضحاً ان ليس في هذا المنزل مطرح لكلب ضرير ٠ ولن أتريث هنا طويلا ٠ سأتابع طريقي ٠ ولكن ٠ قبل أن أمضي في سبيلي ، اسمحا لي ان أثني عليكما لأن لكما طفلتين على مثل هذا العقل وهذه الطاعة ٠ قبل قليل ، كنت ضالا على الطريق من غير أن أرى الصغيرتين٠وتنشقت رائحة سجق عجل طيبة ٠ ولما كنت على غدائي منذ أمس فقد تشهيت أكلها من كل معدتي ، ولكنهما نهتاني عن أن أمس السلة ٠ هذا مع أني كنت أبدو شريراً مرعباً ٠ وهل تعلمان ماذا قالتا لي ؟ قالتا : « سجق العجل يخص الأبوين وما يخص أبوينا فليس للكلاب » هذا ما قالتاه لي ٠ أنا لا أعلم ما اذا كنتما مثلي ، ولكن عندما أصادف بنتين صغيرتين على مثل هذا الرشاد ، على مثل هذه الطاعة التي اعليهما صغيرتاكما ، فاني أكف عن التفكير في جوعي ، وأقول في نفسي انكما قد أوتيتما حظاً عظيماً ٠٠

في تلك الأثناء كانت الأم تبتسم لطفلتيهما ، والأب رأسه في السحاب زهوا بثناء الكلب على ابنتيه • وقال الأب :

ــ أنا ليس لي ما أشكوه منهما • بنتــان طيبتان صغيرتان • وأنا لم أؤنبهما قبل قليل إلا لأحذرهما من المصادفات الرديئة ، حتى انني مغتبط لأنهما اصطحباك الى البيت • سيُقدَّم الآن اليك حساء طيب ، وفي وسعك أن تستريح هذه الليلــة ولكن كيف وقع انك ضرير وانك تضرب هكذا في الدروب وحيداً ؟

وروى الكلب مرة أخرى ما جرى له وكيف هجره معلمه بعد أن نقل اليه آفته • وكان الأبوان يصغيان اليه باهتمام ، وقد ظهرت عليهما دلائل التأثر الشديد • وقال الأب :

ــ أنت خير الكلاب قاطبة • وليس لي ما آخذه عليك غير أنــك كنت طيبــاً أكثر مما ينبغي • لقد انطويت على قدر من الرحمة والنبالة وسأفعل شيئاً مــن أجلــك ابــق في البيت ما شئت وما حــلا لــك البقــاء ستبقى لــك وجاراً جميــلا وسيكون لك كل يوم حساؤك من غير أن نحسب العظام • ولما سبق ان قمت بكثير من الأسفار فستحدثنا حديث البلدان التي مررت بها ، وسيكون لنا في ذلك مجال لأن نتنور بعض الشيء •

وتضرجت وجنتا الصغيرتين من حبور ، وهنأ كل فرد الآخر بقرار الأب حتى ان القط ذاته أدركته المرحمة وعوضاً عــن أن يقف وبره • ويصر بأسنانه وراء شاربيه نظر الى الكلب نظرة مودة وقال الكلب وهو يتنفس الصعداء :

ــ أنا سعيد جدا • لم أكن أنتظر أن أعثر على بيت يفتح لي ذراعيه بمثل هذه الحفاوة بعد أن هُجرت وشُردت •••

قال الأب :

ــ كان لك معلم سيء • انسان شرير ، أناني وجاحد ، ولكن ليتدبر أمره فلا يمر أبد الدهر من هنا ، لأني ، ان لفعل ، سأخجله من تصرفه وسأعاقبه بمــا يستحق •

فهز انكلب رأسه وقال وهو يتنهد :

ـ لا بد أن معلمي قد نال جزاءه وزيادة في الوقت الحاضر · أنا لا أقول أن ضميره يؤنبه لأنه تركني، ولكني عليم بايثاره الكسل · الآن ، وهو غيرمكنوف وعليه أن يعمل ليأكل خبزه اليومي بعرق الجبين ، فأنا على يقين من أنه ، سيتأسف على الأيام الجميلة التي لم يكن يتحتم عليه خلالها أن يعمل شيئاً الا أن يتركنفسه يقاد في الطرق وينتظر خبزه يأتيه من صدقات عابري السبيل · حتى اني أعترف لكم أني قلق على مصيره ، لأني لا أظن أن في الدنيا من هو اكسل منه ·

وضحك القط من خلف شاربيه · كان يجد الكلب احمق اذ يقلق على معلم سبق له أن هجره · وكان الأبوان يريان رأي القط ولم يتحرجا من أن يقولا له رأيهما صراحة :

ـ حقاً أن مصابه لم يعلمه · وسيظل دائماً كما كان !

وأحس الكلب بالخجل وأصغى اليهما وأذناه مطرقتان ولكن الصغيرتين أخذتا بعنقه وقالت مارينيت للقط وهي تعد اليه النظر :

ـ ذلك بأنه طيب ! وأنت يا قط ، وعوضاً عن أن تضحك في شاربيك ما عليك الا أن تكون أنت ايضاً طيباً مثله ·

وأضافت ديلفين :

ـ وعندما نلعب معك أن لا تخرمشنا حتى يوقفنا الأبوان جزاء في ركن المطبخ ·

ـ مثلما فعلت البارحة أيضاً !

كان القط متضايقاً وقد شعر بالخجل فأدار ظهره الى الصغيرتين وذهب في اتجاه المنزل وهو يتمايل على نحو قاتم · وأسر في ذات نفسه أنهما لم تكونا عادلتين في حكمهما عليه ، لأنه لا يخرمش الا من قبيل اللعب ، وهو لا يفعلها على عمد ، وانه في الحقيقة طيب هو أيضاً كالكلب وربما أطيب منه ·

ووجدت الصغيرتان أن صحبة الكلب شيء لطيففاذا ذهبتا الىالسوق لتسوّق الأغراض قالتا له :

ــ كلب ، نحن ذاهبتان الى السوق ٠ هل تذهب معنا ؟

فيجيب الكلب :

ــ اجل ، أجل ٠ ضعا لي طوقي في سرعة ٠

وتضع له ديلفين الطوق وتمسك مارينيت بالخيط (أو العكس) ويذهب الثلاثة جميعهم الى السوق ٠

في الطريق ، كانت الصغيرتان تقولان له أن قطيعاً من البقرات يمر في المرج، أو أن في السماء غيمة وأما هو الذي لم يكن قادراً على الرؤية فقد كان سعيداً أن يعلم أن قطيعاً يمر أو غيمة في السماء ٠ ولكنهما لم تكونا تعلمان دائماً أن تقولا له ما كانتا تريانه ، فيطرح عليهما أسئلة :

ــ ولكنكما لم تقولا لي ما لون هذه الطيور وما شكل مناقيرها في الأقل ٠

ــ طيب ، أضخمها له ريش أصفر على ظهره وجناحاه أسودانوذنبه أسود وأصفر ٠٠٠

ــ اذن هذا هو الصفاري ، وستسمعانه يغني ٠٠٠

ولم يكن الصفاري مستعدا دوماً للغناء ، فكان الكلب ، لتعليم الصغيرتين ، يحاول تقليد أغنيته ، ولكنه لا يصنع شيئاً الا النباح ، وكان تقليده مضحكا حتى ان الركب يضطر الى الوقوف للضحك حتى الدموع ٠ في أحيان أخرى كان ما يمر أرنب أو ثعلب على تخوم الغابة ٠ حينئذ كان الكلب هو الذي يخطر الصغيرتين يركز أنفه على الأرض ويقول وهو يتنشق :

ــ أشم رائحة أرنب ٠٠٠ انظر هناك ٠٠٠

كانوا يضحكون تقريباً طوال الطريق ٠ يلعبون أيهم يسبق في الركض على رجل واحدة وكان الكلب دائماً هو الرابح لأنه يبقى له على أية حال ثلاث قوائم فتصيح الصغيرتان :

ـ هذا ما هو عدل ٠ نحن ننط على قائمة واحدة ٠

ـ ما هو عدل مع هذه القوائم الكبيرة التي تملكان !

وكان القط معذباً دائماً بعض الشيء اذ يرى الكلب ذاهبا في رفقة الصغيرتين كان يكن له صداقة عظيمة حتى أنه يتمنى لو استطاع أن يظل يهز بين قوائمه من الصباح حتى المساء ٠ وحينما تكون ديلفين ومارينيت في المدرسة لم يكونا يفترقان الا لماما ٠ أيام المطر كانا يقضيان وقتهما كله في وجار الكلب يثرثران أو ينامان واحدهما لصق الآخر ٠ ولكن ، في أيام الصحو ، كان الكلب مستعداً دائماً للركض في الحقول ، ويقول لصديقه :

ـ أيها الكسول الكبير ٠ يا قط ٠ انهض وقم تنزه ٠

فيقول القط :

ـ رون رون ، رون رون ٠

ـ هيا ، تعال دلني على الطريق ٠

ويعود القط فيقول مداعباً :

ـ رون رون ، رون رون ٠

ـ أنت تريد أن توهمني أنك نائم ولكني أعلم جيداً انك لا تنام ٠ أي نعم أنا أعلم ماذا تريد ٠٠٠ هاك !

ويقرفص الكلب فيجلس القط على ظهره ويقول :

امش مستقيماً ٠٠٠ لف على اليسار ٠٠٠ ولكن ، اذا كنت تعباً فقل لي حتى أنزل ٠

ولكن الكلب لم يكن قط تعباً أو يكاد ٠ ويقول أن القط لا يزن أكثر من ريشة حمامة ٠ وبينما هما يتنزهان في الحقول كانا يتحدثان عن الحياة في المزرعة ، عن الصغيرتين ، عن الأبوين ٠ وعلى الرغم من أن القط ربما وقع له أن خرمش

الصغيرتين فقد أصبح طيبا حقا • وكان همه دائماً أن يعلم ما اذا كان صديقه مسروراً من حياته ، ما اذا أكل كفايته أو نام جيدا • ويسأله :

ـ هل أنت سعيد في المزرعة يا كلب ؟

ويجيب الكلب متنهداً :

ـ اللهم نعم • ليس لي ما أشكو منه • كل أحد في المزرعةلطيف•••

ـ أنت تقول انعم ولكني أرى أن في نفسك شيئاً •••
نيحتج الكلب :
ـ لا ، أؤكد لك •

ـ هل تتأسف على معلمك القديم ؟

ـ لا ، قط ، صراحة ••• أكثر من هذا علي أن أقول ان لي بعض الموجدة عليه ••• قد يكون الانسان سعيداً في وقت من الاوقات ويكون له أصدقاءطيبون، ولكنه لا يملك الا أن يأسف لفقدان عينيه •

ويتنهد الكلب •

ـ لا شك في ذلك ، لا شك •••

ذات يوم بينما كانت الصغيرتان تسألان الكلب عما اذا كان يود مرافقتهما الى السوق ، خرج القط عن طوره وقال لهما انهما قادرتان على الذهاب وحدهما ، وأن مكان كلب أعمى ليس على الدروب برفقة راسين مجنونتين بادىء الأمر لم تزد الصغيرتان على أن ضحكتا ، وعرضت مارينيت على القط أن يرافقهما فأجاب غاضباً•

ـ كأني ، أنا القط ، أستطيع الذهاب الى الأسواق •

قالت مارنييت :

ـ كنت أود أن أسرك ، ولكن ما دمت تؤثر البقاء فلك ما تريد !

ورأته ديلفين ظاهر الغضب فانحنت لتداعبه والكنه خرمش يدها فأدماها • واحتدت مارينيت لأنه خرمش فانحنت بدورها وقالت له وهي تشده من شاربيه:

ـ في عمري لم أر حيواناً أسوأ من هذا القط الهرم !

وصرخ القط وهو يضربها بمخلبه :

ـ هاك أنت أيضاً ما تستحقين !

ـ آخ ، خرمشني أنا أيضاً •

ـ نعم ، خرمشتك وأنا ذاهب أقول للابوين انك شددتني من شاربي حتى يوقفاك جزاء في الزاوية •

قال هذاواندفع يعدو نحو المنزل ، ولكن الكلب الذي لم ير شيئاً والذيكان لا يكاد يصدق أذنيه كلمه في حزم :

ـ قط ، أنا ما كنت أعلم أنك على مثل هـذا السوء • الصغيرتان كانتا مصيبتين لما قالتا انك قط سيء ••• أؤكد لك أني غير مبسوط منـك • اتركاه أيتها الصغيرتان وتعاليا نذهب الى السوق •

كان القط من الخجل في حيث لم يجد كلمة واحدة يرد بهـا على الكلب ، وتركهم يذهبون من غير أية كلمة اعتذار أو أسف • ولـمـا صار الكلب في الطريق التفت اليه وقال له أيضاً :

ـ لست مبسوطاً منك مطلقاً •

وبهت القط وتسمر على قوائمه في وسط الفنـاء ، وكان شديد الحزن • كان يرى جيداً أنه ما كان له أن يخرمش وانه ساء سلوكاً • ولكن أكثر ما عذبه هو التفكير في أن الكلب كف عن محبته وأنه قد يعتبره منذ اليوم قطاً سيئاً • وبلـغ من أساه أنه ذهب الى غرفة المونة حيث انزوى بقية نهاره • وقال في نفسه : « أنا مع ذلك طيب • واذا كنت قد خرمشت فلم أفعل عن قصد • أنا نادم لأني فعلت وهذا برهان على أني طيب • ولكن كيف السبيل الى افهامـــه اني طيب ؟ » وفي

المساء لما سمع الصغيرتين وهما عائدتان من السوق لم يجرؤ على النزول من غرفة المونة · ومط انفه من كوة الغرفة فرأى الكلب يدور في الفناء ويقول وهو يشمشم :

ـ أنا لا أسمع حساً للقط ولا أشم له رائحة · هل تريانه أنتما أيتها الصغيرتان ؟

أجابت مارينيت :

ـ لا ، دخلك وأفضل أن لا أراه · انه رديء جداً ·

تنهد الكلب قائلا :

ـ هذا صحيح · لا أحد يستطيع أن يقول العكس بعد كل ما فعله بكما قبل قليل ·

كان القط تعيساً جداً · وتشهى ان يمر رأسه من الكوة ويصيح : « هذا غير صحيح ! أنا طيب ! » ، ولكنه لم يتجاسر على قول أي شيء ، لأنه فكر في أن الكلب غير مضطر لتصديقه بعد كل أمر · وقضى ليلة سيئة جداً في غرفة المونة ولم يغمض له جفن · فلما كان صباح اليوم التالي نزل من غرفة المونة مبكراً ، محمر العينين ، هابط الشاربين وذهب الى الكلب في مسكنه وجلس مقابله وقال له على استحياء :

ـ صباح الخير كلب ··· هذا أنا ، القط ···

هرّ الكلب هريراً فيه حرد وحزن :

ـ صباح الخير ، صباح الخير ·

ـ هل قضيت ليلة سيئة كلب ؟ أنت تبدو حزيناً ···

ـ لا ، نمت جيداً ··· ولكن كلما أفقت احسست الفجاءة ذاتها والدهشة من أني لا أرى بوضوح ·

ـ صحيح ، وأنا متالم من كونك لا ترى في وضوح · وفكرت أنك اذا أردت

ان تنقل الي آفتك استطعت أن أصبح ضريراً عوضاً عنك وان أصنع من أجلك مـا صنعته أنت من أجل معلمك ...

بادىء الأمر لم يستطع الكلب قول أي شيء لما أصابه من تأثر كـاد يسلمه الى البكاء .

ـ ما أطيبك يا قط ... أنا لا أريد ... أنت طيب جداً ...

كان القط يرتعش في وبره لسماعه أباه يتكلم على هذا النحو . لم يخطر له قط أن يستشعر المرء كل هذه السعادة اذ هو طيب . قال :

ـ هلم آخذ آفتك .

احتج الكلب بقوة :
ـ كلا ، كلا . أنا لا أريد ...

ودمـع بكونه تعـود أن لا يـرى الأشياء بوضوح ، وان له من الأصدقاء ما يجعله سعيداً . ولكن القط رفض الاذعان فأجابه :

ـ أنت يا كلب في حاجة الى عينيك حتى تكون نافعاً في البيت هنا . وأما أنا فما عسى ان ينفعني البصر ؟ أنا أسالك أنت نفسك هذا السؤال . أنا كسـلان لا يلتـذ الا ان أنـام في الشمس أو في ركن قرب الموقـد . وأكاد أكون دائماً مغمض العينين . أليس خيراً لي ان أكون مكفوفاً . ذلك أن البصر لا ينفعني كثيراً كمـا ترى .

وظل يقول قولا كريماً ويبدي تصميماً لا يلين حتى انتهى بالكلب الى الموافقة على رجائه . وتم التبادل للتو في بيت الكلب حيث كانا . وكان أول شيء فعلـه الكلب وهو يرى النور كرة أخرى أن صرخ بأعلى صوته :

ـ القط طيب ! القط طيب !

وخرجت الصغيرتان الى الفناء ، حتى اذا علمتا بما حدث عانقتا القط وهمـا تبكيان وقالتا :

— يا الله ما أطيبه ، ما أطيبه !

وأما هو ، القط ، فقد أمال رأسه وهو سعيد بكونه طيباً ولم ير أنه لايرى·

منذ أن استعاد الكلب البصر عاد كثير الأشغال ، لا يجد وقتاً للراحة في وجاره الا وقت الظهر وأثناء الليل · في ما بقي من وقته كانوا يرسلونه لحراسة القطيع ، او أنه يرافق معلميه في الطريق الى الحقل أو الغابة · وكان يوجد دائماً واحدمنهم يأخذه في نزهة · لم يكن يتشكى من ذلك قط· على العكس ، في عمره لم يعش سعادة أعمق من هذه التي كان يحياها · وحينما كان يتذكر أيام كان يقود معلمه الاول من ضيعة الى ضيعة ، كان ينحني نفسه على المغامرة التي جاءت به الى هذه المزرعة · كان تنغيصه الوحيد في أنه لا يجد وقتاً كافياً يكرسه للقط الذي أظهر أنه طيب حقاً · كان ينهض مع الصباح الباكر فيحمله على ظهره ليقوما بجولة في البرية · وكانت تلك أحلى ساعات النهار عند القط · كان صديقه الكلب يحدثه حديث نشاطاته ، ولا يدع فرصة الا اغتنمها ليشكر له ويرثي بعض الشيء لحاله · وكان القط يقول له ان ما فعله لم يكن شيئاً مذكورا ولا يستحق حتى الكلام عليه ، ولكنه في قرارته كان ينكر في أن المرء اذا كان يبصر في وضوح كان من السعداء · الآن وهو ضرير فان أحداً لا يهتم به · الصغيرتان ما تزالان تأخذانه في حنان وتضمانه على ركبهما لتداعباه ··· ولكن دوامهما كان الى الهيات أحب · أن تذهبا فتلعبا وتتراكضا مع الكلب · ولم يكن لدى أحد لعبة يمكن أن يشرك فيها قطاً مسكيناً أعمى ·

ومع ذلك لم يكن القط ليأسف على شيء·كان يقول في ذات نفسه ان صديقه الكلب سعيد وليس في الدنيا أهم من ذلك · كان قطاً طيباً جداً في أثناء النهار ، عندما يكون وحده . لا أحد يسامره فينام ما شاء في عين الشمس أو في ركن قرب الموقد ويقول :

— رون رون أنا طيب ··· رون رون ··· أنا طيب ·

في أحد اصباحات الصيف والطقس حار كان قد استلقى في الرطوبة على آخر

درجات الدرج النازل الى القبو ، يهرّ كدابه ، لما احس شيئاً يتحرك حتى ليكاد يهمس وبره • لم يكن في حاجة الى النظر لكي يعلم أن المتحرك فارة • رزق ساقه الله لنا ! وقبض عليها بضربة واحدة من قائمته • وارتعبت الفارة رعباً احبطها حتى عن التفكير في الهرب • قالت :

سيدي القط ، تلطف بالسماح لي بالانصراف أنا فارة صغيرة جداً ضلت طريقها •••

قال القط :

ـ فارة صغيرة ؟ طيب ساكلك •

ـ سيدي القط ، اذا لم تاكلني فاني أعدك باطاعة اوامرك دائماً •

ـ لا ، أنا أوثر أن آكلك ••• الا اذا •••

ـ الا اذا ، سيدي القط ؟

ـ أي ستي هاك المسألة : أنا أعمى • فاذا شئت أن تحلي محلي وتصبحي عمياء مثلي أبقيت على حياتك • في هذه الحال تستطيعين ان تتنزهي في الفناء حرة طليقة وأنا أتدبر أمر اطعامك بنفسي • الخلاصة ، ان مصلحتك أن تصبحي عمياء في هذه الشروط • ان من كانت مثلك ، تركبها الرجفة من أن تقع بين مخالبي يجب أن تقبل فتكون لها السلامة ويكون لديها الأمان والطمأنينة •

وترددت الفارة واعتذرت من القط ، فأجابها في طيبة :

ـ فكري جيداً أيها الفارة الصغيرة ، ولا تتخذي قرارك في خفة • أنا لست على عجل أمري في حيث لا أطيق الصبر بضع دقائق • ان ما أريده بادىء بدء هو أن تتخذي قرارك في منتهى الحرية •

قالت الفارة :

ـ أجل ، ولكن اذا قلت لا أكلتني ؟

– طبيعي أيتها الفارة الصغيرة ، طبيعي ٠
– اذن أنا أوثر أن أكون عمياء على أن أكون مأكولة ٠

لما عادت ديلفين وماريتيت ظهراً من المدرسة ادهشهما أن تريا فارة صغيرة جداً تتنزه في الفناء بين قوائم القط ٠ وازدادتا دهشة اذ علمتا أن الفارة عمياء والقط ليس بآباه ٠

قال القط :
– انها فارة صغيرة طيبة ذات قلب ممتاز وانصح لكما أن تعنيا بها كل عناية ٠

قالت الصغيرتان :

– كن مطمئناً ٠ لن ينقصها شيء ٠ سنقدم لها الأكل ونهيء لها سريراً من أجل النوم ٠

ووصل الكلب بدوره فأسعده شفاء صديقه حتى انه عجز عن اخفاء فرحه في حضور الفارة ٠ قال :

– كان القط طيباً جداً وهاكم ما حدث : ها هو ذا يكافأ اليوم ٠

قالت الصغيرتان :
– هذا صحيح ٠ كان طيباً ٠٠٠
وغمغم القط :
هذا صحيح ٠ كنت طيباً ٠٠٠
وهمست الفارة :
– هممم ! همم !

ذات يوم أحد بينما كان الكلب يهوّم قرب القط ، والصغيرتان تتنزهان الفارة في الفناء ، انتصب الكلب وأخذ يتنشق الهواء وهو قلق لا يستقر ، ثم أنه نهض وهو يهرّ ووثب ميمماً الطريق الذي تصدر منه وقع أقدام رجل ٠ كان هذا متشرداً نحيف الوجه ، يلبس ثياباً ممزقة ويجرر أقدامه منهوك القوى ٠ وبينما هو

يمر بالمنزل سنحت منه التفاتة نحو فناء البيت واذا هو يبهت اذ يرى الكلب · دنا منه واثق الخطوة وهمس :

ــ كلب ، شمني قليلا ···· الا تعرفني ؟

قال الكلب وهو يخفض رأسه :

ــ بلى ، أنت معلمي القديم ·

ــ لقد أسأت التصرف معك يا كلب ··· ولكن ، لو عرفت عذاب الضمير الذي عانيت لغفرت لي دون اي شك ···

ــ أنا غفرت لحضرتك ولكن اذهب من هنا ·

ــ منذ أن عاد اليّ البصر وهو حديد وانا تعيس ، تعيس جداً · انا كسول، كسول حتى اني لم أحزم امري حتى الآن لكي أعمل · وقد ينقضي الاسبوع بكامله من غير أن يتاح لي أن آكل مرة واحدة · في الماضي ، لما كنت مكفوفاً لم اكن احتاج الى أي عمل · كان الناس يطعمونني ويؤوونني ويرثون لحالي ··· اتذكر ؟ كنا سعيدين ··· اذا أردت يا كلب استعدت أفتي وعدت ضريراً تقودني أنت في الطرق مثلما كنت تفعل من قبل ·

أجاب الكلب ،

ــ ربما كنت أنت سعيداً · وأما انا فلم أكنه قط · انسيت الضربات التي كنت تكافىء بها حميتي لك وصداقتي الخالصة لوجهك ؟ أنت كنت معلماً سيئاً · وقد فهمت ذلك على نحو أفضل مذ عرفت معلمين افضل · أنا لا أضمر اي حقد عليك، ولكن لا تنتظر مني العودة الى مرافقتك على الطرق · من جهة أخرى ، أنت لا تستطيع استعادة آفتي لأني عدت غير ضرير · القط ، وهو المفرط الطيبة ، شاء أن يحل محلي ، ثم ان الـ ···

ولم يتسن للكلب أن يتم كلامه لأن الرجل ابتعد وهو يسبه وينعته بأنهحيوان سيء ، وذهب الى القط الذي كان يهرُ عند مدخل الوجار · قال :

ــ أيها القط الهرم البائس ·

قال القط :

ـ رون رون •

ـ أنا على يقين من انك مستعد لأن تهب كل شيء لكي يعود اليك بصرك • فاذا أردت وجدتني قادراً على أن أحل محلك على شرط أن تقودني في الطرق مثلما كان يفعل الكلب في الماضي •

وفتح القط عينيه على مصاريعهما وقال من غير أن يتحرك :

ـ لو أنني ما زلت كفيفاً لقبلت • ربما ، عرضك • ولكني لم أبقه منذ أن تلطفت الفارة فأخذت آفتي عني • انها حيوانة طيبة جداً • فاذا شئت ان تبسط لها قضيتك فقد لا ترفض لك هذه الأمنية • انظر ، ها هي ذي نائمة على حجرهناك حيث وضعتها الصغيرتان بعد النزهة •

وتردد الرجل قليلا قبل أن يذهب لمقابلة الفارة ، ولكنه كان يستشعر الكسل عميقاً في نفسه حتى أن مجرد التفكير في العمل لكسب خبز يومه كان غير مطاق عنده حتى انه حزم أمره وقرر استرحام الفارة فانحنى عليها وقال لها في لطافة :

ـ يا للفارة المسكينة ، لشد ما أرثي لك • • •

قالت الفارة :

ـ أجل يا سيدي • الصغيرتان لطيفتان ، والكلب أيضاً ، ولكني أتمنى لـو استعدت بصري •

ـ هل تريدين أن أصبح مكفوفاً محلك ؟

ـ نعم يا سيدي •

ـ في مقابل ذلك تصبحين دليلتي • أضع لك خيطاً في عنقك وتقودينني أنت في الطرق •

قالت الفارة :

– هذا ليس بالأمر الصعب · سأقودك أينما شئت ·

واصطفت الصغيرتان في مدخل الفناء مع الكلب والقط ينظرون الى الرجل وهو يخطو خطواته الأولى مكفوفاً مرة أخرى على الطريق وراء الفأرة التي كان يمسك بالخيط المعلق برقبتها · كان يمشي وئيداً وفي كثير من التردد ، لأن الفأرة كانت من الصغر في حيث أن كل جهد تبذله لا يكاد يشد الخيط وان أقل حركة تبدر من الرجل كانت تجعل الحيوانة المسكينة تدور حول نفسها من غير أن يحس هو بذلك · كان القط وديلفين ومارينيت يطلقون تنهدات جارفة من اللوعة والاشفاق· وأما الكلب فكان يرتجف من قوائمه الأربع جميعاً وهو يرى الى الرجل يتعثر بحجارة الطريق ويتردد في كل خطوة يخطوها ، حتى ان الصغيرتين أمسكتاه من طوقه وطفقتا تداعبان رأسه ، ولكنه تملص منهما على حين غرة واندفع مثل السهم نحو الضرير · وصرخت الصغيرتان :

– كلب !

وصرخ القط :

– كلب !

كان يبدو كأنه لا يسمع شيئاً ، ولما وضع له الرجل الخيط في طوقه ابتعد من غير أن يلتفت حتى لا يرى الصغيرتين وهما تبكيان والقط بعبرات غزار ·

o—•—o

من الأدب الكوبي

العيد

قصة : آنا ماريا سيمو ★ ترجمة عبد اللطيف الأرناؤوط

اول مرة رايت فيها عمتي (البرتين) كانت ترتدي تنورة من الدانتيل الازرق، وللحق اني رايتها قبل ذلك . لقد كانت هناك حين ولدت وتعمدت في الكاتدرائية • كذلك تزوج ابواي في الكاتدرائية وكانت هي العرافة في عرسهما ولقد تزوجا على حد تعبير امي ببساطة لانهما لا يحبان الابهة • ولكن حقيقة هذه البساطة او ذلك الاحتفال غير العلني الخاطف تعود الى وضع والدي الاقتصادي الهزيل الذي كان بائعا متجولا على البيوت يبيع طلاء الاظافر •

في ذلك اليوم كانت عمتي (البرتين) في طريقها الى حضور العيد ، وكانت تلك اول مرة اتأملها فيها . فما كنت اهتم وانا في السابعة من عمري الا بالاثاث الخشبي المصنوع من (الاكاجو) القاتم لفرش الصالات وبقطع الجص التي كانت تسقط من الجدران بتأثير الرطوبة ، وصورة القلب الاقدس ودجاجة كان يحتفظ بها والدي في الباحة وقد عقد العزم على ان ينذر نفسه لتربية الدواجن .

انتظرت البرتين وجدتي بضع دقائق امام الباب . ومع ان عمرها المعترف به يناهز الخامسة والعشرين ، فان جدتي كانت تصطحبها الى حفلات الرقص كلها من غير ان يكف بصرها الثاقب عن مراقبتها . ورايت عبر النافذة جدتي

★ ولدت الكاتبة القصصية عام ١٩٤٣ .

ترتب لها غطاء ثوبها بحركة خفية عنيفة وهي منتصبة القامة ، مرفوعة الذقن ثم ركبنا عربة استأجرها خطيب عمتي الذي يدعى (كيميران) وهو ابن اخي صاحب مخزن الثياب ، وقد توقع له الناس كلهم الفوز في الانتخابات المقبلة ليصبح مستشارا في قائمة الليبراليين . وهو قد خطب عمتي (البرتين) بعد مستخدم المحاكم الذي حاول طويلاً ، تقبيلها من غير ان يوفق ، مخادعاً جدتي التي كانت تتمايل فوق مقعد ينتصب امام اريكة منحنية .

ما أكثر الذين طلبوا يد (البرتين) ! فهي تحكي بنبرة خافتة كيف كان يبرز في كل شهرين تقريبا راس جديد من وراء السور الحديدي الموازي للشارع فيكلم عمتي الجالسة على طرف الشباك من الداخل . وبعد بضعة ايام ، كان يسمح للخاطب ان يلج البيت ويجلس على مقعد بعيد الى حد ما من مقعد (البرتين) ولكنه غير بعيد عن مقعد جدتي لكي تستطيع تفحصه بعناية ، وبعد هذا الاختبار تجلس عمتي والخطيب متقاربين على مقعد مفصول الى شطرين بحاجز خشبي وشبك من الحديد مركوز بعناية . لم تكن (البرتين) تخاصم خاطبها ، الا ان زياراته كانت تتناقص ، والنزهات تغدو كئيبة الى ان يحتل شخص جديد مكانه . وعلى مر الزمن فقد غطاء المقعد بريقه الأبيض الزاهي وكف الخطاب عن الجلوس الى النافذة بالتدريج . آنذاك عقدت جدتي العزم على ارسال تنورة عمتي (البرتين) الزرقاء الى المصبغة لأول مرة ، ورات ان من الضرورة بمكان تنجيد الاريكة التي كان يستخدمها أهلي واستخدمتها انا ايضا ردحاً من الزمن .

★ ★ ★

بلغت البرتين الثلاثين من عمرها . وذات صباح ايقظتها عمتي مبكرة لتقدم لها هديتها : باقة من الدنتيل الابيض لفستانها الأزرق . فلم تعجبها حياكتها فاعادتها الى الدكان لتجلب لها باقة اخرى اغلى منها ثمناً .

وسمعت والدي وانا في سريري ليلا يحتج على هذا التبذير قائلا :

ــ من تظنين نفسك ؟ . . هل تحسبين ان المال ينبت على الشجر . . ؟

ثم عمَّ صمت قطعه صوت امي التي كانت تهمس لأنها تخشى ان تسمعها جدتي او البرتين .. لا اعلم لماذا يلزمها هذا المقدار من الدانتيل والحوائج الاخرى ؟.. وبقيت ... ورايت عبر الاريكة شكلا ابيض يجتاز الباحة باتجاه حجرة البرتين ثم سمعت بعد قليل ضحكة .. وصوتا خنقته الوسادة..

وكفت عمتي عن الجلوس الى النافذة بعد الظهيرة ، وما عادت تقول لي ضاحكة ، ان قضبان حديد السور هي واجهات الزواج . واصبحت حين تتكلم عن الماضي تركز كلامها على خطابها القدامى : في ايام الحرب حين كان الالماني يزورنا . انها ما فتئت تذهب الى حفلات الرقص مع جدتي ، ولم يكن يرجعهما احد الى البيت بالسيارة ، ورايتها مرة او مرتين تكلم في زاوية الطريق رجلاً يكاد يكون اصلع .. لم يدخل الرجل البيت بل عدل عن المرور من هذا الحي . وذوت صحة جدتي دون مرض ظاهر . وفي الصيف اصابتها هزة نفسية .. كانت تجلس قليلا في السرير ، وتسألني وهي تفتح عينيها عن البرتين وكنت ازعم انها ذهبت الى العيد .. وتغلق هاتين العينين اللتين كنت اراهما في حلم مزعج .. البرتين ذهبت الى العيد .. الى العيد .. الى ان تحينا عني نهائيا..

اغلقت المدرسة ابوابها في شهر حزيران . وكان عمري اثنتي عشرة سنة وكنت اقضي ايامي في البيت مع عمتي ، وكان والدي يغادره باكرا للتفتيش عن عمل ولا يعود الا مساء مع امي التي كانت تعمل في دكان للثياب ..

وفي هذه الاثناء توفيت جدتي .

حتى ذلك الحين كنت وعمتي على وفاق تام ، لقد كانت تتالق جمالاً في سهراتها وكانت حين تخرج الى الحديقة تصطحبني معها . لكن بعد وفاة جدتي اخذت تؤنبني لأي سبب وتصرخ قائلة انني فتاة قليلة التهذيب . وكانت تعلم ان هذه هي الاهانة الوحيدة التي يمكن بواسطتها ان تجرحني .

وفي ذات صباح بعد مثل هذه المشاجرات سألتها : ماذا حل بفستانها الازرق ؟.. وندمت على صوتي الثائر فاخفيت وجهي بصورة غريزية ظنا مني انها سوف تنهال عليَّ بالضرب .

نظرت اليّ فترة وهي جامدة لا تتحرك ، ثم اخرجت حافظة نقودهـا من الصندوق لتقول : هيا اذهبي واشتري لنا زيتونا . ذهبت مسرعة نحو الدكان. وما إن عدت حتى وجدتها في غرفتها ، وقد اغلقتها عليها ،وفي علبة القمامة خلف الباحة كومة من قطع النسيج الأزرق ، نصف محروقـة ، لا يزال يتصـاعـد منها الدخـان .

ومنذ ذلك اليوم كفت البرتين عن الخروج من حجرتها ، كـانت تخرج في الثامنة صباحا خلسة الى المغسلة وما إن تعود الى حجرتها حتى تأخذ بترتيب (تذكاراتها) تتأمل اقراطها والصور والرسائل وما لم تلبسـه من وسـائـل التبرج .

كنت اقرا كتبا محرمة في الحجرة المجـاورة ، ومن هنـاك كنت اسمـع ما يجري داخلها فاترك الكتاب في مخبئه فيدرج منسي في خزانة جدتي ثم اخرج الى الباحة متلصصة من خلال شقوق الباب ، كانت ترتدي (الروب) الـذي لبسته حين انتخبت ملكة جمال الكرنفال . وتتبختر بأبهة في القاعة محيية من هم عن يمينها وشمالها بمروحة لم يبق منها سوى هيكلها .. كانت ترفع ذيول ثوبها وتجلس على السرير ، وتناجي نفسها وكنت اراقبها فترة ثم اعود لأبحث عن كتابي محاذرة إصدار اي صوت ، ولم اكن استطيع قراءة صفحة واحـدة رغم بذلي الجهد لانني ما عدت اجد لذة في قراءة الكتاب ..

لم تعد (البرتين) تتركني ادخل حجرتها ، عنـد الظهيرة فقط كنت ارى وجهها بضع ثوان حين كانت تفتح الباب قليلا لتاخذ الطعام الذي كنت احملـه اليها . كان جسمها ينتفخ كل يوم . وتتقلص حدقتا عينيها بعنف في النـور ، وبدات تطلب الطعام أكثر بكمية اكبر . واخذت اتنازل لها عن حصتي لكي تسمح لي بالتعرف على اسرار حجرتها .

والآن بدات اراقبها بصورة دائمة ، وامضي اليوم وانا اتاملها وهي تقوم بنزهاتها التي لا تنتهي وانا جالسة على كرسي وضعته امام شق البـاب .

نسيت الكتب الممنوعة وغدوات الأحد في فترة ما بعد الظهر والنزهـات

الطويلة على الشاطىء مع ارنست (وهو جار يكبرني بقليل ، كان يدهشني بجراته وتصميمه) حيث كان يظن اهلنا اننا في المدرسة . وطوال العطلةالصيفية لم اتحرك من مركز مراقبتي الا قليلاً ولم اقل شيئاً قط لأهلي لاني لا اريد ان اشاطرهم سري . وكنت اعلم انهم ينغصون على عمتي حياتها طوال النهار ، وانها تنام في ساعة مبكرة من التعب . ولقد كنت انظف البيت واجلب لوازم الطعام وارتب كل شيء قبل ان تنهض من نومها ، وحينذاك اقف حارسة بشغف امام بابها .

لكن انهيار صحتي بسبب نقص غذائي ، والخوف من افتضاح امري شغلا بال والدي ، فامرني ان اقف في الشمس وسط الباحة كل صباح كما اجبرتني امي ان اشرب زجاجة من زيت السمك ، كنت اعلل شحوبي بجهد الدراسة او انشغالي بافتتاح المدرسة . وهذا ما كان يطمئنهم قليلاً .

★ ★ ★

سمنت (البرتين) حتى لم يعد بمقدورها ربط قميص نومها كانت تقترب من الباب وتستدعيني . وكنت حين تبرز اتظاهر انني استمع الى المذياع في صالة الطعام ، فتطلب اليّ ان اوسع لها تنورتها اذ ربما ارتدتها في حفلة الرقص .

وكنت احاول ان اشرح لها انهم كفّوا عن تقديم حفلات رقص في كل يوم احد فكانت تبتسم دون ان تفهم وتمد لي التنورة . وكانت تفوح منها رائحة رطبة ممزوجة برائحة الصندل . وكان الصندوق مغطى بقوارير يعلوها الغبار . وتتكدس على السرير التنانير ومحافظ اليد البالية .

وعلى ارض الغرفة قطع المجلات وبقايا النسيج ، وفي زاوية تحت السرير اناء ماء مملوء فقاعات . كانت تحسب حساب فضولي وتدفعني خارجا وتغلق الباب بعنف . وفي ظهيرة يوم من الايام طلبت مني ان اضع لها غداءها في الباحة ، رايتها من فوق سلم ، تفتح الباب قليلا وتخرج خلسة يدها وتدخل

الصحون الى غرفتها ثم عادت لتضعها فارغة في المكان نفسه . ثم كررت هذه الحركة في الايام المقبلة .

★ ★ ★

وجاءت نهاية شهر آب . واخذت اعد الأسابيع المتبقية لافتتاح السنة الدراسية ، وكنت ارغب في ان ارجىء الموعد اذ كان عليّ بعد ذلك ان اترك حراستي لباب البرتين .

كنت احلم ان امي سوف تقبض عليّ من عنقي لتبعدني عنها ، وكنت اختنق شيئا فشيئا كلما كنت ابتعد عن حجرة عمتي ، واخذت اكره امي وابي. وكنت اعرف ان البرتين تقطع مسيرتها في الليل خشية ان يكشف امرها .

وبعد ظهيرة احد الايام بقيت امام حجرتها تحت مطر مدرار يتساقط ولم احسب له اي حساب حتى سالت قطرات المطر على وجهي وتظاهرت ان زكاما اصابني، فمنعني من الذهاب الى المدرسة لكن والدي اقترح ان يذهب معي الى الطبيب وهذا ما جعلني اعدل عن فكرتي .وقبل يومين من استئناف الدراسة، سقطت من على السلم فوق ارض الباحة مما سمح لي بالبقاء في البيت اسبوعا وقد رُبطت ذراعي ولفت بالجص . ولم تعرف عمتي ما حدث ، وحين نمي اليها الخبر ، اكتفت بهز راسها وخفض اهدابها وقاية لعينيها الدامعتين من النور.

وفي المشفى فكوا رباط ذراعي في الصباح فقفلت راجعة الى البيت خشية الا تفوتني بداية الاحتفالات التي تمارسها عمتي . اخذت تتكلم هذه المرة اكثر من عادتها وتجر جسدها الثقيل بصعوبة بين جبال البقايا المتكدسة داخل الغرفة وتحرك بعنف مروحتها كما لو كانت قد فقدت الرقابة على يدها اليمنى بعض الاحيان . كانت تضحك بصوت منخفض ، وهي تقلب راسها الى الخلف ، ضحكا قاسيا مصطنعا . وتنتهي كل ضحكة بصفير حاد حين تأخذ تتنفس بصعوبة . وكان الشحم الذي احاط برقبتها يبدو وكانه يخنقها . لكنها كانت تسيطر على هذه الازمة الطارئة اذ تستدعي انهواء بما بقي

من المروحة وتشم قارورة الكولونيا الفارغة منذ زمن طويل .

في تلك الليلة لم استطع ان اغفو . كنت اتأمل ذراعي التي شفيت وانـا مستلقية على سريري . كان اليوم الثاني يوم دراسة فافرغت حنقي على الكتب التي رتبتها فسقط بعضها مُحدثاً ضجة اختلطت بصوت حاد : (البرتين) تغني . فاجتزت الباحة حافية القدمين ، وانا واثقة ان والدي قد سمع الضجة وانه سوف ينهض لياخذ عمتي الى خارج البيت .

ولم اعرف لماذا كانت الشقوق اكثر ضيقا من المعتـاد وكيف تخـدشت عوارض الخشب لكي تجرح وجهي . وفي الداخل ما زالت عمتي تغني بصوت ثقيل مشوه :

هنـاك في سـوريـة
فتـاة من مـوريتـانيـا
. . .
اوووه .. ايهـا البحـار
يـا حبيبـي ...
ووضعت يدها على راسها بوقار مضحك :
لا تقتلنـي
اكثر من هـنا ...

كما وضعت (شالها) حول عنقها وقد علقت عليه كل حلاهـا واخـذت تدق الارض بقدمها وترسم بعض الخطى دون ان تخرج من دائرة وهميـة ثم اخذت تقلد صوت الناي في رقصة تذكر بموزار .. لم يكن اللحن لموزار بـل كان نغما راقصا ليس أكثر .. ورقصت الفالس ثم قطعة الدانوب الازرق ، التي تنشد في كل مناسبة . وكانت احياناً تقهقه بصوت عال ومرة ثانيةتتناول قدحا شفافا بين اناملها تحيي القادمين وتأخذ تدور بجنـون من جـدار الى آخر وهي تصطدم بالاثاث .

في الصباح كانت الامطار قد سقطت ، فكنت ارتجف من البرد وانتهى عيد البرتين .

حين وصل الضياء الى آخر زوايا الباحة ، انسحبت عمتي بعد ان رفعت ما يتدلى من ثوبها وابتسمت في غرفتها وقد ضمت شفتيها وسقطت بثقلها على السرير دون ان تخلع ثيابها . عدت الى غرفتي حريصة على الا يسمعني احد.

لم استطع ان افتح عيني من الاعياء حين جاءت امي لتوقظني وسمعتها تقول انها ستتركني اغفو طوال فترة ما قبل الظهر . لكن شمس الظهيرة كانت ايقظتني . وسرعان ما قفزت من السرير وقطعت الباحة وانا افكر بأن البرتين بقيت وحيدة ، للمرة الاولى منذ عدة شهور حتى هذه الساعة . وتوقفت هناك قرب الباب ، وقد اخذني الخوف من ان اجد الحجرة خالية . قمت بجهد مؤلم ونظرت من شق الباب . فرايتها على ما كنت قد تركتها عليه في الصباح الباكر جامدة على سريرها وحسبتها نائمة لكن السكون الشامل جعلني اتخلى عن فكرتي ، فزاد قلقي . وغمرتني رائحة بارود ورطوبة ، وغبار وصندل ، حين اقتربت من السرير وسط النور الخافت . ولم اعد اشعر بذراعي ولا بوزني وفقدت كل حساسية في ساقي ؛ وسمعت يدا تتحرك ببطء مخيف . ان اصابعي وقعت على البرتين ومضى زمن طويل قبل ان الاحظ تصلبها . بقيت هكذا واقفة . وحين خرجت الى الباحة كان قد حل الظلام .. وشيئا فشيئا خرجت عن جمودي وزالت رائحة الغرفة حيث تتمدد البرتين مع صورة عمتي ، بوجهها المتفخ الشاحب ، على المخدة ، وشفتيها الجافتين المتباعدتين فعلا ، وشعرها الاشعث ، والعبير الحائر فوق حاجبيها . اني احاول جاهدة ان امسك بناصية الذكرى الهاربة لكن رائحة جديدة قوية حلت مكانها ، الا وهي رائحةالبحر القريب الذي كان يهاجم في تلك الساعة الصخور في اول تباشير عواصف الصيف .

★ ★ ★

مختارات من الميثولوجيا الأديغية «النارتيون»

سوسروقة

ترجمة : ممدوح قوموق

□ مولد سوسروقة

كانت ستناي تغسل على ضفة نهر الكوبان • وكان راعي النارتيين واقفاً على الجانب الآخر من النهر وهو يرعى الأبقار • وعندما رآها اقترب من الضفة المقابلة وأخذ يراقبها • كانت فائقة الجمال فجمدت أنظاره عليها • ــ هيه يا ستناي الجميلة ! يا أجمل من رأت عيناي ، انظري نحوي ولو مرة واحدة ــ ناداها الراعي • وعندما نظرت نحوه رأته متقدا كالنار • واحست هي الاخرى بأن شرارة قد اشتعلت في قلبها ، ولم تعد قادرة على الوقوف فجلست على حجر عند ضفة النهر •

وعندما أنهت غسيلها وأرادت الانصراف ناداها الراعي مرة أخرى :

ــ ايه يا ستناي الجميلة ، يا أجمل الجميلات ، بمثل ذكائك يهتدي الرجال ! لماذا تتركين الحجر الذي كنت تجلسين عليه ؟ خذيه معك •

أطاعت ستناي كلام الراعي وأخذت الحجر معها وخبأته في نخالة الذرة •

---

(١) قدماء سكان القوقاز

ولم تمض مـدة طويلة حتى بـدأت تسمع صوتـاً غريباً · « مـا هذا الصـوت ؟ » قالت لنفسها واخذت تبحث حولها · كان الصوت يزداد عندما تقترب من الحجر، ويخفت عندما تبتعد عنه ·

ـ أي شيء عجيب هذا ؟ ـ قالت ستناي ووضعت أذنها على الحجر · كان باطنه يغلي ، ومنه كان ينبعث الصوت · وعندما تأكدت من ذلك لفّت الحجر بخيط من الصوف ، وما كادت تمضي أيام ثلاثة حتى انقطع الخيط · وربطته مرة أخرى فانقطع الخيط ·

ـ بساتحـة (٢) ، يا الهي ! · ان هـذا الحجر يكبر يوماً بعـد يوم ـ قالت ستناي واخرجت الحجر من بين النخالة ووضعته في مكان دافىء قرب الموقد حيث بقي مدة تسعة أشهر وتسعة أيام · كان قد كبر وأخذ يغلي وقد احمر لونه ·

ركضت ستناي الى « لبش » (٣) وسألته :

ـ هل أستطيع أن أثق بك يا لبش ؟

ـ اذا كنت لا تستطيعين الثقة بي ، واذا لم تكن الكماشة اداتي والمطرقة سلاحي فلماذا أعيش ؟·· أجابها لبش وقد ساءته طريقة سؤالها ·

ـ عندي مشكلة لم تصادف أحداً قبلي · اذا حكيتها لا تصدق ولا أستطيع السكوت عنها · ماذا أفعل ـ قالت مرتبكة ·

ـ من يسأل لا يخطىء · والخطأ لا يمكن اخفاؤه · لاتخجلي مني واخبريني بما حدث · مهما يكن الامر فأنا مستعد لمساعدتك ·

ـ لـمـاذا اتعب نفسي بالحـديث عـن شيء يمكـن أن أريـك ايـاه · تعـال وسأريك شيئاً عجيباً ·

ـ اذا أردت ذلك فأنا رهن اشارتك · الرجل لا يرجع بكلامه ـ قال لبش وحمل أدواته وذهب معها · وعندما رأى الحجر الملتهب عند الموقد قال متعجبا :

(٢) اله الروح والحياة (٣) حداد ولكنه نصف اله

ــ يا الهي !·· ما هذا ! في حياتي رأيت الكثير وسمعت الكثير ولكني لم ار شيئا كهذا ، ولا سمعت أحدا يقول انه راى مثله · يا « واشخوة » (٤)·· ما اعجب هذا الشيء !

وبدأ يحطم الحجر · واستمر في عمله سبعة أيام بلياليها · وكان قلب ستناي يتقد كلما ضرب الحجر · وأخيرا انفلق الحجر ووقع منه صبي · وعندما حملته ستناي بلهفة أحرق يديها فتركته ووقع في حجرها فأحرق ثوبها ثم وقع على الارض· كان جسم الصبي متقدا كالنار يتطاير منه الشرر ويتصاعد البخار· امسكه ليش بكماشة قوية من فوق ركبتيه وغطه في الماء سبع مرات · كان الماء يغلي في كل مرة من شدة الحرارة المنبعثة من جسم الصبي · وبعد ذلك أصبح جسمه كالفولاذ ما عدا المنطقة التي كان يمسكه منها بالكماشة ·

وأخذ الصبي ينمو بسرعة عجيبة · كان ينمو في يوم بقدر ما ينمو غيره في شهر · واستغرب النارتيون ذلك وأخذوا يتناقلون طريقة ولادة ابن ستناي العجيب · وعندما سمعت « برنبوك » ذلك جاءتها غاضبة وقالت :

ــ هكذا اذن ! أول عابر سبيل يحملك تلدين ككلبة · الا تخجلين من نفسك ·

ــ انه ليس ابني · ولكنه ليس كغيره من الاولاد · ولو كان لك مثله لما جئت تتكلمين بهذه اللهجة ·

ــ اذا لم يكن ابنك ، لماذا هو في بيتك ؟ لماذا هو لصق صدرك ! ·· صاحت غاضبة :

ــ هذا الصبي جاء من بطن الحجر · والذي سقاه هو ليش وقد أسميناه سوسروقة نسبة الى الحجر الذي ولد منه ·

كان سوسروقة عندما جالسا بجانب الموقد يلعب بالحجر · يمسكه بيديه ثم يلقيه في فمه ويلفظه وقد انطفأ · وعندما رأت برنبوك ذلك قالت .

(٤) اله السماء

ـ هذا مولود رهيب • سيكون وبالا على النارتيين • ان في ولادته نهاية للكثيرين • يا ليته لم يولد وغادرت الدار غاضبة •

ومنذ ذلك الحين سمت ستناي ولدها سوسروقة » •

حصان سوسروقة وسيفه •

أخذ سوسروقة ينمو بسرعة عجيبة • كان يكبر في يوم واحد بمقدار ما يكبر غيره في شهر ، وكانت ستناي تربيه ؛ فراشه الحجرولحافه السماءوغذاؤه الصوان• وعندما كان اترابه ما يزالون في المهد ، خرج ليلعب مع الصبيان في الشارع • وصار أولاد النارتيين الذين غذاؤهم العسل ونخاع الغزلان يخافون منه ، لأنه اذا غضب كان الشرر يتطاير من جسمه كما يتطاير من حجر الصوان •

ومع الايام سئم سوسروقة العاب الصبيان وبدأ يتردد على محل حدادةلبش، وينظر الى عمله باهتمام • وذات مرة طلب لبش أن ينفخ له في الكير • ولما فعل طار سقف المحل وتناثرت قطع الحديد •

ولما رأى لبش ذلك فرح وقال في نفسه « لا بد أن أعرف مدى قوة هذا الصبي » فطلب منه الاقتراب من سندانه •

كان سندان لبش مغروزاً الى عمق الأرض السابعة • وكان الرجل الذي يستطيع تحريكه يقبل في مجلس النارتيين بعد أن يعطى لقب « رجل نارتي » • امسك سوسروقة السندان وحاول تحريكه ولكنه لم يفلح • حاول ثانية فلم يفلح• وحاول للمرة الثالثة فلم يفلح أيضا •

وبعد ذلك قال لبش :

ـ لا ياسوسروقة ، مازلت فتيا ولم تكتمل قوتك بعد • اذهب الى ستناي واجلس بجانب الموقد والقضم الصوان •

كان سوسروقة يعرف أن الشاب الذي يستطيع تحريك سندان لبش يعدونه

قد بلغ مرحلة الرجولة · لذلك عاد الى البيت وقد أحزنه انه لم يفلح في ذلك · وعندما لاحظت ستناي حزنه سألته :
ماذا حدث لك ؟·

ولكن سوسروقة جلس بجانب الموقد دون أن يجيب بكلمة واحدة وأخذ يقضم قطع الصوان والشرر يتطاير من بين أسنانه ·

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي ذهب الى محل لبش قبل أن يأتي · وأمسك بالسندان وشده فحركه · يكفي لهذا اليوم ـ قال لنفسه ـ ونزل الى النهر المتجمد ونام فوق الجليد ليبرد جسمه فذاب الجليد وجرى النهر ·

وفي صباح اليوم الذي يليه ذهب ثانية الى محل لبش قبل أن يأتي وشد السندان فخلعه ورماه أمام الباب وعاد الى البيت · ولما جاء لبش لم يستطع الدخول الى محله فاستغرب ذلك · كان أقوى النارتيين يستطيع تحريك سندانه فقط · فقال وهو ينظر الى السندان المخلوع :

ـ لقد ظهر على هذه الارض رجل لم يظهر مثله من قبل · « بساتحة » يا الهنا ١٠٠ اجعله نصيرا للخير ، والا سيهلك الكثيرون ، وستكون بدايةحياته خاتمة لحياة الكثيرين ·

وفي هذه الأثناء اقترب من باب محله أخوة نارتيون ثلاثة · سلموا عليه ودعوا له بالبركة في عمله · وقال كبيرهم :

ـ نحن الثلاثة ولدنا في يوم واحد· أنا في الصباح والاوسط ظهراوالاصغر مساء · كنا نحش الحشيش نحن الثلاثة عند سفح التلال ونحن نتنافس فيعملنا· كان أصغرنا يغلبنا · اذا أوقفناه أمامنا لا نلحق به ، واذا أوقفناه وراءنا يلحقنا ولا يترك لنا ما نحشه لسرعته ومهارته · وقد أغضبنا ذلك نحن الاخوين الاكبرين ·

ـ من العيب أن يغلب الصغير الكبار ـ قال لبش مازحاً ·

ـ عند الظهر قلنا سناكل شيئاً ما · وغرزنا مناجلنا في الارض وذهبنا

الى الخيمة • وبينما كنا جالسين ناكل ، وقع منجل أخينا الاصغر • ثم رأينا المنجل يجري وحده وهو يقطع كل ما يصادفه في طريقه من حشيش وأشجار وحجارة •

ــ والآن ــ قال الاخ الاصغر ــ اتفقنا أن نصنع من هذا المنجل سيفا ••
ولكن من نصيب من سيكون هذا السيف ••؟

ودون أن يجيب لبش بشيء ، أخذ المنجل ونظر اليه فعرف فورا أنه من صنع « دبتش » الذي علمه مهنة الحدادة• ولما تاكد أن الاخوة الثلاثةسيتنازعون على السيف الذي سيصنعه من المنجل قال :

ــ من أجل السيف الذي سأصنعه من هذا المنجل سوف تتنازعون • ونزاع النارتيين معناه القتال • والقتال بين النارتيين ضياع للنارتيين لذلك أنا أشير عليكم بما يلي : :

هذا سنداني ترونه أمام باب محلي ولا أجد طريقاً للدخول • السيف لمن يستطيع أن يحمله ويعيده الى مكانه ، هل اتفقنا ؟•

ــ اتفقنا ــ أجاب الاخوة النارتيون الثلاثة بصوت واحد •

واقترب الاكبر من السندان وحاول رفعه ولكنه لم يستطع تحريكه•وعندما لم يستطع الاكبر تحريكهحاولالاوسط فحركه قليلا • وعندما لم يستطع الاوسط حمله حاول الاصغر فرفعه قليلا من فوق الارض •

ــ لا ، لا • أنتم لا تستطيعون أن تفعلوا شيئا مع سنداني هذا • لذلك لن يكون السيف من نصيب أي واحد منكم ــ قال لبش •

ــ ماذا نفعل ••؟ كلامنا كلام رجال • لن يكون السيف من نصيب أي واحد منا ــ قال الاخوة النارتيون الثلاثة •

وفي هذه الاثناء كان سوسروقة يراقبهم • وبعد أن فشل الاخوة النارتيون الثلاثة واحدا بعد الآخر اقترب منهم وأخذ يستعطف لبش :

ــ أرجوك ، دعني أجرب •

فنظر اليه الاكبر بطرف عينه وضحك وكأنه يقول « وماذا تستطيع أن تفعل به »

وقال الاوسط :
ـ تحاول ماذا ؟. ما زال حليب أمك يسيل من بين شفتيك !.

ـ وماذا تجدي محاولتك أنت ! من الأفضل أن تذهب الى البيت وتحاول قضم رغيف الذرة .

ودون أن يجيبهم سوسروقة بشيء ، اقترب من السندان ، وامسكه جيداً بين ذراعيه . كان الاخوة النارتيون الثلاثة يضحكون ويسخرون منه . ووسط ضحكاتهم رفع السندان وحمله الى المكان الذي كان مغروساً فيه وأعاد غرسه بأعمق مما كان مغروسا به من قبل .

واستغرب الأخوة النارتيون الثلاثة ما رأوا ، واقسموا أنهم سيخبرون النارتيين بما رأوه . ويقول لبش وقد أرضاه موقف الاخوة النارتيين :

ـ حسنا . حسنا أيها الاخوة النارتيون الثلاثة . أرجو لكم طول البقاءاخوة ثلاثة وسيفا واحدا لا يُغلب ، سوف أصنع لكم بمناسبة هذا الحدث العجيب الذي رأيناه اليوم ثلاثة سكاكين حادة ولكن من حديد آخر . ومن هذا المنجل الذي صنعه دبتش لـ « تحه غليج » (٥) نفسه ، سأعمل سيفاً وأعطيه لمن استحقه . أنا لا أستطيع أن أصنع كل يوم سوى سكين واحدة . ومن يعملني أولا فهي لـه .

وهكذا قدم للأخوة النارتيين الثلاثة ، خلال ثلاثة أيام ، ثلاثة سكاكين حادة . ولم يوفر جهدا في صنع سيف من منجل تحهغليج حتى أنهاه وعلقه على الحائط بانتظار تقديمه لمن هو أهل له .

★ ★ ★

(٥) اله المزروعات والخصب

كان سوسروقة جالساً بجانب الموقد يلعب بالرماد من شدة الملل ، ولما وجدته امه ستناي حزينا سألته :

ـ يا ولدي ! لماذا أنت حزين هكذا ؟·

ـ اذا لم أحزن أنا فمن يحزن ؟ لا صديق لي ولا زائر · حتى كلبنا العجوز يجد ما يعمله فهو على الاقل ينبح عندما يدخل غريب الى الدار · اما أنا فاني جالس بجانب الموقد أمضي الوقت بتحريك الرماد · لا أعرف ماذا يعمل الناس ، ولا وسيلة لدي لأعمل شيئاً ·

ـ يا ولدي ، يا ولدي الوحيد · أنت ما زلت صغيراً · ليس من المناسب ان يكون لك أعداء · واذا اردت أصدقاء وزوارا فمن أين لك !·· انني انظر بين النارتيين فلا أرى واحدا يمكن أن يكون نداً لك· فهم رجال كبار واهتماماتهم غير اهتماماتك وليس بينهم شاب في مثل سنك يمكن أن يكون نعم الصديق لك ولا يجلب لك العار اذا صادقته · يا امي يا ستناي ـ قال سوسروقة ـ ليس الصديق الذي أقصده هو من تقصدين · أنا أريد صديقا لا ينثلم عند الطعان، ولا يجبن في مواطن الضيق · ما أريده هو سيف وحصان ·

وفرحت ستناي لهذا الكلام وذهبت الى محل لبش ·

ـ لقد اخذ ولدي يضايقني · يقول انه يريد أن يرى العالم · ويطلب مني أن اوصي بصنع سيف له ، وأن أدبر له حصانا · وأنا أعتقد انه ما زال صغيرا لحمل السيف وركوب الخيل ·

ـ لا أيتها السيدة ستناي · أنت مخطئة ـ قال لبش معترضاً ـ هذا أوان فتوته اذا كان صغير السن بمظهره فهو رجل بقلبه فليمارس رجولته ولاتعترضي سبيله ·

اما من أجل السيف فدعيه يأتي الي ·

عادت ستناي وقالت لسوسروقة :
ـ اذهب الى لبش فهو يناديك ٠

قفز سوسروقة من الفرح وجرى الى لبش ٠ وما أن دخل محله حتى بادره مازحاً :
ـ أي نوع من السيوف تريد ؟٠٠

ـ أنا أريد سيفا لا هو بالطويل ولا هو بالقصير ٠ يهابه العدو البعيد ويجندل العدو القريب قاطعا اذا ضربت ، مخترقا اذا طعنت ـ أجابه سوسروقة٠

ـاذن فهذا السيف سيكون كما تريد ـ قال لبش ، وتناول السيف الذي كان قد صنعه من منجل تحهغليج وأعطاه لسوسروقة ٠
وساله بعد أن أعطاه السيف
ـ وماذا تريد أيضا ؟٠
ـ لا أريد شيئاً أخر سوى حصان انطلق به ـ قال سوسروقة ٠

اذا أردت حصانا فاذهب الى أمك ـ قال لبش ـ فعندها حصان جيد ، اطلبه منها وستعطيك اياه ٠

عاد سوسروقة والسيف معلق الى جانبه ، ولما رأته ستناي قالت :
ـ أعرف يا ولدي ماذا ينقصك الان ٠ اذا رأى لبش أنك تستحق سيفه فمن الممكن أن تصير رجلا يذكر اسمهبين الرجال تعال معي فقد ربيت لكحصانا٠
وأخذت سوسروقة معها الى المغارة وقالت له :

ـ هنا يا ولدي ٠ اذا استطعت أن تزيح هذه الصخرة ٠ واذا استطعتأن تدخل الكهف ستجد حصانا ٠ واذا استطعت أن تركب هذا الحصان فسيكون لك نعم الحصان ٠
أزاح سوسروقة الحجر من باب الكهف دون عناء ودخل فصهل الحصان وأخذ يحفر الأرض بقائمتيه الخلفيتين ٠ وأخذت الجبال تهتز لضربات قائمتيه ٠٠٠ حاول سوسروقة أن يقترب من الحصان عن يساره فلم يفلح ٠ وحاول أن

يقترب من يمينه فلم يفلح • كان يقفز ويضرب بقائمتيه • وعندما رات ستناي ذلك حزنت •

ـ يا ولدي ، انه يفعل ذلك لأنه لا يعتبرك رجلا ـ قالت ستناي ـ وعندما سمع سوسروقة ذلك غضب ، وبقفزة واحدة أصبح فوق ظهر الحصان فطار من تحت الارض •

ـ يا يوم نحسي ، سيقتل ابني الوحيد ـ قالت ستناي ـ • أما الحصان فقد اختفى مخترقا الغيوم وسوسروقة على ظهره • وعادت ستناي وجلست في البيت وقلبها يتقطع • ماذا كان بامكانها أن تفعل •• وأخذ الحصان سوسروقة الى ما بين الغيوم وتفضه عن ظهره • وعاد الى الأرض ووقف على خلفيتيه محاولا أن يرميه ولكنه لم يفلح •وأخذه الى الوديان التي لا تستطيع أسراب السنونو أن تصل إليها ولكنه لم يستطع أن يرمي سوسروقة عن ظهره • وانطلق به من جديد حتى وصل الى ملتقى بحار سبعة وقفز في الماء يسبح مخترقاً البحار ذهاباً وإياباً ، لكن الحصان لم يستطع أن يرمي سوسروقة عن ظهره • وبقي الحصان يجري سبعة أيام بلياليها وسوسروقة على ظهره • مرت الأيام السبعة بلياليها وسوسروقة على ظهره وتعب الحصان • وعندما وقف منهكا قال سوسروقة :

ـ هيا يا من أكلتك الكلاب • اذا كان وقت لعبك قد انتهى ، فان لعبي يبدأ الآن • ولكن الحصان لم يحرك ساكناً • ضربه بكعبيه ولكنه لم يتحرك • فغضب وضربه حتى حطم عليه سبعة عصي من السنديان • عند ذلك نطق الحصان وقال :

ـ وربي (٦) « أمش » لن أعصي لك أمراً بعد اليوم • اذا كنت رجلا فساكون لك نعم الحصان •

ـ اذن هيا انطلق نحو البيت • واتجه نحو البيت • وعندما رات ستناي سوسروقة الذي أوقف حصانه أمام الباب استقبلته مهللة :

٦ ـ إلـه الحيوانـات •

– يا ولدي ، كنت جالسة أبكيك ·

– لا يا أمي ، لا تبكي علي · بل احضري لي زاداً قليلا خفيفاً ، يكفيني · أريد أن أسافر ، أظن أنه قد حان موعد رؤيتي للعالم · – قال سوسروقة وهو يبتسم لأمه ·

كاس الآلهة

على قمة « واشحة ماكوة » كان (٧) « مزتحه » ، « أمش » ، « تحه غليج » « سوزرس » (٨) ، « لبش » وغيرهم في زيارة له بساحته «لحضور الاحتفال السنوي الكبير الذي يرفعون فيه أنخاب خمر العنب· وكل عام كانوا يدعون الى احتفالهم أشجع واقوى وأشهر رجل على الارض ويقدمون له كأسا باسم جميع الناس · وكان الناس يقدرون عاليا من يذهب ممثلا عنهم الى احتفال الالهة ويشرب معهم نخبا · وعلى هذه العادة كانت قد مرت أعوام طويلة ·

كان كبير القوم في احتفال الآلهة هو بساحته نفسه فوقف قائلا :

– الى من سنقدم الكأس هذا العام باسم الناس · من هو اقوى رجل على الارض ؟ من هو أبرز رجل ؟·

– كبير النارتيين « نسْرَنْ جاكاة » – قال سوزرش ·

– لا · « قانج بن شاوي » هو أكبر صياد على وجه الارض ، وهو الذي يستحق كأسنا قال مزتحه ،

– لا · « كوركونج » العجوز راعي النارتيين الذي لا يتعب ولا يمل هو الذي يستحق كأسنا – قال أمش – ·

– لا · « خمش » هو أحق بكأسنا · لا يوجد بين النارتيين من هو أبرع منه في الزراعة – قال تحه غليج ·

٧ – إلـه الغابـات ·

٨ – إلـه العائلـة ·

ـ لا ٠ قال لبش وهو يقف ـ ولد في أرض النارتيين رجل ينسيكم كل من ذكرتم ٠ لقد استطاع أن يخلع سنداني الذي كان مدفونا الى أعماق الارض السابعة ، وان يعيد هرزه الى أعمق مما كان ٠ انه ما زال شابا فتيا ٠ ومع ذلك فلم يولد في أرض النارتيين من هو أقوى منه ٠

ـ من ٠٠ ؟ من الذي تعنيه ٠٠؟ ـ سأل الجميع ٠

ـ سوسروقة ، هذا هو اسمه ولا يوجد أحد أحق بكأسنا منه ـ قال لبش٠

وهكذا أمر بساتحه أن يدعوا سوسروقة ويقدموا له كأس الآلهة وارسلوا لبش فاحضره ٠

رفع بساتحه كأس الآلهة وقال لسوسروقة :

ـ هذه كأسنا نحن الالهة ٠ اننا نجتمع كل عام على قمة ٠ اواشحة ماكوة ، (٩) لنقيم احتفالنا السنوي ٠ وفي كل احتفال نستدعي أبرز رجل على الارض ونقدم له كأسا واحدة نيابة عن كل الناس ٠٠ أنتم لا تملكون شرابا مثله على الارض ، خذ واشرب ـ وناوله الكأس ٠ وعندما شرب سوسروقة الكأس أعجبته الخمر كثيرا وانتعش قلبه ٠

ـ والآن ٠ انتهى ما استدعيناك من أجله ٠ وبما أنك شربت كأسنا يمكنك الانصراف ـ قال بزتحسه ٠

ـ اذهب وحدث الناس بطعم ما شربت من خمر الآلهة ـ أضاف تحهغليج٠

كان سوسروقة واقفا منتعش القلب منتشيا بطعم خمر الآلهة ٠

ـ اذا كان ذلك ممكنا ، اسقوني كأسا أخرى ـ توسل سوسروقة ٠

ـ لا ، ليس من عادتنا أن نسقي البشر سوى كأس واحدة ـ لم يقل بساتحه ٠ لكن لبش الذي يحب سوسروقة كثيرا قال :

ـ لا بأس ٠ دعونا نقدم له كأسا أخرى ، فهي ستساعده على وصف خمرة الالهة للناس بما يليق ٠

(٩) جبل البروز

ـ اسقوه كاسا أخرى ـ قال أمش أيضا ·
ـ اذا كنتم ترون ذلك ، اعطوه كاسا أخرى · ولكننا بذلك نحطم عادتنا لهذه المناسبة ـ قال بساتحه ·
ـ العادات من صنعنا نحن ـ قال مزتحه وهو يقف ويمشي نحو دن الآلهة ومعه الكأس · وبينما كان مزتحه يعبيء الكأس بأبهة ، اقترب منه سوسروقة :
ـ ما هذا الذي لا أرى له قراراً ، وله رائحة نفاذة ·
ـ هذا هو الدن الذي نحفظ فيه خمر الآلهة ·
ـ ما أعجبه ! ـ قال سوسروقة ·

العجيب هو ما في قعره من بذور · وكيف تنبت هذه البذور ، ثم قدرتي التي تنبتها وجعلت لها هذا الطعم اللاذع المحبب ـ قال تحه غليج ·

عندما سمع سوسروقة ذلك ، اقترب من الدن متظاهرا بانه ينظر اليه وحمله بسرعة قائلا : « فلتصبح خمر الالهة من نصيب البشر » ورماه من فوق قمة الجبل الى الارض · وما أن وصل الدن الالهي الى الارض حتى انفجر وسالت محتوياته في بلاد النارتيين · وما أن لامست بذور العنب الارض حتى نبتت الكروم · وعندما رأى النارتيون العنب أخذوه الى السيدة ستناي · كان سوسروقة حاضرا فقال : « هذا من خمر الآلهة » ·· وضعت ستناي العنب في برميل‌خشبي وغطت البرميل بحجر كبير · وبعد أن مر عام طار الحجر من فوق البرميل · شرب النارتيون من الخمر الذي في البرميل فانتشت قلوبهم · ومنذ ذلك الوقت عرفوا كيف يصنعون الخمر · وبدأوا بهذه المناسبة احتفالا سنويا يشربون فيه خمر العنب ·

سوسروقة ويمنيج (١٠)

لم يتخلف أحد من النارتيين عن حضور الاجتماع عند « حرّمة أواشحة » وكان تحه‌غليج واقفا في أعلى التلة يخاطب النارتيين :

(١٠) اسم موقع جبل في القوقاز ·

ـ أيها النارتيون ٠ لقد تقدم بي العمر ٠٠ لقد عملت طوال حياتي لأوفر لكم مواسم جيدة من الحبوب ٠ والان أترك لكم كمية من بذار الذرة البيضاء ، اذا بذرتم منها لن تروا موسما سيئا ٠

ـ يا الهنا تحهغليج ٠ يا من يقدم لنا مواسم الخير دون حساب ، سنذكر اسمك الغالي كلما رأينا نبتة على الارض ـ هلل له جميع النارتيين بصوت واحد٠

ـ حبة ذرة واحدة مما استنبتته ، ستملأ لكم حلة كاملة ـ قال تحه غليج ـ ووضع حبة ذرة في كل حلة من حلل النارتيين ٠ وعلق النارتيون حللهم فوق النيران وسلقوا حبوب الذرة التي وهبها لهم تحهغليج ٠ وكل حبة ملأت حلة فتعجبوا من ذلك كثيراً ٠ وعندما رفعوا كؤوسهم نخب تحه غليج وقف بينهم وقال :

ـ والآن أيها النارتيون ، حافظوا على بذار الذرة الذي أعطيتكم اياه كما تحافظون على حيوانات أمش ٠ كل عام ابذروا البذار القديم ، وخذوا البذار الجديد من أول دفعة تحصدونها ٠٠٠ ثم قدم لهم كيس البذار ٠

لم يجرؤ النارتيون على حفظ البذار في بيت أي واحد منهم فصنعوا صومعة من النحاس وضعوا فيها البذار ٠ واتخذوا قرارا بحراسة الصومعة ليل نهار ٠ وعلى هذا القرار انفض الاجتماع ٠

عندما كان تحه غليج يخاطب النارتيين ، كان « يمنيج » يراقبه متمدداً على ظهر جبل بعيد عن مكان الاجتماع ٠ كما كان يراقب ما يفعله النارتيون ويستمع الى ما يقولونه ٠ لأنه مهتم ببذار تحه غليج منذ زمن طويل ولكنه كان يخشى مواجهته ويتحين الفرص للاستيلاء على البذار ٠ وعندما وضع النارتيون كيس البذار في الصومعة النحاسية فرح يمنيج وقال :

ـ الآن سنحت الفرصة ٠ البذار الذي كنت أتمناه طوال حياتي ، أصبح الآن قريب المنال لم يتحرك يمنيج من مكانه مدة ثلاثة أسابيع حتى اطمأن تحه غليج وانصرف ، واطمأن النارتيون أيضاً الى أن بذارهم في حرز حريز ٠ وبعد الأسابيع الثلاثة ، زحف يمنيج من مكانه الى الصومعة النحاسية ، وضربها بذيله

فشطرها نصفين ، ومن شدة الضربة أضاء الليل المظلم مثل ضوء البرق ، كان ذلك هو الشرر المنبعث من الضربة ·· ووقـع الحارس النارتي أرضاً وهو يتلوى ألماً من تأثير الضربة · وخطف يمنيج كيس البذار وولى الأدبار ·· وفي الصباح بعد أن استيقظ النارتيون تساءلوا :

ـ ان صوت الرعد هذه الليلة لم يكن كأصوات الرعد التي عرفناها من قبل · لقد اهتزت بيوتنا ، وفتّحت أجفاننا التي كنا أغمضناها · وفي هذه الأثناء ، عندما نظر النارتيون ناحية صومعتهم لم يروها · أليس هذا مدعاة للعجب والدهشة !·

ولما لم يجدوا ما يفعلونه ، أسرعوا الى تحه غليج ·

ـ إلهنا وحبيبنا تحه غليج · كنا وضعنا بذار الذرة الذي منحتنا اياه في صومعة نحاسية · وهذه الليلة حطم أحدهم الصومعة وخطف البذار ـ قال النارتيون ·

ـ اذا كانوا قد خطفوه فاستعيدوه · هكذا أجابهم تحه غليج الغاضب ·
ـ لو عرفنا فقط من اختطفه ، لعرفنا كيف ندبر أمرنا معه ·
ـ وكيف أعرف أنا من أخذه ·
ـ اذا كنت أنت لا تعرف ، فمن يعرف اذن !
ـ اسألوا سيدتكم ستناي ـ قال تحه غليج ·

وماذا كان بامكان النارتيين أن يفعلوا ! · ذهبوا الى السيدة ستناي ·

ـ يا سيدة النارتيين ، يا أغلى السيدات ! لقد لحقت بنا اهانة ليلـة البارحة ·· أخـذ أحدهـم البذار الذي كـان أملنا جميعـاً ، ولا نعرف من أخـذه ـ قال النارتيـون شاكـين ·

ـ ألم يقل لكم تحه غليج من أخذه ؟
ـ لا ، لـم يقل لنـا ·
قـال النارتيـون ·

ـ لم يقل لكم لأنه كان غاضباً ·· كان يمنيـج يحاول الحصول عليه منذ زمـن بعيد · وكم مرة تصارع مع تحه غليج من أجله ولكنه لم يستطع التغلب عليه ·

وعندما طمن في السن خاف أن يغلبه يمنيج وأعطاكم بذار الذرة المعجب الذي استنبته · لا ·· لا ·· لقد جلبتم العار لاسم النارتيين ـ قالت ستناي :

ـ والآن ما العمل ! هل نبقي هذا ـ العار لاصقاً بنا ـ سأل النارتيون ·
ـ هذا يعود الى مقدار حرصكم على شرفكم ـ قالت ستناي ·
ـ ما دمنـا أحياء فلـن نسمح ليمنيـج أن يأكل من بذارنـا ـ قال النارتيـون بصـوت واحـد ·

ـ اذا كان الأمـر كذلك ، ومـا أسمعه كلام رجـال ، فسأعمل على مساعدتكم ، وادلكم أين يعيش يمنيج هـذا ·· تقطعون سبعة جبال وتتابعـون سيركم الى حيث تصل الشمس الى كبد السماء ·

ـ لا ·· ! هذا بعيد جداً ـ قال النارتيون ·
ـ هذا ليس الا قفزة فارس نارتي واحد ـ قالت ستناي ·
ـ تتحركـون من هنـالك وتقطعـون سبعمائة نهـر الى حيث تقف الشمس عنـد قبـة السـماء ·

ـ لا ·· ! ما أبعد هذا المكان ! ـ قال النارتيون قلقين ·
ـ هذا ليس سوى قفزتي فارس نارتي شـجاع · تنطلقون من هنالك وتقطعـون ثلاثة بحار صغيرة وسبعة بحار كبيرة حتى تصلوا الى حيث تقف الشمس عـلى الجانب الآخر من السماء ·

ـ لا ·· لا ·· ! هذا في غاية البعد ـ قال « شبتن » وهو في غاية القلق ·
ـ هذا ليس سوى ثلاثة قفزات لفارس نارتي شجاع · تتابعون سيركم بعدها حتى تصلوا الى مغرب الشمس تماماً حيث تنتصب قلعة يمنيج التي يعيش فيها ·
ـ لا ·· ! لا ·· ! هذا بعيد جداً ولـن نستطيع الوصول اليه طوال حياتنـا ـ قال جلافستن ·

ـ هذا يعتمد على طريقة انطلاقكم وعلى طريقة سيركم ـ قالت ستناي ـ اذا كنتم ستسمحون ليمنيج أن يستولي على بذاركم فلماذا قبلتموه من تحه غليج ·· ؟

ولم يكن أمام النارتيين خيار . لقد خافوا أن يُغضبوا تحه غليج فعقدوا اجتماعاً ليبحثوا الموضوع ويتخذوا قراراً بشأنه . وفي الاجتماع كان القرار : « استعادة البذار » . وفي ذلك الوقت كان « أرقشو » أشجع فرسان النارتيين فأرسلوه لهذه المهمة . لكنه غاب وغاب . وعندما لم يعد أرسلوا عشرة فرسان نارتيين . وعندما لم يرجعوا أرسلوا مائة فارس ، ولكن المائة فارس لم يعودوا أيضاً .. وكان النارتيون في غم وحزن من أجل ذلك عندما عاد سوسروقة من سفره الطويل . ولما وجد بلاد النارتيين وقد عمها الحزن سأل عن السبب فقالوا له : « الموضوع كذا وكذا .. » وأخبروه بقصة البذار الذي منحهم اياه تحه غليج وكيف سرقه منهم يمنيج ، وكيف أن كل من يرسلونه لاستعادة البذار لا يعود .

– وأين يعيش يمنيج هذا ؟ – سأل سوسروقة .
– اسأل أمك ستناي فهي تعرف جيداً – قال النارتيون .

عاد سوسروقة الى أمه ستناي وسألها :
– أين يعيش يمنيج هذا الذي جلب الحزن لبلاد النارتيين ؟ .
– وماذا تريد أنت من ذلك ؟ .
– سأذهب لاستعيد بذار النارتيين .
– اذا كان الأمر كذلك ، فما أسمعه كلام رجل ، وسأساعدك ، سأدلك على مكان يمنيج . ستقطع سبعة جبال وتتابع سيرك الى حيث تصل الشمس الى كبد السماء ، وتنطلق بعد ذلك وهيهات أن تصل .

– ليس هذا سوى قفزة واحدة من حصاني يا أمنا قال سوسروقة .

– تنطلق من هناك وتخلف وراءك سبعمائة نهر وتصل الى حيث الشمس عند قبة السماء . ثم تنطلق من هنالك وهيهات أن تصل فالمكان ما زال بعيداً .

– هذا ليس سوى قفزتين من حصاني يا أمنا .

– واذا تابعت بعد ذلك وقطعت ثلاثة بحار صغيرة ، وسبعة بحار كبيرة حتى تصل الى طرف السماء حيث تنحدر الشمس ثم تتابع سيرك وهيهات أن تصل ...

– هذا ليس سوى ثلاثة قفزات من حصاني يا أمنا ·

– اذن يا ولدي – قالت ستناي فرحة– فان قلعة يمنيج تنتصب عند مغرب الشمس تماما ·

– لماذا جعل منزله عند مغرب الشمس ؟ – سأل سوسروقة ·

– يمنيج هذا نهم يحاول أن يبتلع كل ما يجده في طريقه وهو معجب بالشمس منذ زمن بعيد · فهي تصبح قريبة من الارض عند مغيبها وتبدأ العتمة تعم الارض· لذلك جعل منزله عند مغرب الشمس حتى يسحبها في هذه اللحظة في غفلة عن الناس ويبتلعها ·

ووضع سوسروقة على حصانه سرجا ، وتمنطق بكامل أسلحته وانطلق ··· وانطلق ·· أخذ يمشي خببا ويجري ويقفز · حتى قطع الجبال السبعة ووصل الى حيث الشمس تقف عند كبد السماء · فشد رباط حصانه وشد أحزمته ودون أن يتوقف تابع سيره · وأخذ يمشي خببا ويجري ويقفز ، يمشي خببا ويجري ويقفز حتى خلف وراءه الأنهر السبعمائة ووصل الى حيث تقف الشمس عند قبة السماء · فشد رباط حصانه وشد أحزمته مرة أخرى وتابع سيره دون أن يتوقف·

وأخذ يمشي خببا ويجري ويقفز حتى قطع البحار الثلاثة الصغيرة والبحار السبعة الكبيرة وعندها قال لحصانه :

– احم ·· يا حصاني العجوز ·· ! لقد وصلنا الآن الى حدود ارض يمنيج فلا توفر جهدا وامش مرفوع الرأس ·

– وربي أمش الذي لا أكذب عليه ، واذا كذبت عليه فليقصم ظهري ، أعدك بأن لا أوفر شيئا من طاقتي – قال حصان سوسروقة ·

فشد سوسروقة رباطه وشد أحزمته وانطلق · ولم يمض طويلا حتى دخل أرض يمنيج · وكان يمنيج قد بنى برجا للمراقبة على مرتفع من الارض ، وعلى البرج كانت تقف فتاة نارتية سرقها من أرض النارتيين تراقب القادمين وتخبر

عنهم يمنيج · ولما رأت الفتاة النارتية الفارس القادم صاحت تخبر يمنيج النائم تحت البرج :

ــ أرى فارسا قادما وحده ·

ــ وكيف يمشي ؟ ــ سأل يمنيج ·

ــ ان مشيته لا تشبه مشية الفرسان النارتيين الذين قضيت عليهم ·

ــ لا ·! وكيف يأتي من أرض النارتيين فارس لا يشبه النارتيين الآخرين ! على أية طريق يسير ·

ــ انه لا يسير على طريق · انه فارس لا يبحث عن طريق وانما يخترق المسافات الينا على أرض لم تطأها قدم حصان من قبل ــ قالت الفتاة ·

ــ لا ·· ! هل يأتي عبر المناطق الظليلة ، أم عبر المناطق التي تحرقها الشمس ؟ ·

ــ انه لا يبحث عن الظلال ·· انه يأتي عبر أشعة الشمس المحرقة ·

ــ هل يأكل من التفاح الحلو والسفرجل الناضج ·؟

ــ لا ، انه يأكل من التفاح الحامض والسفرجل المر ·

ــ وهل يشرب من مياه الينابيع العذبة ؟

ــ لا ، انه يترك الينابيع العذبة ويشرب قليلا من المياه الراكدة ·

ــ ليكن القادم من يكون فلن يستطيع تجاوز بوابة السيوف التي ستقطع رأسه ·

وسأعلق رأسه فوق البوابة مع رؤوس الآخرين الذين سبقوه لاستعادة بذار تحه غليج · وليس لدي وقت أضيعه هنا في انتظاره فعلي أن أزرع بذار تحه غليج اليوم · عندما تقطع بوابة السيوف رأسه ، اذهبي وعلقيه مع رؤوس الآخرين ـ قال يمنيج وانطلق الى الحقل ·

كان سوسروقة ماضياً في طريقه لا يلوي على شيء · وأعجبت الفتاة النارتية بمشيته · « يا الهي ·· ! لم أر مثل هذا الفارس قبل اليوم · كم هو محزن أن تترك فارسا مثل هذا تقتله بوابة يمنيج ــ قالت الفتاة النارتية لنفسها ·

لم يكن أحد في الدنيا قادراً أن يعبر بوابة يمنيج بسلام · ولم تكن الفتاة تملك شيئا لمساعدة سوسروقة على عبور هذه البوابة ·

وصل سوسروقة الى بوابة السيوف · كانت القلعة محاطة بسبعة أسواروليس لها مدخل أو مخرج سوى هذه البوابة · وكان سيفان كبيران يتدليان من أعلى البوابة · وما أن يدخل أحد بينهما حتى ينطبقا ويقطعاه فورا الى قسمين ·· حتى العصافير لم تكن تستطيع أن تجتاز البوابة دون أن ينطبق عليها السيفان · هكذا كانت بوابة السيوف ·

نظر سوسروقة الى البوابة طويلا مستغرباً · وعندما اقترب منها بدأ السيفان يتأرجحان · فترجل ونزع شعرة من ذيل حصانه ورماها بين السيفين ، وفي غمضة عين قطع السيفان الشعرة ·

هذه بوابة عجيبة لم ار مثلها في حياتي ـ قال سوسروقة مستغرباً ـ الهي انصر سيفي الذي صنعته لي من منجل تحه غليج على هذين السيفين ـ تضرع سوسروقة ـ واستل سيفه وركب حصانه وهجم على بوابة يمنيج وضرب السيفين فلم يبق منهما على الباب سوى المقبضين · وهكذا أصبح الطريق مفتوحاً فدخل دار يمنيج · ولما رأت الفتاة ما فعل الفارس خرجت لاستقباله فرحة مرحبة به :

ـ أيها الفارس النارتي الشجاع ، مجيئك يوم فرحي ولكنك وان تخلصت من بوابة يمنيج فلن تستطيع أن تفلت من بين يديه · عد من حيث أتيت ولا تجعل من يوم قدومك مأتما ـ قالت الفتاة النارتية راجية ·

ـ لا أيتها الجميلة · ليس من عادتي أن امشي في طريق لأعود منها دون ان أحقق غايتي · يمنيج هذا سرق من أرض النارتيين البذار الذي كان تحه غليج قد منحه اياهم · ألم تري هذا البذار ·

ـ لقد رأيته · ان يمنيج يفلح الارض ليزرع هذا البذار الآن وقد أخذه معه الى الحقل ·

ـ واين يفلح ؟ ـ سال سوسروقة ٠

ـ أترى ذلك الجبل ؟ ـ أشارت الفتاة النارتية الى جبل عال نحو الشمال ٠
ـ أراه ٠

ـ انه يفلح قمة ذلك الجبل ٠ ولا يوجد نارتي استطاع أن يتسلق هذه القمة ٠ انه ينوي أن يزرع البذار هنالك حتى لا تصل اليه أيدي النارتيين أبدا ٠

ـ فلترض عنك الآلهة أيهـا الجميلة ـ قال سوسروقة للفتاة وانطلق نحو الجبـل الذي يحرث يمنيج قمته ٠ وأخذ يمشي ويقفز حتى وصل الى الجبل٠ كان الجبل يشمخ عاليا وما من طريق يصعد اليه ٠ ساط سوسروقة حصانه وحمّاه جيئـة وذهابا ثم قفز وصعد الجبـل فرأى يمنيج يفلح والبذار الذي منحه تحهغليج للنارتيين معلقا على جذع شجرة ٠

ـ ها ٠٠ الآن بدأ هدفي يتحقق ـ قال سوسروقة لنفسه ٠ وبقفزة واحـدة خطف كيس البذار وولى الأدبار ٠ وعندما رآه يمنيج ضحك ضحكة عالية :
ـ انظر الى هذا الصغير وما يظن أنه يفعل ٠ الى أين تفلت مني وتذهب ؟

ودون أن يضيف شيئا عاد الى بيته وأكل جيدا ثم استراح قليلا وركب حصانـه ذا الأرجل الثلاثة السوداء ولحق بسوسروقة عنـد شاطىء البحر الكبير ودفعـه فألقاه أرضاً وحمل كيس البذار دون أن يترجل وقال لسوسروقة :
ـ ليس مثلك من يستطيع استعادة هذا البذار ٠

ورجع يمنيج ومعه كيس البذار وسار سوسروقة في إثره دون أن يراه ٠ أعاد يمنيج كيس البذار الى جذع الشجرة وعاد الى فلاحته ٠

« يتبـع »

O—■—O



بقلم : أوغوستو روا باستوس
ترجمة : ميخائيل عيد

قصة من البارغواي

كان معمل السكر مغلقاً لينظف ويرمم . تفوح رائحة احتراقه في ليل من ليالي كانون الاول خانق مشحون بالكهرباء . كل ما حول النهر هادىء وساكن . لا تخر المياه ولا تهمس الاوراق . العاصفة الوشيكة تشحن الهواء بالتوتر ــ فكأنه فوهة جرس يغتلي فيها همس أصم ودوي مكتوم .

تعالى في تلك اللحظة لحن اكورديون من صوب الوادي . كان ينبعث متقطعاً . لقد انقطع ثم تعالى ثانية من مكان اخر قرب مضيق النهر المرن . وترن الموسيقا اسبانة شجية .

سأل رجل من قرية أخرى :

ــ ما هذا ؟

أوضح أحد العجائز :

ــ أكورديون سولانو روخاس

ــ من ؟

اوغوستو روا باستوس

كاتب معروف من بارغواي . ولد عام ١٩١٨ في اسونسيون . عمل صحفيا طوال سنوات عديدة . اضطر الى اللجوء الى الارجنتين أثناء الحرب الاهلية في بلاده . بدا نشاطه الادبي عام ١٩٣٨ باصدار مجموعتين شعريتين . نشر عام ١٩٥٣ مجموعة من القصص القصيرة تحت عنوان « دوي بين الاوراق » ومن أعماله مسرحيتان وروايــة عنوانها « ابن الانسان » وغيرها .

ـ سولانو روخاس الاعمى صاحب الزورق

ـ ولكن ، اما قالوا انه مات ؟

ـ أجل ، ولكن روحه هي التي تعزف الان ٠

رسمت احدى العجائز شارة الصليب وغمغمت :

ـ يا لسولانو البائس !

خيال المعمل غير الواضح يسبح في الظلام ٠ يأتي نباح كلاب من مكان بعيد وكأنه ات من تحت الارض ٠٠٠ تعلق طفلان أو ثلاثة بأذيال أثواب امهاتهم قرب النار ٠ نشج احد الاطفال خائفا بصوت خافت ٠

ـ اسكت يا بني ٠ اصغ الى سولانو ٠ انه وحيد في باسو ٠

مزق نعيب أوروتاو (١) سكون الغابة ورن اللحن بمزيد من الخفوت فكأن الاكورديون ينوح الان ٠

قال العجوز وهو يشعل سيجارة من جمرة توهجت وشقت ، للحظة ، ستار الليل ٠

ـ هكذا يعزف حينما لا يكون ثمة قمر ٠

ـ ما زال يبحث عنها دون ريب ٠

ـ يا لسولانو البائس !

كف الاكورديون الوهمي عن العزف في مضيق النهر حين انقطع الهمس ٠ استمر نعيب جرس الغابة يترجع لفترة محدودة على بعد ، ثم صمت الطائر ٠ رن فوق النهر اخر الاصداء ٠ عاد الصمت مكفهرا ثقيلا شاملا ٠

اندلعت في الغرب ، وراء الغابة ، أوائل البروق ٠ كانت أشبه بأهداب صفر لامعة تطرف فوق عين الظلام الضخمة ٠

(١) اوروتاو طائر ليلي من فصيلة البوم

لم يسمع الاوكورديون بعد ذلك في باسو تلك الليلة ٠

قضى سولانو روخاس ، قائد الاضراب ، سنواته الاخيرة عند منعطف نهر تيبيكواري هذا ٠ بعد أن عاد من السجن ٠

وقد يكون هو الذي أطلق على المكان الاسم الذي يعرف به اليوم ـ باسو اياسي ماوروثي (٢) ٠ ان الوادي الكلسي وقطعة الارض الرملية وسط مياه النهر الخضراء ترسم هناك ، بالفعل، هلالا رمادي اللون يلمع بشفافية في الليالي الجافة٠

وقد لا يكون اسم باسو قد أطلق عليه بسبب شكله وانما بسبب شكل بغيض علق بذاكرة صاحب الزورق ٠

لقد عاش في الوادي المشجر الذي يصل حتى الرمال ٠ ولا تزال بقايا كوخه بادية عند الخليج الصغير وقد شرعت أشجار السرو تلتهمها بنهم ٠ والنهر يشكل هنا حوضا عميقا ساكنا كان سولانو يربط فيه عوامته ٠

ليس عسيرا أن نكتشف سبب اختياره لهذا المكان بعينه ففي الجهة المقابلة تلوح أطلال أوغاغواسو (٣) قاتمة متفحمة ٠ ولقد كانت هناك نهاية الاستبداد القاتم لهاري واي ـ اليانكي صاحب المعمل الذي أكمل دون رحمة عملية النهب التي بدأها التاجر اليهودي الاسباني سيمون بونافي القادم من أسونسيون ٠

صحيح أن سولانو روخاس ما عاد قادرا على رؤية الأطلال ولا المعمل الجديد الذي يشاد مكان المعمل القديم ٠ ولكنه كان سعيدا ، دون ريب ، لانهما أمامه ولان بمقدوره أن يحس بوجودهما بعينيه الميتتين وأن يدينهما بحضوره ادانة صامتة٠

أقام حراسته الصامتة هناك وأردفها بعمل نافع ـ عامل على زورق ٠ وقد أدى هذا العمل بطيبة خاطر دونما مقابل تقريبا ـ وما كان يقبل ، اطلاقا ، أن

(٢) تعني درب القمر الابيض بالهندية والاسبانية

(٣) أوغاغواسو : تعني البيت الكبير ٠

تدفع له نقود . كان يأخذ القليل من التبغ أو الطعام ، الذي كان يتركه له بعض المسافرين الطارئين . أما النساء والاطفال القاطنون في أمكنة ولو بعيدة عن شلال غوايرة ، فكانوا يذهبون ويعودون في الزورق دون مقابل . كان يخاطب الاطفال أثناء الطريق :

ــ لا تنسوا ، أيها الاطفال ، انه يجب ، دائما ، أن يساعد أحدنا الاخر . الفقير وحده هو الذي يمكن أن يكون أخا للفقير . ونحن جميعا نشكل يدا ليست أنيقة ، وانما هي قبضة العمل القادرة .

ما كان سولانو ينشط علانية . كان ثوريا حقا كما كان انسانا حقيقياً من الشعب . ولهذا حكموا عليه بأن يظل أبداً رهين ظلام العمى . يتكلم دون مرارة، دون كراهية ، ولكن باقتناع راسخ كان يعرف ، دون شك . كم هو ضروري عمل المعلم وكم له من الاهمية الحيوية رغم انه غير مشكور .

المدرسة التي يعلم فيها عوامةفي نهر ــ بعض ألواح غير مصقولة جيدا تحملها دائما المياه الجارية كالحياة . كلمات سولانو روخاس تذكر بالمواعظ ، ولكنها في الوقت نفسه مفعمة بانسانية نقية أصيلة . تدب الحيوية في وجهه الاسمر المثلث الشكل تحت القناع الذي وضعوه له ، ويشع في تلك اللحظات بانفعال مكتوم. ولكأن عينيه العمياوين تبصران . ولكأن أثر الجرح العميق في جبينه يرى مثل عين جافة مغضنة . يتأمله الاطفال كالمسحورين في ثيابهم البالية بوقار بينما يستمر في تجديفه . لم يكن قد تجاوز الاربعين من عمره ، ولكنه يشبه العجائز . لا يرتدي سوى سروال ممزق من قماش قطني محاك على نول يدوي وملفوف حول ركبتيه . جسده المعذب العاري مغطى بأثار الجراح التي خطها على جلده جلدالمراقبين أولا وسياط الحراس فيما بعد . وقد قرأ الأطفال الذين لا يتقنون قواعد القراءة ، على هذه الصفحة ، الدرس الذي يصمت عنه سولانو . ويضغط الخوف والاعجاب والصداقة حناجرهم وهم يقفزون من العوامة فيهتفون :

ــ الى لقاء عاجل يا سولانو !.

ــ الى اللقاء يا أطفال !

ويمكث مفكرا وهلة على الضفة· تتداعى فوقه كتلة المعمل المسودة بصمت · يحس انها تثقل كتفيه · يزحلق عوامته على مهل عن الضفة ويعود الى خليجه مع التيار دون أن يجذف أو يتحرك · ويصر المجذاف من تلقائه في الحلقة الحديدية ·

يتناول سولانو اكورديونه المرقع ، بعد غياب الشمس ويجلس على المقعد ليعزف بهدوء مستندا الى شجرة · يبدأ العزف دائماً تقريباً بأغنية معسكر سيروليون موجهاً عينيه اللتين لا تبصران نحو حطام أوغاغواسو هناك في العالي على السفح ، والذي دمرته نيران الانتقام قبل خمسة عشر عاماً ولا يقطنه الآن سوى الحراذين والأفاعي · وهذا وحده ما تبقى من سيمون بونافي ومن أيو الوخيو بينايو وهاري واي ·

بقي سولانو هناك ليذكرهم بأنه حي ، وانه قد انتصر جزئيا ·

تلوح طلعته من الظلمة بندوب الجراح على جلده ، مفضضة بهدهدةترجعات الأمواج ، فكأن المياه ترقص وهي تكسوه بثياب سجن جديدة ــ مهفهفة لامعة ·

والطلول تنظر اليه هي الاخرى بأعين عمي· تتطلع دون أن ترى، أما بينهما فثمة النهر وكل ما قد حدث ــ الماضي ، الدم الذي أريق ، كل ذلك وشيء آخر أيضا يعرفه · الاطلال تنتصب صامتة بين الخنشار والقريص · وهو لديه موسيقاه · تتحرك يداه باندفاع تبسطان الاكورديون وتطويانه ، وفي هذا الانفعال المنسكب لحناً ينكشف سره كما النبات والجذور السود التي تلوح في النهر · ان انعكاساتها الخضر الاخيرة تنير وجهه المشرئب عاليا في تطلع حقيقي نحو النور··· ثم يتجهم منحنيا فوق اكورديونه مثل انسان يخفي وجهه بيديه ·

وتصير الموسيقا حزينة اسيانة تدريجيا ــ أغنية معسكر حول نار خابية في مخيم ذات ليلة مصيرية · هكذا كان اكورديون سولانو روخاس يرسل النغماتحول نهر موطنه · قد تكون المياه القاتمة والابن الضرير يتبادلان الحديث عن أشيائهما الخاصة ويسترجعان الذكريات الجماعية ·

ثمة متمرد في أعماقه ، في قلبه الذي لا يقهر ، متمرد يكره الظلم · هـــذا صحيح · ولكنه كان عاشقا حزينا · سولانو روخاس يعرف الان أن الحب وعذابه يولدان الانفراد حتما · لم يكن وحيدا ولكنه كان منفردا ·

هنا ناضل وأحب · هنا جذوره وفرحه وشقاؤه · وهذا ما يقوله له اكورديونه المرقع بلغته الهوائية بايقاع ممتلىء لطبل قتالي ، معمقا في الاوديـــة وفي نفوس الناس كلمات الاغنية العسكرية القديمة :

في معسكر سيروليون
واحد ، اثنان ، ثلاثـة ،
سوف يجتمع من جديد لواؤنا
النفير يدوي
فانهضوا أيها الفتيان ··

لم تكن المعركة خاسرة · لا يستطيع سولانو روخاس رؤية النتائج ، ولكنـه يحسها · وهذا ما يبرهن عنه المعمل ـ وهو يبذر في هؤلاءالفتيان الذين في الاطمار بذور المستقبل القاتمة شاقا المياه بصراته العائم ·

كلا ، ان تضحيات سولانو لم تذهب دون جدوى · النضال وسنوات السجن، آثار الجراح ، العمى ـ لا شيء دون جدوى · وكان سعيدا لانـــه كرس كل قواه لصالح اخوانه ·

ولكن قلبه يناديها . في أعماق ظلامه المؤرق ، ينادي المرأة ، التي هي الان **كما في الحلم ـ جسد كالنحاس الصقيل ، وشعـــر من أشعـــة القمر مضاءة بوهيـــج النار والذكريات ·**

انها أياسي ماوروني ·

لقد أمضيا لحظات معدودة معـــا · ولقـــد تبادلا بضع كلمات · ولكن صوتهـــا يدندن الان في همس النهر ، في صوت الريح وفي نحيب اكورديونه المغني·

لا يزال يراها في ذكرياته على ضوء النيران وسط دمار الموت ، وسط السكينة ، التي حلت بعد ذلك مثل زمن خارج الزمن · لقد رآها قربه قبل ذلك بقليل ، وقد عادت اليه رباطة جأشه ـ لا كامرأة شابة معافاة ، وانما مثل ظل غامض فوق فراغ عكر شاحب يحمله مثل خرقة ·

يتذكرها كما كانت حينذاك ، وحتى لو كانت نائية ، وحتى لو انهـا ماتت فهو ينتظرها أبدا · ولكن ، لا ، انها لم تمت ـ انها حلمه ·

يشعر أحيانا انها تمر بزورق في النهر · ولكنه لا يستطيع رؤيتهـا الا في دخيلة نفسه · لقد ابقى السجن على ذاكرته سليمة ـ ولكنه أكل عينيه ·

لم يكن وحيداً ولكنـه كان منفرداً · لهـذا كان الاكورديون يصـدح أحيانا بحمية وجسارة عبر أودية باســو اياسي ماوروتي ، وبشجى وأسى حين يخيم الليـل فوق ايله المقيم

ايها القمر الأبيض

لقد تركتني ···

بعيدتان هما عيناك

يا اياسي ماوروتي ···

كان اكثر الناس في تيبيكواري كوستـا يعيشون مشتتين عـلى ضفتي النهر المشجرتين قبل بناء معمل السكر الأول · يعيشون متوحشين ، يقتاتون من الصيـد وصيد السمك ومن زراعتهم البدائية ولكنهم يعيشون أحرارا ، مـن عملهم ، دون احتياجات كثيرة ودون كثير من الامور · يعيشون ويموتون دون أن يشعر بهـم ـ كما الغزلان والنباتات والفصول ·

وجاء سيمون بوناني مع جماعته يوما · وصلوا على جيادهـم من سان خوان دي بورخا · بحثوا على ضفة النهر عن أكثر الاماكن مواءمة لبناء المعمـل · توقف سيمون بوناني في الوادي الذي انبسط أمامهم عند منعطف النهر ·

قال وهو يقيس كامل الوادي بعينيه :

ـ هنا · هنا يعجبني ·

ثم أخرج من جيبه خارطة بالية جداً وراح يتقراها بامعان · أنفه المعقوف مثل منقار طائر من جوارح الطير يكاد يمس الخارطة · كان بونافي يشم ابهامـــه وسبابته بين الحين والاخر ويدلكهما برفق وكأنــه يستنشق العطوس · جماعتـــه ينظرون اليه وينتظرون ·

قال سيمون بونافي وهو يرفع رأسه :

ـ أجل · كل ما هنا للحكومة · الماء والارض والناس · وسيكون لنا دون مقابل في نهاية المطاف ·

وبسط يده بايماءة امرئ · جشعه ولكنها متمهلة وواثقة ·

تشمم جماعته ما حولهم واستحسنوا كلماته باحترام · كان النهم في عيني الاسباني الزرقاوين الوديعتين انيسا وشريرا في آن ، وكذلك كانت ابتسامتــه ـ خيطا أبيض بين شفتين رقيقتين · وهي أشبه بظاهرة المرح الذي يغطي حقارتـــه الخفية ·

قاس رجل أشقر يرتدي الزي الالماني بعينيه المائلتين ·

ناداه بونافي :

ـ فوركل !

ـ نعم يا سيد سيمون

ـ بمقدوركم أن تقيسوا · هنا سنؤسس ·

ترجلوا عن الجياد ، الخلاسي الضخم أحــول العينــين ، الذي على خصره مسدس ، والذي لا يفارق بونافي هو الذي ساعد بونافي على الترجل عن الجواد · انزله على يديه كالطفل ·

ـ شكرا يا بينايو ـ وابتسم ٠

شرع مساعدو فوركل يقيسون الارض بشريط فولاذي ـ هذا الثعبان السام اللامع الذي ينبسط ويتلوى ثم يتكور في علبته ٠

كان سيمون بونافي قصير القامة ذا كرش ، يبدو كالقزم أمام الغلاسي الطويل، ساقاه مقوستان جدا ٠ وهو وحده لم يكن يضع كاسية ساق من الجلد ٠ ملابسه قاتمة أما قبعته المضحكة التي تشبه الطاقية فتبدو رمادية اللون وتشبه جرذا نافقا فوق وجنتيه المكتنزتين الحمراوين ٠ يدس يده غريزيا في شق سرواله ٠ وتلك الرائحة هي نشوقه الذي يستله من هناك ـ دون أن يخفي ذلك تقريبا ـ بين سبابته وابهامه ٠ وحين يستنشقه تدب الحيوية في عينيه الخامدتين وفي محياه غير المبالي ٠

سأله مرة أحد الفضوليين غير اللبقين من زملائه ، أثناء مناقشة ، وقد رآه يدس يده تحت المنضدة باستمرار

ـ ماذا تستنشق يا سيد ؟

أجابه سيمون بونافي دون أن يرتبك :

رائحة النقود يا صديقي ٠

« رائحة » النقود تفوح في الهواء في وادي تيبوكواري دل غواري ٠ وسيمون بونافي يحس وكأنها بين يديه بينما كان جماعته يمدون الأفعى المعدنية اللدنة فوق الأعشاب ٠

الح السيد :

ـ ستمر سكة حديد انكار ناسيون ، حسب المخطط ، على مبعدة كيلو متر من هنا ٠

قال المهندس الألماني مؤكدا :

ـ صحيح ٠ المحطة على خمسة فراسخ شمال سان خوان دي بورخا ٠

ـ تمر من هنا • رأيتها على الخارطة •

ـ أجل ، أجل ، هذا مفيد جدا يا سيد سيمون ـ قال الألماني مؤكداً دون أن يحيد بنظره عن المساحين •

ـ طبعاً • فاذا لم توجد سكة حديد فلن يوجد معمل ـ كانت الوجنتان المورِّدتان هادئتين • فحتى حين يخاف ، يظل سيمون بونافي لطيفاً ودوداً •

ردد الالماني متزلفاً

ـ اذا لم توجد سكة حديد فلن يوجد معمل •

ـ سأحرك معارفي في أسونسيون ليمددوا الخط الحديدي الى هنا • سنقيم معملا فلتمدد الادارة الخط الحديدي • هكذا تبنى الدولة ـ وكشفت الشفتان عن أسنان صفراء كبيرة •

وكرر المهندس :

ـ هكذا تبنى الدولة •

• • • • •

• • • • •

هكذا ولد المعمل • جر سيمون بونافي السكان المحليين الى العمل • فرحوا أول الامر ـ هي ذي امكانية متاحة للعمل الدائم • تـرك سيمون بونافي انطباعاً حسنـاً لديهم أول الامر بتزلفه وتودده• انسان كهذا يجب ان يكون طيبا وجديرا بالاحترام تراكضوا اليه جماعات • ولقد ارغمهم على أن يحفروا أقنيـة وأن يقيموا حاجزاً لاستقبال خطوط السكة المقبلة •

بني المعمل بالآجر الأحمر الذي استخرج من المقالع • ثم وصلت الآلات المعقدة المكابس الفولاذية والمراجـل النحاسية الضخمة لغلي السكر • نقلوها بالعتـلات من محطة السكة الحديد التي تبعد أكثر من عشرة فراسخ •

لقد بنيت المستودعات وبعض المنازل الصغيرة والمخفر ومخزن المبيع للعمال . الناس يعملون كالعبيد . ولم يكن ذلك سوى البداية . أما النقود التي حلموا بها فلا أثر لها ، ذلك لأن سيدهم يدفع لهم ايصالات .

قال لهم يوم السبت :

ـ يدفع لحامله أيها الفتيان . كونوا مطمئنين .

تجاسر أحدهم فاحتج :

ـ « كواتي ربي » يا سيدي .

التفت بونافي نحو بينايو الذي كان يغطيه بظله وسأله

ـ ماذا يقول هذا ؟

ترجم الخلاسي :

ـ ورقة فارغة .

أوضح السيد مبتسماً :

ـ يا للاحمق . الورقة والدة النقود . وهذه الورقة أقوى من البيزو . يدفع لحاملها . اذهبوا الى مخزن البيع وسوف ترون .

رنت « يدفع لحامله » رنيناً عذباً ، ولكنهم لم يفهموه . حسبوه شيئاً جميلا لـه علاقـة بالمستقبـل . أخـذوا الايصالات وذهبـوا الى المخـزن ، راح يـذيب اجورهم اليومية اذ يبيعهم الثياب والحاجيات بأسعار أعلى عشر مرات من أسعارها الحقيقيـة ولكنهـا كانت مـع ذلـك ثياباً وطعامـاً يشترونـه بـ « كواتي ربي » ـ الورقة البيضاء الأكثر قدرة من البيزو .

أمسك سيمون بونافي جميع الخيوط بيديه الصغيرتـين المكتنزتـين ، وكان يترنـح على ساقيه المقوستـين ـ رقاص الكرش الضخم ـ مبتسماً شريراً ، كرقاص الساعة الذي يقيس الذي هو نفسه سيمون بونافي سيده .

الناس يرون المعمل ينمو مثل حوصلة حمراء ضخمة . أحسوا انهـا تسمن بفضل جهدهم ومن عرقهم وخوفهم . ذلك أن ذعرا مضنيا راح يتملكهم . لم يستطع

عقلهم الرعوي البسيط ادراك ما يحدث • لم يعد العمل أمرا جميلا ممتعا • كان العمل لعنة وكان يجب أن يحتمل كلعنة •

حطم سيمون بونافي ارادة الناس بالتهديدات قبل أن يصبح العمل جاهزا • ظل يبتسم بوداعة ولم يسهم شخصيا بالترويض • لقد اختار لهذا الامر ايولوخيو بينايو الذي يلوح باستمرار بسوطه الطويل الثقيل الملق بمعصمه •

ــ حــذار ! ايولوخيو ! ــ يهمس الخوف عنــد الحاجز ، حول الآقنية ، وتحت الاطناف وفي البراكات • ويلوح السوط المجدول من الجلد على الارض وعلى الاشجار على الآلات وعلى ظهور العمال المتقصدة عرقاً • واحياناً يتحدث المسدس ارهاباً • بينايو يحرص على افهام الجميع انه صياد بالسوط وبالمسدس •

استيبان بلانكو هو أحد الذين أطلق الرصاص على رؤوسهم لانه تجاسر على رفع يده على المراقب • لقد أطلق الغلاسي عليه النار مساندة للمراقب •

واشاع شهود العيان الخبر :

ــ قتلوا تيبا ! ايولوخيو أطلق النار على تيبا !

كان هذا أول المتمردين وأول القتلى • القوه في النهر • طفت جثته في وشاح رقيق من الدم فوق وشاح المياه المتموج الاخضر •

سيمون بونافي يبتسم ويستنشق اصبعيه • عينا الغلاسي الحولاوان تستكشفان الادغال وزوايا الغبار • كان السيد وديعا • وكان الغلاسي هو الظــل الحقود للرجل الباسم ••

واغلق الرجلان بجهودهما المشتركة الدائرة حول سكان تيبيكواري ديل غوايرا • صيادو الكاربينتشو[4] ظلوا وحدهم أحراراً • لم يرتضوا بيــع مصيرهم الترحالي للسيد الذي يشتري الناس مدى الحياة بالايصالات •

(٤) الكاربينتشو : حيوان برمائي قارض في جنوب أميركا •

وانتشر أحد الاوبئة · مرض كثيرون وماتوا · تجاسر بعضهم في البداية وطلبوا سلفة من السيد ليشتروا دواء من سان خوان دي بورخا · صرفهم سيمون بونافي بابتسامته الوديعة :

ــ أوخ ، لا يحق لنا نحن الفقراء ان نمرض · هاكم النهر ــ ويشير بابهامه من وراء ظهره ــ اعطوهم ماء كثيرا من الماء الى أن يشبعوا · الماء دواء مدهش·

وعمل المعمل أخيرا · صارت أحشاؤه التي من فولاذ ونحاس تطرح سكرا أبيض ، أكثر بياضا من الرمل الذي حول باسو ، أبيض حلو لامع · فوجيء أهالي تيبيكواري كوستا غير العارفين ، بأن شيئا بمثل مرارة عرقهم يمكن ان يتحول الى قطع الجليد الكريستالية هذه التي تبدو مغسولة بأشعة القمر وبمسحوق حراشف الأسماك وبندى عصير النحل الحلو ·

ــ سكر ، سكر أبيض ! كم هو جميل ! ــ رددوا بصوت واحد خافت ·تندت عيون بعضهم · قد يكون ذلك بفعل بريق السكر · كان مذاقه حلوا على شفاههم، ولكنه كان مرا في عيونهم حيث يستحيل الى دموع ــ رمل حلو مرتو بدموع مريرة·

اكلوا في اليوم الاول حتى الشبع · ثم صار لزاما أن يتذوقوا السكرخلسة، مع المجازفة بأن ينالوا عشرة سياط من الغلاسي مقابل كل حفنة منه ·

رجع سيمون بونافي الى العاصمة بعد التجربة الاولى وقد ترك المهندسالالماني فوركل في المعمل ، أما في المخفر فقد أبقى ايولوخيو بيناويو ·

راى الناس بونافي يبتعد ممتطيا جواده وهو يبتسم ويستنشق اصبعيه · ولكأنه ارتشف بذهابه آخر بقية من الضوء ومن عبق الغابة ، في تيبكواري غوايرا ··· ثم احتجب خلف الغلاسي الذي رافقه الى القطار ·

عبرت «النيران النهر ليلة عيد القديس يوحنا » سان خوان » هــذه السنة سريعة كاشباح ــ وكأنها نيران هائمة فعلاً ·

كان سولانو روخاس في الخامسة عشرة من عمره حينذاك وكان يعمل عــلى

المكبس • رأى كيف تمرد استيبان بلانكو فدفع حياته ثمنا لذلك • صرختـــه ، رأسه الذي مزقه المدس ، وأخيرا وقفته المعتدة ضد المراقب الذي يضربه ، كل ذلك قد حفر الى الابد في نفس سولانو •

كان ايولوخيو بينايو منتفشاً• يظن نفسه قوياً حصيناً لا يطال • لقد حدد بونافي وظيفته الرسمية ، فهو الان مدير الادارة •

يقع المخفر ــ وهو بيت أبيض له سقف من التوتياء حقود كقاطنيه ــ عند منعطف النهر على سفح الوادي • من هناك كبير مراقبي المعمـل مثـل كلب أسود مكلل بجلال الرهبة السوية •• تساق الى هناك النساء المرغوبات لارواء الشبق • تسمع أحيانا صرخات وعويل التعيسات غارقة بين قهقهة وعربدات الهجناء •

جاء دور والدة سولانو بعد سنة على ذهاب السيد ــ كانت ما تزال شابـة وجميلة • نال منها بينايو ما ابتغاه بعد أن هددهـا بقتل ولدهـــا الذي أصبح مستخدما في المعمل ، ان هي رفضت • عرف سولانو ذلك بعد زمن طويل، بعد موت الخلاسي ، وكان قد تقادم العهد ولم يعد ثمة مغزى للانتقام الشخصي حتى لو أن الخلاسي ما زال حيا •

واستقدم ماكسفوركل زوجته من اسونسيون• جاءت ممتطية جواداكالرجال وقد ارتدت زي أمازونية ــ جزمة سوداء وبنطلونا أزرق وسترة وقبعة من الجوخ وقد انزلت القبعة فوق شعرها المصبوغ بصباغ غير مميز •

عرف الجميـع منذ اللحظـة الأولى كيف يتوجب أن يعاملوها • كانت متوحشة لا ترتوي ــ صورة انثوية للخلاسي • كانت تذهب باستمرار الى المرج وتتفحص ، بطريقة خاصة ، الرجال الذين يمرون من حولها • اسموها « بريغنا » • وكانت البقع الزرقاء التي على سترتها تسابق الريح والغبار في المستوطنـة منـذ الصباح حتى المساء •

علقت بريغنا بالخلاسي أول الامر • صارا يذهبان معا ويضطجعان حيث يشاءان دون أن يأبها لكون شهود العيان سيتهامسون :

ـ ولقد رأينا أيضا ايولوخيو وبريننا هناك على التل الصغير ٠

ـ أي حيوانين هما ٠٠٠

ولكن بينايو مل سريعا هذه المرأة المتعبة التي في الاربعين من عمرها وأدار لها ظهره ٠ شرعت حينذاك تبحث عن مرشحين بين المستخدمين الصغار الشباب ٠

كانت تستدعيهم وتضطرهم للنوم معها بالهدايا أو بالوعيد وكل ذلك تحت أنف زوجها ، وقد يكون ذلك بموافقته الصامتة ٠ استسلم بعضهم لمغازلات زوجة المهندس الملحاح ٠ أما أولئك الذين أبوا فقد طردوا من المعمل ـ كان يتوجب الاختيار بين العدوى من بريننا أو الجوع والشقاء ٠

ولقد سميت بريننا البقرة الطائشة ٠

وانطلقت نيران سان خوان أربع مرات أخرى فوق النهر ٠ صار سولانو زوخاس رجلا طويل القامة ممشوقها ٠٠ ولقد حمل اليه اناكليتو باكوري ذات يوم خبرا مزعجا :

ـ انها تريد الامساك بك ٠

ـ من ؟ ـ سأل سولانو كي لا يبقى دون كلام ٠ انه يعرف من هي التي تريده ٠٠ انتفضت رجولته البكر وهو ابن العشرين عاماً وتجهم بقرف ٠

أجاب أناكليتو مشيرا الى ما بين ساقيه :

ـ تلك ، البقرة الطائشة ٠ سوف تستدعيك ٠ كنت ليلة البارحة معها ٠ اي امرأة متوحشة لدى المهندس ! أعطتني عشر بيزوات ٠ ها هي ـ وأخرج من جيب سرواله ورقة نقدية في وسطها وجه رجل مرتفع الجبين ٠

ـ أنت مباح يا اناكليتو! ـ وخطف سولانو قطعة النقد وبصق عليهاحانقا ثم القاها أرضا وراح يدوسها ويمرغها بالتراب وكأنها أفعى نافقة ٠

ـ أنا ذاهب الان الى المداوي في كانديلا لينظف حالبي • ـ قال أنا كليتو باذعان ـ أما أنت يا سولانو فحذار • لقد أنذرتك •

ولكن حادثا مفاجئا أنقذ سولانو من ملاحقات البقرة الطائشة •

وجد المراقب ، في اليوم الذي تلا هذا الحديث ، قتيلا في بيته وقد طعن ظهره بخنجر • كان القتل غامضا وغير متوقع • ليس ثمة أي أثر • بيت الكلب الاسود لم يطأه أحد • ولقد قيل عنه انه لا ينزل يده عن مسدسه حتى حين ينام • القاتل امرأة دون ريب • قد تكون زوجه فوركل • رأوها تطوف حول البيت الابيض ثم رأوها تتبادل الحديث مع الخلاسي قرب الحاجز السلكي • وقد يكون القاتل هو فوركل نفسه • ثمة أمر واحد مؤكد هو أن بينايو ميت • ولقد استطاع الناس أخيرا أن يتنفسوا • صلى العجائز وبكت النساء سرورا •

أرسل سيمون بوناڤي وكيلا جديدا مطلق الصلاحية وعددا من المستوطنين ـ لينظفوا الاهالي عن طريق « الامتزاج » الشامل مع السكان المحليين •

ـ المزج بين الأمم يروق الدم ويترك أثرا جيداً على العمل ـ قال صاحب المعمل واستنشق رائحة النقود التي يخفيها في شق سرواله •

ولقد سرح ماكس فوركل • أعطى سيمون بوناڤي تعليمات دقيقة لوكيله المفوض بشأن المهندس الالماني :

ـ انه رجل طري ، لا يستطيع الثبات مع الناس ، وينال راتباً مرتفعاً جداً• أما زوجته فعصبية كامنة • وفوق ذلك، لم تعد بنا حاجة اليه• اقذفه الى الشارع•

سار فوركل وزوجته فوق الحاجز وكان مثقلا بالحقائب كالحمال •

وبدت البقرة الطائشة مروضة آخر الامر • ها هي تسير هادئة • على غير عادتها ، الى جانب زوجها ـ مثل زوجة مطيعة حقاً•ما كانت تعرف بفستانها البسيط المصنوع من الشبث الزهري اللون الذي ترتديه بدلا من بذلتها الامازونية التي ظلت ترتديها طوال الوقت • تسير بخفة وقد مالت من ثقل حقيبة سوداء تشد

يدها • تبدو تارة اكبر سناً وتظهر تارة أخرى أصغر سناً • ظاهر قبعتها المدعوكة ونقابها الحريري المجعد يضفيان سيماء غريبة على وجهها البشع ، الذي يعلوه شيء لا يوصف ـ شيء يشبه ابتسامة رضى واستكانة حزينة تضفي عليه مسحة من النبل • التفتت الى الوراء مرة واحدة متمهلة دون هدف وكأنها تقول وداعا لذلك الوقت الذي مات هناك الى الأبد بالنسبة لها •

همس موظف عجوز لرفيقه :

ـ البقرة الطائشة قتلت ايولوخيو بينايو • من غير الممكن أن يكون القاتل سواها •

ـ هيه ، هيه ، يا صديقي ، الشيطان شيطان رغم انه يظهر وديعا أحيانا •

ـ انها تحمل روح الخلاسي في الحقيبة •

ـ امرأة خطرة • ولقد أنجزت عملا معقولا آخر الأمر •••

كانا يتحدثان عنها وكأنها لم تعد موجودة • وحجبت سحابة من الغبار ، في تلك اللحظة ، الحقيبة السوداء والفستان الزهري •

ظل المخفر القائم على السفح الكلسي ، زمناً ، غير مسكون • قيل أن روح ايولوخيو بينايو اللعينة تطوف هناك ليلا • ثم حلت فيه عائلة المانية أخرى ومعها ابنتها الصغيرة •

حين أحضروا ، ذات ليلة ، صياد كاربينتشو غريقا الى البيت اختفت الابنة سرا . كان ذلك أثناء ليلة سان خوان والنيران تتقدم على مهل نحو مضيق النهر •

جنت أمها ـ فلقد استحالت جثة الصياد ، حسب زعمها ، الى خلاسي ، خلاسي ضخم ، يبكي ويتهانف ضاحكا ويرتطم بالجدران • لقد اكدت أنه هو الذي خطف ابنتها الصغيرة • ولكن هذا كان ثمرة لجنونها • فالصياد الميت لا زال حيث وضعوه تحت طنف المنزل مضاء ببريق مائل للحمرة •

وعبرت نيران سان خوان دي بورخا النهر نزولا أربع مرات أخرى •

كان خلف ايولوخيو بينايو بيروقراطيا أكثر منه قذرا . وقد أمضى حياته بين الاوراق . كل شيء لديه اشكال وشرائح ــ وقد رتب حسب نظام صارم . الناس يعملون بمزيد من الاطمئنان نظراً لتوزيع المسؤوليات . لقد خف الاستياء . سيمون بوناقي يدير الدفة بذكاء . يريد أن تكون هذه ضربته الأخيرة . كان المعمل يدر أرباحاً كبيرة ــ كان قلم الوكيل المفوض الجديد ذا فعالية تضاهي فعالية سوط الذي سبقه . صحيح ان بواريد المراقبين المخلصة تقف وراء القلم ــ ولكنها الان أكثر انسانية .. وكان هذا سببا للتفاؤل الخادع .

كان سولانو روخاس بين القلة التي لم تنخدع . وقد يكون أكثر الجميع يقظة وتصميما . لقد رأى حقيقة الامور وحدس غريزيا بالخطر الوشيك .

ــ هذا وهم صراع . لا تنخدعوا أيها الفتيان .

ولكنهم لم يعيروه انتباها . كان الناس متعبين مسحوقين يفضلون أن تظل الأحوال على هذا النحو دون ان يسببوا ما يعرضهم للقسر الضاري والعنف .

كان بين المستخدمين الذين قدموا هذه السنة للعمل قيد الاختبار أحد الجبليين مختلف عن الجميع . كان جسوراً عذب الحديث ، يبدو ودوداً منذ النظرة الأولى ، بآثار جروح أضفت على وجهه الاشقر الملفوح بالشمس مسحة من النبل بدلا من أن تجعله يصير قبيحاً . اسمه غافريل . حمل خبراً مفاده أن جميع عمال معامل السكر والمستوطنات يعدون لاضراب شامل من أجل الحصول على ظروف أفضل للعيش والعمل . لقد انضم تابيكواري هواسوس وفيليباركا الى الحركة . وقد جاء لاجتذاب عمال تيبيكواري كوستا .

كان غافريل يردد باستمرار في الاجتماعات السرية :

ــ ان قوتنا في اتحادنا . نحن بشر ولسنا عبيداً ولا دواب حمولة .

كان سولانو روخاس يستمع الى الجبلي مشغوفاً ، أما ذاك فقد أدرك على الفور أنه سيجد في شخص هذا الفتى المعافى الذكي أفضل معين له . علمه بدأب وراحا

يعملان دون كلل · ووعى الناس شيئاً فشيئاً · كانت الأهداف بسيطة واضحة ، وكذلك كانت الاساليب · لم يكن صعبا فهمها وقبولها لانها تعبر بجلاء عن رغباتهم الغامضة ·

أوكل غافريل الى سولانو روخاس متابعة عمله وذهب ·

لمح المدير بعد ذلك بقليل ، فوق أشكاله وشرائحه ظل الخطر معلقاً فوق المعمل ورأى من الحكمة أن يسرع بابلاغ سيده بالامر ·

وصل ذو الكرش وأدرك كل شيء · استنشق أنفه المعقوف الحاد ، الذي ألف رائحة النقود ، رائحة المصاعب المقبلة والعصيان ·

قال بونافي للمدير :

ــ بدأ هذا يصبح خطرا هنا · لندع سوانا يحرق أصابعه ·

وعاد بعد أيام واعلن أنه باع المعمل والأرض التي نالها من الدولة دون مقابل من أجل « بناء الوطن » · لم يكن عسيراً أن يجد مشترين · دخل بونافي في مفاوضات مع صاحب مستوطنة لزراعة القطن في فرجينيا وقدجاء الى بارغواي، وكان بمقدوره الذهاب الى أدغال افريقيا · وبدلا من أيصطاد الوحوش أو يبحث عن الجواهر أتى لصيد الناس الذين تحوي أجسادهم جواهر العرق الأغلى من الجواهر ، أتى بالسلاح والدولارات · لم يخف بونافي الماكر عنه خطر الاضراب · ولقد توقع أن يكون هذا حافزاً لصاحب المستوطنة · ولم يخب ظنه ·

ــ لا أهمية لذلك · بل على العكس فان هذا يعجبني ــ قال الفرجيني ودفع الثمن عدا بما في ذلك ثمن هيمنته التي تشمل حيوانات ونباتات وأهالي تيبيكواري كوستا ·

هكذا اتى هاري واي · جاء بمسدسين على خصره · يداه الطويلتان تتدليان حول بنطلونه الخاكي ، وهما على استعداد لأن تتجها الى مقبضي المسدسين المصنوعين من القرون ، كان كبيراً متيناً يسير بخطوات واسعة مترنحا كالثمل ، تترك جزمته الثقيلة السوداء آثار خطواته على الأرض · العينان لا تظهران · وجهه

المربع الشكل الذي ترمي قبعته الواسعة الأطراف ظلهـا عليه دائماً ، فكأنه يكمن خلف كوة باتونية لاطلاق النار أو كأنه يختار المكان الذي ستنطلق منـه الرصاصـة ويحسب مسارها ٠

يرافقه ثلاثة حراس جديرون بسيدهم : أحدهم زنجي غليظ الشفتـين عليـه أثر جرح خنجر رمادي يمتد من احدى أذنيـه الى الثانيـة ، الثاني قصير مكتنز لـه وجه حيواني يبصق من خلال شفتيه المنفرجتين الى بعيد لعابه البني القاتم ، يخرج من جيبه بين الحين والآخر قطعة من التبـغ المضغوط ويقضم منهـا قضمة ، الثالث طويل ونحيل منمش ، ينظر دائما الى الأسفل بشكـل ظاهر ، ويترصـد من تحت قبعته المنزلـة حتى جبينه ٠ الثلاثة يرتدون الـزي المعبر عن نفسـه وثمـة ، سميغ أوسن ، على كـل من جانبي الخصر وسوط قصـير في الرسغ كانوا كالبكـم ولكـن الذي لا تقوله الكلمات تقوله عيونهم ٠

قدم الأربعة ذات يوم راكبين وكأنهـم طلعوا من الأرض ٠ لـم يرهم أحـد وهـم يقتربون ٠

أول ما فعله هاري واي في المعمل هو جمـع المستخدمـين وصغار المالكـين ، تراكض الجميع الى الاجتماع غـير المألوف الذي دعا اليه السـيد الجديد : صوتـه يدوي وكأنه خارج من قمع واسع من الصفيـح قوياً مفعمـاً بالتفاخـر على مئات الرجال المتكومين قـرب جـدار المعمل الأحمر ٠ جعلت نبرته الأميركية خطابه أشد غموضا وأكثر رهبة ٠

ـ لقد ظن السيد سيمون أنكـم تهيئون اضراباً ٠ لقـد اشتريت هـذا المعمـل واتيت لأعمل ٠ أنا هاري واي ولن أدع على قيد الحياة تعيسـا يفكر بالاضراب أو يرتكب حماقات ٠

وضرب صدره بقبضة يده ليقوي وقع كلماته ٠ انفتح قميصه المخطط بالأحمر وظهرت خصلة كثة من الشعر الصديء ، رد بقفا يده قبعته الى مؤخرة رأسه ٠ بدا وجهه المربع الأحمر صدئاً هو الآخر تحت شعره قليـل الكثافة ٠ نظر هاري واي بعينيه الرماديتين الوقحتين الى الناس المذهولين ٠

ـ ليقل لي الآن من ليس موافقاً · أنا أوافق فوراً ·

تملكته قسوتــه واستوفزتــه · وهــذه أجمل حالاته · ان جسده يسبح أثناءها مثل جلمود في دوامة حمراء ·

سمعت صرخة مكتومة · أرسلهـا لوريتو الميرون ـ وهـو سائق عربـة فقـير مصاب بالصرع · اندفاعاته تبدأ هكـذا دائما · كان لونـه أخضر وفكه متدليـاً وكأنه منخلع ·

جأر هاري واي بزبانيته :

ـ اجلبوا هذا الشقي !

اندفع الزنجي والقصير نحو المستخدمين · التصق المنمش بسيـده ويداه على المسدسين · سُحب لوريتو الميرون وأوقف أمام هاري واي · كان يشبه ميتاً تماسك مصادفة على ساقيه ·

ـ هل تحتج ؟

لوريتو الميرون يقف محملقاً · لا يستطيع التفوه بكلمة ·

ـ قلت لك أن شارك بالاضراب ·

مال واي جانباً ثم استدار وسدد لطمة مخيفة الى وجه سائق العربـة · سمـع صريف أسنان · انفلق جلد عظم الوجنة · كان الحارسان يمسكان لوريتو الميرون بقوة من ساعديه فتداعى لما تركاه كالكيس عند قدمي هاري واي الذي راح يرفس صدره :

وسأل مستثاراً :

ـ هل يريد آخر أن يجرب ؟

ارتعد الناس المذهلون قرب الجـدار وكأن صرع لوريتو الميرون الملقى أرضاً وقد غاب عن الوعي ، قد اعتراهم جميعاً ·

كان سولانو روخاس منحنياً وكأنه يتحفز للوثوب وهو يشد بكلتا يديه على

نصل مدية · سقطت قطرات ثقيلة على رجليه · لم تكن قطرات عرق · لقد ضغط أثناء خنقه القانط على حد النصل فحز يده حتى العظم ·

ــ أما من آخر ، أما من آخر !

استطاع سولانو أن يحبس اندفاع غضبه في صدره حيث راح يتدافع ويتراجع صداه مثل صرخة في وهدة بين جبال ·

كان ذو النمش يترصد الشاب من تحت قبعته المنكسة · لم يكن يستطيع رؤيته جيداً لأن خوسيه ديل روساريو وبيفيروا ثانيبوا أخفياه بجسديهما · لقد ألهمته غريزة الجلاد أن دماً يغلي على مقربة منه · ولكن الدم أصبح يغلي في عروق جميع العبيد تحت الجلود القاتمة المتشققة · وراح نشيج مكتوم يخمش كالأظافر الحناجر الجافة المتقدة ·

وساط ضحك هاري رأي المستخدمين ·

ــ ها ، ها ، ها ! مضربون ! أنصحكم بأن تكونوا ودعاء كالغنم ! انظروا إلى هناك !

كان فصيل كامل من الخيالة يسير فوق الحاجز وقد تسلح برشيشات شمايزر الحكومية · هؤلاء هم « جنود » القسم الجدد وقد عينتهم وزارة الداخلية ·

يتمتع هاري واي باحساس مرهف حول الفعل ورد الفعل ان ظهور المرتزقة المفاجيء جاء في وقته المحدد · كانوا عشرين بوجوه كالحة كوجوه حراس السيد الثلاثة · تقدموا وسط زوبعة الغبار التي أثارتها جيادهم وكأنهم يسبحون في غيمة رصاصية ــ هياكل شريرة بقبعات ، تبتسم ابتسامة ميتة تلوح وسط الغبار · ويتقدمون على جيادهم فوق الحاجز كان صمت قاتم متوتر يلفهم ، ثم بدا المستخدمون يسمعون صليل أسلحة خافت · ثم بلغ الأسماع وقع خبب الجياد تلته ضجة هي خليط من الضحك والأصوات اقترب الخيالة ثم اصطفوا على شكل نصف دائرة حول المعمل ·

ابتسم هاري واي · ارتعد العمال وكشر « الجنود » ·

سكن هاري واي وجماعته في البيت الأبيض حيث قتل ايونوخيو بينايو · فكأنما روح الخلاسي اللعينة قد حلت في رجل آخر أكثر قسوة وارهاباً · جعل هاري واي الناس يتذكرون رئيس مراقبي بونافي الذي سبقه ويشعرون انه غبطة ضاعت سدى ·

رمم البيت الأبيض سريعاً واطلق عليه اسم أوغا غواسو « البيت الكبير » وهو الآن قسم للشرطة ومسكن للسيد المطلق · ارتفعت حوله براكات المراقبين مثل حزام حماية ·

وبسرعة فائقة بلغت قسوة الاميركي ، الذي دعاه الناس الثور الأحمر ،حدا لم يسمع بمثله · وكان فعلا ، يشبه ثوراً أحمر ضخما · جزمته وقمصانه المخططة بالاحمر ، وشعره الصدىء وكأنه مصبوغ بأفكار دموية ـ كلها تنم عن تعطش للدم وقوة حيوانية ·

وكما كان سيمون بونافي « يزدهر » في أسونسيون فان هاري واي « يزدهر » الآن في تيبيكواري كوستا · الحوصلة الحمراء تنتفخ وتنتفخ وتزداد احمرارا ـ تنبض وتمتص محمرة الدم الأبيض والأسود ونسغ النباتات الأخضر · تمتص الأرض والمروج بقصبها والماء والهواء والعرق والناس وتمزجها بالعصير الحلو الذي يختمر في الخزانات ثم تطرحه القوة النابذة أبيض ، أبيض ·

ظل سكر الثور الأحمر محافظاً على بياضه · أكثر بياضاً مما كان سابقاً ، واكثر لماناً واكثر حلاوة ـ رمل حلو ، مرتو بالصقيع الكريستالي · مرشوش بالعرق ، مضاء بأشعة القمر ونار الألم البيضاء ·

أقيم سلتم متين في مواجهة المعمل · هناك يعاقب الذين لا يعملون كفاية ، والمستاؤون والمضربون المتوقعون · يأمر الثور الأحمر زبانيته :

ـ سوقوا هذا « الى الصديق الجيد » وانتزعوا منه القذارة ·

« الصديق الجيد » هو السلم ، أما السياط فهي التي تقوم « بالتنظيف (اذ يبقى الزبون بعده معانقاً السلم وظهره المدمى تحت الشمس المتوقدة وحوله الذباب وذباب البهائم .

اختص الزنجي الذي على وجهه اثر جرح رمادي اللون والقصير ذو الفم الأرنبي بالضرب بالسياط ، وخاصة الثاني . وكان الاثنان يتراهنان فيقول القصير للزنجي :

ـ اراهن بخمسة بيزوات على أن هذا سيركع بعد السوط العشرين .

ويصر الزنجي :

ـ بل بعد ثلاثين سوطاً .

يبصق ذو الفم الأرنبي على يديه ويتناول السوط ويبدأ العمل ، ينفس بعمق متمهلا . وهو يحزر دائما تقريباً . أن يقرفص المعاقب يعني أنه وقع . وتفرقع ضربات السوط الجلدي مثل طلقات مسدس على ظهر التعس الذي يظل يصرخ الى أن يقع .

ذهب خوسيه ديل روساريو الى السلم . كان هرما لا يطيق احتمالا. ألقوا جثته في النهر . وذهب بيفرو تانيمبو الى السلم . كان مسلولا فلم يحتمل . والقوا جثته في النهر . وذهب اناكليتو باكوري الى السلم . كان شاباً وقوياً . احتمل وعاد بنفسه من « الصديق الجيد » ولكنه تخاصم في اليوم التالي مع أحد المراقبين فنظفوه بطلقة . والقوا جثته في النهر . وكانوا قد القوا لوريتو الميرون في النهر، وهو لم يمت بالسوط وانما باللطمة التي استضافه بها هاري واي فور وصوله .

كان النهر قبراً جميلا ـ فهو ارجوحة خضراء هادئة . يتقبل أبناءه الموتى ويحملهم دون تذمر على ذراعيه المائيتين اللتين ارجحتاهم صغاراً .. ثم يستدعي أسماك البيرانيا المفترسة كي لا يفنى المسافرون دون جدوى .

لم تكن النساء أحسن حالا من الرجال . كان ايولوخيو بينايو ـ الخلاسي

الفاجر يعيش وحده في البيت الأبيض فيما مضى . وثمة الآن في اوغاغواسو قطيع كامل من التيوس البرية . وهم بحاجة الى المتعة فكانوا يشبعون حاجتهم بالحسنى او بالسوء .

كـان الثور الأحمر يغتصب الفتيـات ثـم يرميهن الى الآخرين حـين يعافهن . وكانت الولائم تقام بكثرة في أوغاغواسـو . يطوف الزبانيـة بالاكواخ ويجـرون النساء . فاذا كن قليلات ، واحدة أو اثنتين ، توجب عليهمـا امتاع شرذمة من الرجال الذين ألهبتهم نيران الخمر السائلة ، وخمـود شعلـة الاستمتاع ، وسط الصرخات ورنين القيثارات والغناء الابح وتهاتف السكارى .

تبخرت الرغبة في الاضراب سريعاً . بقيت كلمات سولانو زوخاس دون أصداء ، ما عادوا يريدون الاصغاء . وجوه كثوى هاري واي تلقي نظرات بومة مترصدة من نوافذ أوغاغواسو . واحس الناس انهم ملاحقون حتى في أفكارهم .

وتقول القلة ممن بقي لهم بعض من أمل .

ــ أي اضراب يا سولانو ! الأحسن أن نشغل المعمل ثم نهرب الى الغابة .
وكان ثمة مخبرون . ولقد أسلم أحدهم سولانو .

جهد الثور الأحمر في البداية ليعرف خطة الاضراب بالوعيـد . كان سولانو أبكم هادئاً . حاولوا تحطيمـه بالقبضات والرفـسات . بصق سولانو دماً . بصق اثنتـين أو ثلاثة من أسنانه ، ولكنـه بقي أبكـم وهادئاً وقـد ظللت الزرقة وجهـه بأكملـه .

وأصدر السيد أوامره حينئذ :
ــ خذوه الى السلم ودوسوه جيداً .

ربطوه الى « الصديق الجيد » وشرعوا يسوطونـه . حضر هاري واي العمليـة بنفسه . الزنجي وذو الفم الارنبي يتناوبان الضرب على ظهـر سولانو ويتباريان في القوة والقسـوة .

قال القصير للزنجي بصوت خافت قبل أن يشرعا بالضرب :

ـ أراهن بعشرة بيزوات على ان هـذا سيقرفص بعد السوط الأربعين ٠

قال الزنجي :

ـ لن نستطيع سوية رمي هذا بأقل من مئة ٠

وانهال السوطان ٠خمسة ، عشرة ،خمسة عشر ،عشرون ٠ الزنجي فالقصير٠٠ القصير فالزنجي ، خمسة وعشرون ، ثلاثـون ٠٠٠ الزنجي فالقصير ٠٠٠ القصير فالزنجي ٠

وتندفع أثر كل ضربـة نافورة حمراء صغيرة تلتمع في الشمس ٠ كل ظهـر سولانو مبلل بعصير أحمر غامق مثل ثمرة ناضجـة ينقرهـا طائران نهمان ، دون كلل ، نقرات موقعة ٠ ظل سولانو أبكم ٠ لقد دميت شفتاه أيضا لشدة ما أجهدهما على الصمت ، اما عيناه فكانتا مضببتين بالصرخات المكتومة ٠ وكـان هذا الصمت أشد خطراً من وقع السياط ٠

ويصرخ هاري واي

ـ المزيد ! المزيد ! بمزيد من القوة ! قلت لك أيها التعس ان كن من المضربين! المزيد ! المزيد !

خمسة وثلاثون ، أربعون ، خمسة وأربعون ، خمسون ٠٠ الزنجي فالقصير ٠٠ القصير فالزنجي ٠٠

ولقد تعبا ٠٠ القصـير يتنفس بمشقة ، وبمشقـة يتنفس الزنجي ٠ يرفعان السوطين ويمسحان عرق جبينهما بكميهما ويتلطخ وجهاهما بالدم يرفعان السوطـين ويمسحان عرق جبينيهما بكميهمـــا ويتلطخ وجهاهما بالدم ٠ وكان الثور الاحمر يلهث أيضا ولكن ليس تعبا وانما بسبب من انفعاله السادي ٠

لم يحرز الزنجي ولا القصير حزر هذه المرة ٠ فقد وقع سولانو بعد مئة وعشر ضربات وتدلى مثل خرقة على « الصديق الجيد » ٠

ظل دخان المعمل يلوث السماء بالسخام · الحوصلة الحمراء تنبض · وثمة وليمة في المساء نفسه في اوغاغواسو ·

لم يكن ثمة أحد في الصباح على السلم · أطلقت أياد مجهولة سولانو تحت جنح الظلام ونقلته في قارب عبر النهر · ولو لم ينم زبانية هاري واي السكارى كالموتى لسمعوا وقع مجاذيف صيادي الكاربيتشو التي كانت تجذف برفق ·

النهارات تظلم على مهل · اعترى عمال المعمل قنوط لا يطاق ، راح يتدفق كالنهر العرم ·

وقرروا تدمير المعمل · لم تمل الشجاعة قرارهم هذا وانما أملاه الخوف · صار الناس كالمجانين بفعل الخوف والالم القانط ، كانوا كالمسممين ، جافين حتى كأنهم لم يشربوا طوال ذلك الوقت سوى المرارة وعصير الاعشاب السامة ·

اقترح اليبيو تشامورو :

ــ فلنحرقه !

ــ أجل ، أجل ، فلندمره ! ــ أيده سيكوندينو اورتيغوسا وبين كريستالدو وميغيل بينيتيس وعشرون شخصا آخرين ــ كلهم من الفتيان الشجعان المستعدين للموت اذا اقتضى الامر في سبيل تحطيم سلطة الثور الاحمر ·

عقد اختفاء سولانو روخاس الامور · ولكنهم حسبوه ميتا ·

نقل أحد الحطابين نبأ وجود سولانو حياً عند الصيادين ·

اقترح بيلين كريستالدو :

ــ فلنستدعه ·

ذكرهم سيكو اورتيغوسا :

ــ هو يريد اضرابا لا حريقا

ورغم ذلك ، ارسلوا الحطاب نفسه ليبلغه قرارهم ·

* * *

اندفع سولانو روخاس في الليلة المحددة لاشعال الحريق عبر النهر مـــع بعض الصيادين ـ أولئك الذين حلوا وثاقه عن سلم التعذيب وانقذوا حياته. كان لايزال ضعيفا ، ولكنه يحس انه قوي داخليا ومدعوم .

اقتربوا من باسو ، بلغت مسامعهم طلقات نارية من صوب المعمل . نزلوا على الضفة وتسلقوا السفح متقدمين بحذر عبر الغابة حيث كان ظلام الليل أشد قتاماً . تكرر اطلاق النار وعرف سولانو أصوات مسدسات ورشيشات هاري واي ومراقبيه. تلوى قلبه بتأثير حدس قاتم .

حين وصلوا الى مكان مستو امام المعمل رأى سولانو أن ما يخشاه قد حدث ـ كان رفاقه محاصرين بين كوام من الحطب تحيط بالقسم الخلفي من المعمل على شكل نصف دائرة واسع . لقد همس أحدهم لهاري واي حتما بخطة الاحـراق فتركهم يدخلون حتى آخرهم الى المصيدة وها هو الآن يصطادهم كالفئران .

أمعن سولانو روخاس النظر في الظلام . ثمة مخرج واحد ـ انه الأخير ، وهو نتيجة للقنوط . هو مجازفة ولكن لا مفر من المغامرة .

ـ فلنسر أيها الفتيان ـ همس للصيادين وعادوا من جديد الى الدغل الكثيف.

ظلام قاتم كأجنحة خفافيش ضخمة يغطي المكان الذي على شكل حدوة والذي يقع ما بين مؤخرة المعمل واكوام الحطب . تلفع الرجال بهذا المعطف الدبق الحقود وجهدوا في الاختفاء . ثمة بعض اللحظات أيضاً .

شق الظلام من عدة أماكن اطلاق المراقبين في وقت واحد وكأنه السنة سريعـة صفراء حادة . توقف الاطلاق وانبثق ثانية ـ سفافيد فسفورية مدوية.رسم البريق والدوي حدود المصيدة . زد المستخدمونببعض الطلقاتمن مخابئهم. الييو تشامورو يشد بيده على مسدسه الوحيد « سميث وستن » الذي استلته أخته من أحد المراقبين أثناء احدى الولائم في أوغاغواسو.الييو يرمي بتدقيق مستهدفا الاشباح التي ترسل رشات نارية صفراء . أطلق خمس مرات ثم قال :

ـ لدي رصاصة وحيدة ٠

قال سيكو اورتيغوسا وفي صوته رنة اذعان :

ـ دمها للنهاية ، لتكن مـــن أجلك ٠ لم استطع انقاذ أختي ولكنني سوف انقذك ٠

أراد أحدهم أن يمحو ملامح القنوط. فتداخل صوته مع صوت سيكو :

ـ اتتذكرون سيمون بونافي ؟ تمر خمسة كلاب من بين ساقيه ـ كما كانتا ملتويتين ٠

ضحكوا ٠

هتف بيلين كريستالدو مكملا التذكريات عن السيد الاول ٠

ـ وحين يستنشق اصبعيه اللذين يدسهما في دكانه ؟ حسبه ذلك ٠ فلمـــاذا الانفاق على النساء ؟

وضحكوا ٠ كانوا عشرين مستخدما محكومين بالموت المحقق يمتعون لحظاتهم الأخيرة بمزاح مرح وسخرية هادئة قانطة ٠

ظلت رصاصات هاري واي تقفز عن جذوع الأشجار مرسلة فحيحا جافا ٠ ليس لديهم ذكريات حول الاميركي فكانوا يصرخون بغضب بارد واحتقار :

ـ الثور الاحمر !

ـ العجل القذر !

بيو ـ و ـ و ! بيو ـ و ـ و ٠

ان كثرة علائم الطلقات بأكوام الحطب أشبه باغارة حقيقية لبنات عرس خفية ٠ تأوه اثنان أو ثلاثة بخفوت ٠ كانوا قد فكروا بالاستسلام حـين رأوا فجأة خطوط الاطلاق الفوسفورية اندلاع شعل مدخنة عند منعطف النهر ٠

همس صوت وراء قطع الخشب :

ـ انظروا الى هناك !

سأل ميغيل بينيتيس بصوته الطفلي الدقيق :

ـ وماذا يمكن أن يكون ؟

قال اليبيو متنهدا :

ـ نيران سان خوان · نراها للمرة الاخيرة ····

قال سيكو مشككا :

ـ وأي عيد لسان خوانخلال تشرين الاول ! العيد خلال حزيران · لا ، ليس هذا عيدا ·

علا الصراخ · صارت الرؤية واضحة · لا ، لم تكن نيران سان خوان · اوغاغواسو يشتعل · انطلقت صرخة راعشة من صدور الجميع · فك المراقبون حصارهم لأكوام الحطب وانطلقوا نحو أوغاغواسو · استقبلهم مطر من الطلقات فسقط بعضهم · لم يعرف الاخرون ماذا يفعلون · سمع جئير هاري واي الاخن وهو يحث المرتزقة على الصمود ·

تسلل المطوقون من وراء قطع الحطب · لم يتجاسروا على الانتصاب فانطلقوا زحفا خلال العشب الكثيف ·

حين نجح أوائلهم في الوصول الى اوغاغواسو لاح أمامهم مشهد مدهش · انجلى كل شيء بسرعة مذهلة وكان ذلك شيئا لا يفسر وغير واقعي ، حتى انه ليشبه الحلم · ولكنه لم يكن حلماً ·

أوغاغواسو يشتعل وسط حزام البراكات الخشبية ويضيء الليل مثل مشعل ضخم ·

أمام سولانو روخاس وثلاثين من الصياديين المسلحين برشيشات شمايزر والمسدسات يركع هاري واي على ركبتيه ويرجو الرحمة · يطلب الرحمة مختنقا ،

من رجال النهر الأحرار ، ويرجو العبد الذي أمر قبل حوالي شهـر بأن يجلـد حتى الموت • يستجدي الرحمة ، لأنه هو الاخر لا يريد أن يموت• يبرز من خلال قميصه الممزق المخطط بخطوط حمراء شعر صدره الصديء • سرواله الخاكي القصير وبداه وجزمته الحمراء ذات الشريط ملطخة بالوحل والدم • يتمدد حوله المراقبون القتلى• المنمش الطويل والقصير ذو الفم الارنبي قد تمرغ أنفاهما بالتراب قرب سيدهما •

وتوافد باقي السكان زرافات • واجتمع حشد كبير حول الحريق •

الثور الاحمر ينشج ممددا على الارض منسحقا مغلوبا على أمره :

ــ لا تقتلوني ! لا تقتلوني ! أنا مواطن أجنبي ! أعدكم بتسوية جميع الامور ! لا تقتلوني !

ــ انهض ! ــ أمره سولانو روخاس بنبرة حاسمة ثابتة • كان صوته مثل ارادة جميع الاحياء والموتى يدوي قويا بين فحيح النيران •

نهض هاري واي متمهلا مترددا • بدا جسده متهالكا وكأنه بدون عظام •

اقترب سولانو من احدى البراكات المشتعلة وفتـح البـاب بأخمص الرشاش • أمره ثانية بحزم :

ــ تعال الى هنا •

خطا هاري واي خطوة وتوقف • لم يفهم الا اللحظة ما أعدوا له • صرخ من جديد ، تلوى مثل كلب مضروب • دفعه صيادان بأخمصين ، وكأنه كاربينتشو جريح في الماء ، وظلا يدفعانه رغم صرخاته ورغم مقاومته القانطة ورعبه الجنوني وتوقه الى الحياة • ظلا يدفعانه الى أن القياه في المصيدة المشتعلة •

أغلق سولانو الباب ودقره بالرشاش • صمت الجميع ليتمثلوا قصاص هاري واي غير المرئي الذي يلتهمه اللهب على مهل ، لقد غرقت الصرخات والضربات على الالواح بين خشيش النيران المتقدة ثم وهنت وتلاشت وانتشرت في الهواء رائحـــة اللحم المحترق •

كانت فتاة بين الصيادين المحيطين بسولانو · حدقت الى البيت المشتعل · التمعت على الوجه الصغير اللطيف عينان زرقاوان دامعتان · كان جسدها رغم الثياب البالية يبدو رشيقا قويا وكأنه مقدود من نحاس · يبدو شعرها وكأنه مرشوش بغبار قمري - كالسكر · لم تكن تحمل سلاحا ولكن يديها ملطختان بالسخام ، فقد أسهمت في احراق اوغاغواسو الذي استحال الان الى ركام محروق غارقة في دوائر من الدخان والذكريات ·

ولهذا يصدح اكورديون سولانو مندفعا قتاليا في باسو ·

في معسكر سروليون
واحد ، اثنان ، ثلاثة
سوف يجتمع من جديد
لواء الشجعان
النفير يدوي
فانهضوا أيها الفتيان ·

حل بعد الانطلاق عبر النهر طقس لطيف رائع لا يوصف · ولكن هذا لا يمكن أن يستمر زمناً طويلا · كان الفرح بعد كابوس الهول مجرد نفحة من عبق ·

بدأ عمال المعمل الجولة التالية لحسابهم · لقد نفذوا الحكم العادل بأيديهم وصفيت الحسابات ·

وضع المستخدمون مهمة ادارية تشمل المهندسين · وقد شرع الجميع يعملون، العمال في المعمل ، والحصادون في الحقول والحطابون في الغابة وسائقوا العربات على الدروب · لقد أسهم الجميع في العمل بما فيهم النساء والشيوخ والاطفال ·

راحوا يعملون ليل نهار دون كلل · عملوا برغبة اذ ادركوا أن العمل يكون مريحا وممتعا حين لا يكون ملطخا بالخوف والبغضاء ، وحين يعمل كل واحد بين أصدقاء ورفاق ·

لم يصدقوا أن المعمل سيبقى لهم الى الابد · ولكنهم أرادوا أن يعيدوه نظيفا

بعملهم ليكون مكانا بالناس الذين يعيشون من عملهم وليس مكانا للقصاص والقسوة غير الانسانية ·

قال سولانو روخاس انه بمقدورهم أن يضعوا أسساً محـددة · انتخبوا ممثلين عنهم وأوفدوهم الى مستوطنات أخرى في الجنوب والى العاصمة ·

لم يعد الموفدون ولم ينجح المستخدمون في اكمـال الجولة · فبعد اسبوع على بداية عيد العمل الأخوي هذا طلع الفجر على المعمل وهو محاط بكتيبتين حكوميتين جاءتا لتنتقما بالموت للاجنبي · كانتا مسلحتين بالبواريد الآلية والرشاشات ·

أرسل العمال نوابأعنهم· أعدموا رمياً بالرصاص ·تمترسوا حينئذ في المعمل· بدأت الرشاشات تعمل وسقطت أولى القنابل على البناية ·

استسلم المحاصرون هذه المرة تلافيا لوقوع المزيد من القتلى · قادت الكتيبتان المعتقلين مقيدين بالاسلاك · كان بينهم سولانو روخاس وقـد أصيب برصاصة في كتفه ·

عاد تيبيكواري ديل غوايرا الى النقطة التي بدأ منها · ولكن الخضرة التي كانت في الجوار سابقا استحالت الى بقايا متفحمة · ثمة عدة جثث منتفخة تتفسخ على الحاجز في العراء · وتطير الغربان في الهواء الجاف الحار بدلا من دخان المعمل·

لقد انغلقت الدائرة وبدأ كل شيء من جديد ·

بدأ السجناء يعودون واحدا اثر آخر · ميغيل بيتيس أول مـن رجع ثم سيكو أورتيغوسا ثم بيلين كريستالدو وأخيرا البيبيو تشامورو بقي سولانو روخاس في السجن ظل خمسة عشر عاما · ثم أطلقوا سراحه · عاد بذكريات يعلوها اثر جرح بسيف· ولكنه دخل الى سجن عينيه بدلا من الدخول الى الحرية ·

عاد أشبه بالظل، وكأنه خارج من قبر · ظل هو باطنا وظاهرا· شريطوف في الاودية · ثم أعانه الصيادون على اقامة كوخ على ضفة النهر الاخرى وعلى صنع عوامة · وقد أهداه أحد الرعاة اكورديونا ·

شعر سولانو انه بخير في الوادي المواجه لاطلال اوغاغواسو · هنا ناضل وهنا أحب · انه بأمس الحاجة الى أن يكون هنا قرب طريق المياه الذي هو طريقه · اعتاد سمعه على تمييز وقع خطى الصيادين وتمييز الزورق البدائي الاسود الذي تنطلق به الفتاة في النهر صعدا محدقة الى الأعلى الى كوخه هو صاحب الزورق ·

انها اياسي ماوروتي

لقد انبثق اسم باسومن هذه العذوبة الشجيةالمكنونة ، التي يحولها اكورديون الاعمى الى موسيقا :

اياسي ماوروتي
أيتها القمر الغالي الابيض
لقد تركتني
ونايت بعينيك الناشيتين ··

استقبل سولانو ثلاث مرات نيران صان خوان على النهر · لا يزال الصيادون محافظين على هذا الطقس الموغل في القدم · يقودون زوارقهم البدائية كي تلفحها نيران القديس ويصبح الصيد وفيرا ·

يبقى سولانو على طرف المنحدر نفسه ليشعر بهمعن قربوهم يعبرون، يحييهم باكورديونه ويجيبونه بصيحات مرحة · وحين تبصرها عينا القلب الناريتان تعتريه حميا خاصة · يكف عن العزف وتندى عيناه الخامدتان · يتراءى له المشهد في كل قطرة ندى وتلتمع الذكرى بلون الجمر ·

انزلق سولانو ، في المرة الأخيرة ، على المنحدر الرملي وسقط في الخليج حيث يبقي عوامته ويغسل ثيابه الممزقة ويقدم المياه للشرب ·

اخرجوه من هناك · بحثوا عنهطوال الليل بالعصي وحراب الصيد على أضواء النيران · أخرجوه ملفوفا بالجذور، وقد سودت المياه يديه وكانت وكأنها تشدهبقوة الى أحضانها دون أن ترغب في مفارقته ·

وضع الصيادون جثمان سولانو في العوامة · قطعوا الرباط الذي يشدها الى الضفة ودفعوها في النهر نزولا بين جزر النيران المتقدة الصغيرة العائمة ·

تجلس أياسي ماوروتي دون حركة على العوامة قرب الميت ·

ولا تزال تسمع في باسو في بعض الاماسي موسيقا اكورديون وهمي · انها لا تسمع دائما وانما فقط حين يكون الطقس موشكا على التحول نحو الاسوأ واذ يكون كل شيء هادئا ساكنا فوق النهر ·

يقول السكان المحليون حينذاك وهم يصيخون السمع

ـ حذار ! شهب عاصفة

ـ اكورديون سولانو يعزف ·

ويعتقد الناس ان باسو أياسي ماوروتي مكان مسحور وان سولانو يطوف أثناء هذه الليالي كالشبح · انهم لا يخافونه وانما يقدسونه لأنهم يحسون أن روح صاحب الزورق الأعمى تحرسهم ·

يقف هناك ، عند منعطف النهر حارسا أعمى لا تراه عين ولا يستطيع أحد خداعه لانه يرى كل شيء ·

يقف وينتظر · وليس ثمة ما هو أقوى وأبقى ممن يقف ميتا في موقعه وينتظر·

○—●—○

حادثة في مطعم

قصة : فاسيلي شوكشين
ترجمة : عمر موسى

في مطعم كبير يقع في مدينة (ن) جلس عجوز ضئيل الجسم ذو راس لطيفة صغير اصلع .. كان يتمتع بطلعة واضحة شديدة التأثير . اتخذ مكانه وراح يحدق من النافذة بانتظار ان تقدم له وجبة الطعام .

وسمع صوتاً قوياً يأتيه من الخلف متسائلاً :

ـ « هل يجلس هنا احد ايها الجد ..؟ »

فوجيء العجوز . ثم مالبث أن رفع راسه واجاب :

ـ « تفضل بالجلوس .. »

كان الذي جلس لتناول الطعام ، فتى ضخم الجثة يرتدي ملابس صوفية سميكة جداً ، تلتمع على سترته ازرار سوداء جديدة .. حدق العجوز في عيني الفتى مباشرة .. لقد كان النظر اليهما ممتعاً جداً .. كانتا واثقتين ثقة تامة .. وسأل الفتى ذو الجسم العملاق :

ـ ما رأيك ايها الجد .. هل نقتسم زجاجة ..؟ »

فابتسم العجوز برقة متناهية :

ـ « انت تعلم .. انا لا اشرب .. »

ـ « وكيف ذلك ..؟ »
ـ « الكهولة يا بني ... لقد اجتزت ريعان الشباب .. »

ـ اقبلت النادلة.. لم تستطع هي الأخرى ان تحول عينيها عن الفتى..

قال الفتى طالباً :

ـ « زجاجة من الفودكا ، وشيئاً من طعام يؤكل..هل لديكم كباب..؟»
ـ « يسمح بنصف كاس من الفودكا لكل فرد .. »

فاختار الفتى ، ثم تساءل :
ـ « وكيف ذلك ..؟ »
ـ « تستطيع ان تتناول نصف قدح فقط .. »
ـ « اتخدعينني ..؟ »
ـ « ماذا تعني ..؟ »
ـ « أريد اكثر من ذلك .. »

نظر العجوز الى رفيقه ، ولم يستطع ان يكبت ضحكة صامتة افلتت منه ، ثم خاطب النادلة :

ـ « يحق لي ان احتسي نصف قدح ايضا .. اليس كذلك ..؟ إذن أحضري له قدحاً كاملاً .. »

ـ « هذا ضد القانون . كباب .. ماذا ايضا ..؟ »

اطلت من عيني الفتى نظرة عاجزة .. ثم تطلع الى العجوز :
ـ « ما معنى هذا كله ..! اتراها تحاول خداعي ام ماذا ..؟ »

بدت على العجوز علائم الجد فاتجه الى النادلة مرة ثانية :

ـ « يجب ان تعلمي ان الاستثناء هو الذي يثبت القانون.. انك تلاحظين ضخامته .. فاي خير في نصف قدح بالنسبة له ..؟ »

فقالت بهدوء وهي ترمي الفتى بنظرة مرحة راضية :
ــ « ماذا ايضاً ..؟ »

فترجم نظرتها بطريقته الخاصة ، ثم سالها بحركة غاضبة من كتفيه الهائلتين :

ــ « حسناً .. اليس بامكانك ان تأتيني بقدح ونصف يا سيدتي الجميلة ..؟ »

ــ « كلا .. ليس بامكاني .. ماذا ايضاً ..؟ »

فأجاب باستياء :
ــ « مائة زجاجة من عصير الليمون .. »

اغلقت النادلة دفتر الطلبات بحدة ونزق .
ــ « فكر .. ثم نادني .. »
ومضت .

فقال وهو يرمقها تتوارى :
ــ « يسمون هذا شراباً .. هه ..! »

وعلق العجوز متعاطفاً مع الفتى وهو ينقر باصبعه البيضاء على قماش المائدة :

ــ « اتدري .. ان اسنان البيروقراطية لا تنهش في المؤسسات الرسمية وحسب .. بل ان راسها القبيح ينمو هنا ايضاً .. ولكن .. ورغم كل شيء فان رفض احد الرؤساء مقابلتك فلسوف تظن انه يرفض لانهماكه في العمل.. »

وسال الفتى :
ــ « ما الذي سنفعله الآن ..؟ »

ــ « لتشرب « كونياك » اذ ليس ثمة قيود على الكونياك .. »

ـ « اتقول الصدق ..؟ »
ـ « أجل اقول الصدق .. »
اوما الفتى الى النادلة فاقبلت :

ـ « لقد فكرت بالأمر .. اريد زجاجة من الكونياك وطبقين من الـ .. ايها الجد .. هل تتناول كباب ..؟ »

فهز العجوز راسه :
ـ « لقد طلبت قبل قليل .. »
ـ « طبقين من الكباب .. طبقين من السلطة من اي نوع ترغبين .. وفروجاً بصلصة التبغ « tobacco »[1] .

فصححت له خطاه بينما هي تدون الطلب :
ـ « تقصد صلصة التاباكا .. » tabaka »[2] .

فاخبرها :
ـ « اعلم ذلك .. لكنني امزح فقط .. »
ـ « اهذا كل شيء ..؟ »

ـ « اجل .. كل شيء .. »
مضت النادلة بالطلب . هز الفتى راسه وقال مؤنباً :

ـ « ها هي البيروقراطية الحقيقية تزدهر .. اليس كذلك ؟.. إن الكونياك اقوى من الفودكا .. الا يعرفون ذلك .. ام ماذا ؟.. »

فشرح العجوز :
ـ « الكونياك اغلى ثمناً من الفودكا .. وتلك هي النقطة الهامة .. يبدو انك غريب عن البلدة .. »

---

١ ـ Tobacco : التبغ .
٢ ـ Tabaka : صلصلة حرّيفة .

ـ « هذا صحيح .. اتيت الى هنا للحصول على بعض قطع الغيار من اجل الجرار .. واليوم حصلت عليها .. فاردت ان اشرب نخب ذلك .. »

ـ « هل أنت من سيبيريا ..؟ »
ـ « من الأورال .. »
ابتسم العجوز :

ـ « حدست ذلك .. فقد كنت في سيبيريا .. ولذلك استطيع ان اميز السيبيري من غيره .. »

ـ « اين كنت بالضبط ؟ »
ـ « في فلاديفوستك .. »
ـ « لم اذهب الى هناك ابداً .. »

وفجأة صدحت الموسيقى ، فنظر الفتى نحو الفرقة الموسيقية ، وظهرت فتاة قرب الميكروفون مكتسية ثوباً براقاً ، واخذت تبسم لجمهور الزبائن ، فأعرض عنها بلا اكتراث .. اذ لم يكن مغرماً بهذا النوع من الفتيات .

انطلقت الفتاة تغني بصوت عميق خفيض مدهش ، حتى ان الفتى استدار مرة ثانية لكي يلقي نظرة اليها .. كانت تغني عن شخص ما « رائع ، لكنه لم يهتد الى طريقي بعد .. » كانت تغني باسلوب غريب كما لو انها تروي قصة بطريقة غنائية .. وشرعت تهز ردفيها في حركة منسجمة مع الحان الموسيقى ، فحدق فيها مسحوراً .. وهبت روائح شهية من داخل المطبخ ، وغرق الضجيج والصخب في الموسيقى والغناء .. وغدا جو المطعم المزدان بالزهور الصناعية مشبعا بدفء وراحة حقيقيين .. وشعر الفتى بالفتاة تزداد فتنة اكثر فاكثر .. ورمق العجوز الذي كان يجلس مولياً ظهره للفرقة الموسيقية ، وقد احدودب ، وهو يحدق بالطاولة بانشداه فاغر الفم وشفته السفلى متدلية .

ـ « انها هنا .. » قال العجوز بهدوء .. وهو يشعر بنظرات الفتى

تسقط عليه ، ثم ضحك بعصبية كما لو انه يعتذر لما ابداه من انفعال لدى سماعه الاغنية .. ومضت الفتاة تغني وتبتسم ، وتراءى في ابتسامتها شيء ما لم يكن حقيقياً .. بمجمله .. ولكن .. سيان الامر ، فقد كانت جميلة واثقة من نفسها .. ضغط الفتى راسه براحتي كفيه وحدق فيها ؛ فلما انهت غناءها علق قائلاً :

ــ « يا لها من فتنة ..! »

وافضى العجوز بسره قائلاً :

ــ « اتقاضى راتباً تقاعدياً ضئيلاً .. انفقه كله بالتردد على هذا المكان والاستماع اليها وهي تغني .. اتحبها انت ايضاً ..؟ »

ــ « اجل .. احبها .. »

ــ « سوف تلاحظ انها ليست سوى طفلة .. رغم تبرجها واستعمالها الصبغة الزرقاء على جفني عينيها .. ورغم انها تعلمت كيف توزع البسمات بعذوبة .. ليست سوى طفلة .. طفلة حقيقية .. وكثيراً ما طفحت عيناي بالدموع من اجلها .. »

ــ « هل ستغني مرة ثانية ..! »

ــ « ستستمر في الغناء حتى الحادية عشرة الا الربع .. »

احضرت النادلة الكونياك والسلطة والكباب للفتى . وطبقاً من الارز للعجوز ، واقترح الفتى على العجوز :

ــ « فلنشرب ايها الجد .. »

نظر العجوز الى الزجاجة وتأملها لحظة ، ثم لوح بيديه قائلاً :

ــ « صب لي قطرة واحدة فقط في قعر الكأس .. »

ابتسم الفتى ، ثم صب للعجوز نصف كأس صغيرة ، وملأ لنفسه كأساً

كبيرة اتى عليها كلهـا في جرعة واحـدة دون ان يتريث لالتقاط انفاسـه ، فهتف العجوز :

ــ « يا الهي ..! »
ــ « ماذا هنالك ؟ »
ــ « شيء عجيب حقـاً ..! »
ــ « ان رائحتها قوية ، لذلك لا اتمهل في احتسائها .. »
ــ « اني اغبطك .. ما هي طبيعـة عملك ؟ »
ــ « قائد مجموعة تعمل في قطـع الاخشاب .. »

ــ « اوه .. شد ما أغبطك .. بشرفي ..! وانت تنطلق كالنسر من تلك الاجواء الطلقة الفسيحة .. لا شك انك تشعر بالضيق هنا .. الضيق ..

انا نفسي اشعر بالضيق .. »

كان الفتى يصغي وهو يلتهم طعامه ، ثم حث العجوز هاتفاً :
ــ « هيا .. اشرب ايهـا الجد .. اشرب .. »

جرع العجوز ما بكأسه ثم التهم بسرعة قليلاً مـن الارز :
ــ لم اشرب منذ زمن طويل ... منذ ثلاثة اعوام تقريباً .. »

فسأله الفتى :
ــ « هل تتمتعون بحرية التصرف ..؟ »

فهز العجوز براسه .
ــ « ان هذا لمؤسف حقـاً .. »

ــ « آه .. كلا .. ليس الى هذه الدرجة .. وانا لا اشغل بالي في ذلك في بعض الاحيـان .. »

ثم اشار براسه جهة الفرقة الموسيقية حيث كانت الفتاة تغني قبل قليل:

ـ « انها .. انها بمثابة ابنــة لي .. وانا احبها كما لو انها ابنتي .. وانني لاشعر بالخوف عليها لما قد يحل بهــا .. »

ـ « وهل تعرفك هي ؟.. »
ـ « وكيف لها ان تعرفني ..؟ »
ـ « انها مغنية بارعة ، ولكنني امقت غناءهم عندما يزعقون .. »
ـ « وانا ايضــا .. »

تراجع الفتى بجسمه الضخم عن المائدة ، ثم ربت براحة كفه على بطنه محدثاً صوتاً مسموعاً وما لبث ان تنهد من الاعماق :

ـ « لم يكن الكبــاب مدخناً كمــا يجب .. »
وقال العجوز بأسى :

ـ « انت الآن على قمة الحياة .. لم استطع ان اكون مثلــك في يوم مــن الايام .. »

شرع اعضاء الفرقة الموسيقية يهيئون انفسهم للعزف على آلاتهــم مرة اخرى .. وظهرت الفتاة مرة ثانية ايضا وجعلت تعدل من وضع الميكروفون ، واشعل الفتى سيجارة ثم قال :

ـ « ها هي ذي ... » وكان ينظر نحوها .. استدار العجوز والقى على الفتاة نظرة وانيــة :

ـ « لقــد ضعف بصري .. وحتى نظارتي لم يعــد بامكانها ان تعيد الصحة الي .. ونادراً ما اضعهــا .. »

انطلقت الفتــاة تغني .. غنت كيف انهــا عشقت فتى صموتاً .. لكن صمته بحد ذاته كان يدفع بها الى الجنون .. بيد انها عشقته .. اصغى الفتى وهو يبتسم متفكراً ، وغرق العجــوز في ذهوله مــن جديد ، فغامت عيناه وتلاشت منهما المعاني بينما تدلت شفته الســفلى .

وشرعت الفتاة تروي بطريقة فكهة كيف انها عشقت ذلك الاحمق الذي عجز عن النطق باية كلمـة سوى « آه .. آه .. » و « اوه .. وه .. » . كانت اغنية مرحة لطيفة ، وبدت الفتاة كما لو انها فعلا تتكلم عـن نفسـها ، لانها غنت بصدق وحرارة ، ومما زاد من روعتها وحرارتها انها لم تخش ان ترويها للناس ... وتدفق من اعماق قلب الفتى فرح دافىء وغريب ، فبهتت كل مشـاكل الحياة ومنغصاتها ثم تلاشت متبددة في اقاصي الوجود النائية ... ولم يبق سوى صوت الفتاة وهي تغني .. فغمرته السـعادة حتى شعر انه بات في امكانه ان يلج مملكة العدم بخطوات هائلة .. ملا الفتى قدحا مـن الكونياك لرفيقه وملأ لنفسـه قدحا آخر قائلا :

ــ « فلنشرب قطرة اخرى ايهـا الجد .. »

شرب العجوز كأسه بانصياع تام ، ثم هز راسه قائلا :

ــ « ما الذي سيحل بي ..! »

ــ « ستكون على احسـن حال .. » ثم اقو قائلا :

ــ « انا ايضا اشفق عليها.. انها تغنيهنا لفلان وعلان من المخمورين..»

فاشار العجوز باصبع بيضاء نحو الفتى وهتف :

ــ « آه .. تزوجها .. خذها بعيداً .. الى مكان ما.. الى سيبيريا.. بامكانك ان تفعل ذلك .. »

فاعترض الفتى قائلاً :

ــ « انا متزوج . وهذا اول شيء .. والشيء الثاني هو هل ترغب هي حقا في الذهاب الى سيبيريا ؟ فكر في ذلك .. »

ــ « سوف تذهب معـك .. »

ــ « ليس مـن اللائق .. »

بدا بوضوح ان العجوز قد استاء الآن فمسـح فمه بمنديل متجعد ، ثم قذف به الى الطاولة وشرع يتحدث الى الفتى بلهجة استاذ منفعل :

ـ « لا تلق ابداً بالاحكام جزافاً .. انت تشاهد شخصاً ما بحاجة الى المعونة فاذهب ومد لهـا يد العون .. ولا تسأل .. خاصة وان الآلهة قـد منحتك هذه الفخامة والحيوية .. تأمل .. تأمل القوة التي تتمتع بها .. »

فاحتج الفتى مرة ثانيـة :

ـ « انا رجل متزوج .. ثم ما هذا الذي تفكر به ..! »

ـ « انا لا اتحدث عـن ذلك .. بل كنت اتكلم عن الاهداف والميول .. صب لي مزيداً من الخمر .. اني احس بسعادة رائعة .. »

ملأ الفتى كأساً كاملة للعجوز ، ثم صب لنفسه كأساً اخرى .. وبدأ العجوز حديثه قائلاً :

ـ « لقد ذكرتني برجل صالح .. هل .. هل تجيد الصراخ ..؟ »
ـ « ماذا تعني بالصـراخ ..؟ »

فحثـه العجـوز :
ـ « هيـا .. اصـرخ .. اصـرخ .. »

ـ « لـماذا ؟ »

ـ « اصـرخ وسوف اصغي .. »

ـ « سـوف يطردوننـا مـن المطعم .. »

ـ « هه .. فليذهبوا الى الجحيم .! ارجوك .. زمجر كما يزمجر الدب .. » وضـع العملاق كأسه على الطاولة ، ثم جذب نفساً عميقاً ملأ به رئتيه .. وزمجر.. توقف الرقص.. والتفتت الرؤوس نحوهما من كل طاولة وزاوية. نظر العجوز الى الفتى نظرة ملؤها الحب والاعجـاب :

ـ « كان مسـاعدي ، في احـدى المرات ، استاذاً للرسم .. له نفس طولك تقريبـاً .. اوه .. يا للزئير الذي كان يطلقه .. اصبح صياد نمور

فيما بعد .. أتعلم كيف يصيدون النمور ..؟ انهم يصرخون في وجوهها فتؤخذ على حين غرة وتقعي بلا حراك .. »

ظهرت المغنية فغنت اغنية اخرى لا يعرفونها .. ولم يستطع الفتى ، ولم يكن راغباً في معرفة كلماتها .. بل انه جلس واضعاً راسه بين راحتيه وجعل يصغي . ثم اقترح على العجوز قائلاً :

ـ فلنحملها ونهرب بها .. سوف تغني في مطعمنا .. »

فوافقه العجوز بحميـــة :

ـ « اجـل .. هيا .. سوف يظفر قلبي بالراحة والسكينة .. هيـا نهرب بهـا يا « ڤانيـا » » .

ـ « ان اسمي هو «سيمون» » .

ـ « سيان الامر .. هيا يا بني .. لننفذ كائنـاً بشرياً ..! »

اخضلت عينا الفتى بالدموع وهو يصغي الى العجوز ، ثم اطبقت قبضتاه العظيمتان على الطاولة وهتف به :

ـ « سوف تاتي معي انت ايضـاً .. »

ضرب العجوز بيده المعروقة على الطاولة قائلاً :

ـ « من .. انا .. اجل .. اجل سآتي .. وسوف نخلق منها مغنية رائعة .. فانا خبير في فـن الغنـاء .. »

اقبلت النادلة الى طاولتهما :

ـ « ايها الرفاق .. ما الذي يجري هنا ..؟ ما هذا الصراخ ..! انتم لستم في الغابة الآن .. اليس كذلك ..! »

فاجاب الفتى :

ـ « الزمي الصمت .. اننا نفهم كل شيء .. »

فتوجهت بالخطاب الى العجوز :

ـ « هل لكما ان تهـدآ الآن ؟ »

فاجاب العجـوز :

ـ « الزمي الصمت ، واهتمي بشؤونك الخاصة .. »

ثمالـمعت عيناها دهشة لم مضت .

ـ « لطالما رغبت طيلة حياتي في أن اكون قوياً لكي اساعد الناس .. لكنني لم ابلغ غايتي .. لانني ضعيف .. »

فرد الفتى قائلاً :

ـ لا تبالي شيئا .. اترى هـذه ..؟ »

وعرض عليـه قبضته القوية :

ـ « لن تتعرض للسوء وانت معي .. استطيع ان اقضي على اي انسـان بمنتى السهولة .. »

ـ « آه .. اية حيـاة تافهة تلك التي احياها يا « فانيـا » .. ايـة حياة مقفرة قاحلة .. لم احب في حياتي كلها .. كنت خائفاً من الحب .. اجل .. كنت خائفاً من الحب .. »

ـ لـماذا ..؟ »

لكن العجوز لم يكن ليصغي اليه .. بل انه استرسل في حديثه قائلاً :

ـ « في احدى المرات صادفت فتاة مثل هذه .. كانت تغني هي الاخرى ايضاً .. وكان قلبي ينفطر من شدة الالم .. اعتدت أن اجلس واصغي مثلما اجلس الآن .. وكانت هي بحاجة الى العون ايضاً .. لكن الضباط كانوا هنا .. حدث هذا منذ زمن بعيد .. لقد كانوا هنا .. هؤلاء الشياطين الوسيمون .. اللعنـة .. »

وهز العجوز راسه ثم تابع :

ــ « كان من الافضل لو انني قمت بعمل ما .. اي عمل مهمـا يكن سخيفاً افضل من ان اكون مجرد سكير .. ربما كنت اكثر جراة .. انني لم اقترف اقل خطأ في حياتي .. لا .. لم اقترف اي عمل سخيف يا « ثانيا » وضرب العجوز بيده على صدره ، ورمشت عيناه الفارغتان مـن اي تعبير :

ــ « لم اقترف في حياتي اي عمل طائش او متهور .. هـل تصدق ذلك ..؟ »

ــ « وما وجه الخطأ في ذلك ..؟ »

ــ « لم ارتكب اساءة واحدة .. ان هذا لما يبعث في النفس الغثيان.. ان هذا لفظيع .. لقد ظننت رثاء الناس لي حبا .. وعندما وقعت في الحب شرعت افكر واجادل حتى فترت عاطفتي وتلاشى حماسي .. »

فعلق الفتى :

ــ « لقد شربت اكثر مما يجب ايها الجد .. تناول شيئاً من الطعام..»

ــ « انك لا تفهم ما اعني ، وهذا افضل .. اجل .. من الافضل للمرء الا يفهم مثل هذه الامور ..» .

وقال الفتى :

ــ « اذن سنذهب الى سيبيريا ..؟ »

ــ « اجل .. هيا بنا نمضي .. هل اشرب ما تبقى من خمر ..؟ »

فاجاب الفتى موافقـاً :

ــ « اجل .. اشرب .. »

انهى العجوز ما تبقى من الخمر ، ثم قذف بالكأس الى الارض فتناثرت الشظايا مصدرة صوتاً مجلجلاً ، ثم القى براسه على الطاولة وانفجر باكياً ..

اقبل الخدم والنادلة والبواب مسرعين اليهما ، فضيق الفتى عينيه وحدجهم بنظرة هادئة .. لقد كان على استعداد تام للدفاع عن العجوز .. بل انه تمنى ان يضطروه الى الدفاع عنـه ..

ـ « ماذا يجري هنـا ..؟

فلاحت نذر الوعيد في لهجة الفتى عندما قال :

ـ « لقد انتهى كل شيء .. نحن راحلان الى سيبيريا .. »

ـ « حسناً .. لماذا تتصرفون كقطاع الطرق اذن ..! »

ـ « لسنا بقطاع طرق.. بل نحن نستمع الى غناء هؤلاء الناس هنا..»

ونطق العجوز من خلال دموعه :

ـ « يا لها من مغنية فاشلة يا « ثانيا » ..! انها تغني بشكل بشع للغـاية .. بل ان صراخك لاجمل بكثير من غنائها .. ان في صراخك موهبة اكثر مما في غنائها .. انها لا تتقن الغناء ابداً .. ولكن .. ليس هـذا ما يهمني .. لا .. ليس هذا ما يهمني .. »

ـ « من الذي سيدفع ثمن الكأس ؟ »

فاجاب الفتى :

ـ « انا سادفـع .. »

ثم نظر الى العجوز بارتباك وحيرة وقـال :

ـ « سادفع ثمن كل شيء .. »

ـ وبينما كانت النادلة تعـد فاتورة الحساب للفتى ، كان العجوز قد اراح راسه الملتمعة بين يديه وجعل ينتحب بصمت وهـدوء :

ـ « آه .. ثانيـا .. يا وحشي العزيز .. ما اجمل صراخـك ..! ايها الصقر .. هيا بنا نطير الى غابة الصنوبر .. هيا بنا نطير الىسيبيريا!»

وسالت النادلة بهـدوء :
ـ « من يكون هذا الرجل .. هل تعرفه ..؟ »
ـ « انه .. »
وفكر الفتى لحظة ثم تابـع :

ـ « انه مفكر عظيم ، وقد احيل على التقاعد الآن .. »

فاطلت من عيني النادلة نظرة اشفاق على العجوز :
ـ « غالبا ما ياتي الى هنـا .. لم يكن يشرب اي شيء مـن قبل .. لكنه شرب اليوم .. عليك ان تخرج به من هنا والا هلك شر هلاك .. »

لم ينبس الفتى ببنت شـفة ، هب واقفاً ، ثـم قبض على ذراع العجوز وحمله الى الخارج .. واستسلم العجوز دون مقاومة .. لكنه سال :

ـ « الى اين نحن ذاهبان يا فانيـا ..؟ »
ـ « الى الفندق الذي اقيم فيه .. وغداً سنرحل الى سيبيريا » .

حرنت موظفة الفنـدق ورفضت السـماح للعجوز بالصعود الى غرفة الفتى .. كان الفتى يحمـل العجوز على كتفـه .. فاستدار نصف دورة نحـوها قائلاً :

ـ « ستجدين نقوداً في جيب سروالي .. خذي من المال ما ترينه ثمناً للفخ الذي اوقعتني به .. »

فناولته المفتاح بحنق وغيظ بالغين ثم قالت مهددة :
ـ « ستغادر هذا الفندق غداً .. »
ـ « غـداً .. سنرحل الى سيبيريا .. »
فتمتم العجوز قائلاً :

ـ « الى سيبيريا يا فانيـا .. اريد على الاقل ان اموت مثلما يموت البشر .. اتدري .. نحن لسنا بحاجة الى المفتاح .. اركل البـاب بقدمك

ركلة واحدة .. ارجوك .. اضربه ضربة عنيفة واحدة .. وسوف ندفع ثمنه فيمـا بعـد .. »
فهـدر الفتى :

ـ « هون عليك .. هون عليك ايها الجـد .. كيف فقدت السيطرة على نفسك ..! ـ ثمة مرسوم الآن ـ ويمكن أن يحكم على كل منا بخمسة عشر يوماً من جراء ذلك .. »
ـ « لا يفزعنك شيء .. »

فتح الفتى الباب بالمفتاح ، ومدد العجوز على السرير بكل عناية وحذر ، ثم نزع الحذاء من قدميه وهم في خلع السترة عنه ، فاحتج العجوز هاتفا :
ـ « ما من حاجة الى ذلك .. سأنام ، كما انا .. ليس ثمة ما آسف عليه .. ولست بحاجة لتبرير تصرفاتي .. لا وجود للدموع كما قالت حبيبتي « ايزنـين » .

ووافق الفتى قائلاً :
ـ « حسناً .. اخلد الى النوم .. »
ثم اطفأ المصباح واضطجع على اريكة طويلة .
لكن العجوز سأل :
ـ « انحن راحلان الى سيبيريا يا « فانيـا » ..؟
ـ « غداً .. اما اليوم فيجب ان نخلد للنوم .. »
ـ « لتنم اذن ... آه .. فانيا ... فانيا ... »
ـ « اخلد الى النوم ايها الجد .. »
في صباح اليوم التالي وجد الفتى رسالة موضوعة على الطاولة :
ـ « لن استطيع الذهاب معك الى سيبيريا يافانيا شكراً لك على كل شيء قدمته لي .. الوداع .. »
لم يعثر للعجوز على اثر في اي مكان .. لكنهم اخبروه انه غادر الفندق منذ الصباح الباكر .

دمى الهراوة

مسرحية : فديريكو غارثيا لوركا
ترجمة : توفيق الأسدي

مقدمة (١)

بقلم فرانثيسكو غارثيا لوركا
أخ المؤلف

الى جانب التراجيديات الثلاث التي نشرت سابقاً ، فان هـذا الكتاب الذي يحتوي على كوميديات وتراجيكوميديات يظهر بوضوح تنوع مسرح فديريكو غارثيا لوركا· انه تنوع يتراوح بين الفارس الشعري كما في « دمى الهراوة » والتراجيديا التخطيطية البالغة الواقعية كما في « منزل برناردا آلبا » ·

لم يستعمل غارثيا لوركا أشد التعابير الدرامية تطرفاً ضمن نطاق عمله المسرحي ولكنه كان يميل الى جمعها في المسرحية نفسها ـ التراجيديا والفارس مثلا·

١ ـ هذا الجزء الاول من المقدمة كتب لكل المسرحيات الخمس المنشورة في الكتاب الذي ترجمت عنه هذه المسرحية · والجزء الثاني من المقدمة كتب خصيصاً لمسرحية دمى الهراوة ولكن نظراً لأهمية الجزء الأول لنهج هذه المسرحية بالذات وجدت من الضروري ترجمتها للقارىء وهذه المقدمة مترجمة أيضاً عن الانكليزية · (المترجم)

في هذا المجال فان «غرام دون برلمبلين وبيليزا في الحديقة» (٢) تمثلـه خـير تمثيل ككاتب مسرحي ، فهو من ناحية قد طور فن الحواريات القصيرة والتي هـي ليست أكثر من مشاهد قصيرة ، ومن ناحية أخرى طور مسرحيات الشخصية الواحدة المكتملة النمو كمسرحية «دونا روزيتا العانس» والتي يتضمنها هذا الكتاب أيضاً .

هذه الاشكال المسرحية المكتملة والتي مارسها لوركا تتوازى بشكل مدهش مع الأشكال التي اتخذها شعره . وهي حقيقة تناقض الفكرة القائلة انه كان في الأصل شاعراً غنائياً شرع بشكل واع بتكييف عمله ليلائم الوسط المسرحي ، كما هو الحال مع شعراء مسرحيين آخرين معاصرين .

في مقدمة (التراجيديات الثلاث) أوضحنا أن أولى محاولات فديريكو المسرحية توافقت زمنياً مع أولى قصائده . وبمدخرات الطفولة المبكرة ، من حصالته الفخارية اشترى لوركا مسرح دمى صغيراً ـ وبما أنه لم تكن لديه اية تمثيليات لهذا المسرح أو للعرائس المسرحيـة التي كـانت في حوزة العائلـة فقد اخترع لها تمثيليـات إن كثيراً من العاب طفولته كانت ذات طبيعية مسرحية . كان يلبس أخاه وأخواتـه والخدم في بيتهم الذي في غرناطة ملابس أفراد العائلة الراشدين أثناء غيابهم ـ أو يلبسهم مناشف ليصبحوا شبيهين بالمور (٣) ويطلب منهم أن ينشدوا قصائد مسرحية أو يمثلوا أغان شعبية قديمة كان يحولهـا الى تمثيليات . في العاب الطفولـة تلك كان الخيال يتخذ سمة الواقع . وبنفس الوسيلـة كان الواقع يتخـذ مظهر الغموض السحري . وفيما بعد استمر هذا التحول . وهكذا ، ففي أعمال لوركا فالمسرحيات كانت نتاج رؤيا للحياة من النوع الذي يرى كل الأمور من خلال شروط مسرحية . وغالباً ما نرى نفس هذه الرؤيا في شعره .

لا يسمح لنا المجال هنا أن نعالج دوافع فديريكو غارثيـا لوركا ـ الفنـان ـ

---

٢ ـ قمت بترجمة هذه المسرحية ونشرتها في مجلة الموقف الأدبي عدد حزيران (١٩٧٤) (المترجم)
٣ ـ وهي الكلمة التي تطلق على الفاتحين المسلمين في الاندلس . (المترجم)

أو أن نحاول أن نقيم أعماله • بل بالأحرى سنأمل أن نلقي الضوء على بعض جذور عملية تطوره الابداعية • الجذور التي أنبتتها بالضرورة حساسيته الخاصة ومزاجه• اننا نجد صدقاً وأصالة في مسرحياته لأنها تطورت عبر فهمـه للمبادىء الأساسيـة للمسرح كنوع أدبي Genre محبوكة مع رؤيته للزمان والمكان ورؤيته للحياة •

وبخـلاف الشـعراء الذين شـرعوا بالكتابة للمسرح فـان فديريكو طور لغة للمسرح نضجت من خلال تطوره المزدوج ككاتب مسرحي وكشاعـر • وهذه اللغـة (أو أسلوبه بالاختصار) توحد الأشكال المتنوعة التي يستعملهـا وتجمـع أساليب متعارضة بغاية الوصول الى أهداف درامية حاذقة وذكية • وبسبب تنوعه هذا لايمكن تصنيف هذا الكتاب ببساطة على أنه « كوميديات » •

□ ● □

مقدمة لمسرحية
دمى الهراوة (١)

بعد وصوله مرحلة النضج وكانسان ـ كتب فديريكو غارثيا لوركا ثلاثة أعمال على الأقل لمسرح العرائس الاسباني التقليدي والشخصية الرئيسية فيه « دون كريستوبال » وهي نوع من البنش(٢) الخاص بشبه جزيرة ايبيريا(٣) • في السادس من كانون الثاني عام ١٩٢٣ وكان بعد في الرابعة والعشرين ، نظم فديريكو مع صديقه الأكبر منه سناً « دون مانويل دي فايا » عروضاً مسرحية في بيت غارثيا لوركا في غرناطة وذلك من اجل اخته « ايزابيل » التي كانت عندئذ فتاة صغيرة ولأجل صديقاتها • والسادس من كانون الثاني هو طبعاً عيد الغطاس أو الليلة الثانية عشرة التي احضر فيها الحكماء هدايا الى المسيح الحديث الولادة • في اسبانيا هذا العيد هو العيد الذي تقدم فيه الهدايا للأطفال •

في الفسحة الكائنة عند الباب العريض المؤدي من الردهة الامامية الى غرفة الجلوس والاستقبال الرئيسية نصب مسرح ، وكان النص الأساسي في برنامج الحفلة مسرحية من الكتاب المقدس عنوانها « الحكماء الثلاثة » • طليت جدران المسرح وخلفيته بمهارة فائقة اعتماداً على توضيحات من مخطوطة ترجع الى العصور الوسطى من مقتنيات جامعة غرناطة • اما الشخصيات (العرائس) التي صنعت من الورق المقوى الثقيل فقد طليت بالألوان وماء الذهب وكانت تدخل وتتحرك على مسالك خشبية وضعت على مستويات مختلفة ، كما كانت تحرك من الجوانب من قبل فديريكو نفسه واخته كونتشا واخوه فرانثيسكو واعضاء آخرون من اهل البيت الذين كانوا يتلون ابيات المسرحية • اختيرت الموسيقى ونظمت من قبل « دي فايا » من « الكانتيجاس » الخاص بملك من العصور الوسطى هو الفونسو العاشر (١٢٢١ ـ ٨٤) • كانت هناك اوركسترا من ثلاث آلات تتضمن كلارينت وعوداً وبيانو فيشاريا وقد الصق ورق هش على البيانو الضخم ليناسب الجو • وقد وصف كل هذا في نسخة من برنامج الحفلة وهي في حوزة غارثيا لوركا • وهي تظهر ان البند الأساسي في هذه الحفلة (يعني المسرحية) كان آخر بند فيها •

---

١ ـ الجزء الثاني من المقدمة (المترجم)

٢ ـ بنش : دمية ذات أنف معقوف حدباء الظهر وشخصية رئيسية في مسرحية العرائس المسماة « بنش وجودي » التي يتعارك فيها بنش هذا باستمرار مع زوجته جودي •

٣ ـ التي تضم اسبانيا والبرتغال (المترجم)

اول بند في البرنامج كان فصلا اضافيا Entremés من تاليف سر فانتس يدعى «الثرثاران» و « الفصل الاضافي » من المعالم الخاصة بالمسرح الاسباني ، وهو بمثابة مسرحية كوميدية قصيرة تقدم بين فصول مسرحية جادة ، كما كان عليه الامر في اكثر أنحاء اوروبا إبان عصر النهضة . ولكنه اتخذ في اسبانيا مزايا معينة ومحددة واسلوبا خاصا . وكما سنرى في الكتاب الثالث المتضمن مسرحيات لوركا والذي سينشر بالانكليزية ، فان فديريكو كتب مثل هذه الفصول . ان مسرحيتي « غرام دون برليمبلين » و « زوجة الاسكافي العجيبة » الواردتين في هذا الكتاب قد تاثرتا كلتاهما بخصائص (الفصل الاضافي) وباعمال سر فانتس المشابهة ايضا وهو الذي اضاف الى هذه الاعمال الظرف نفسه والعبقرية نفسها اللذين نراهما في اعماله الرئيسية . في تمثيليات سهرة الليلة الثانية عشرة) فان (الفصول الاضافية) والتي هي من تاليف سرفانتس قد مثلت من قبل عرائس تحرك باليد . ويمكن للمرء ان يتصور ان سر فانتس كان سيشعر بالسرور لو قيض له ان يرى هذا الابتكار ، لقد كان مولعا بالعرائس ، كما نرى في احد أروع فصول الجزء الثاني من «دون كيخوتة » وهو الفصل المسمى بـ (قصة مايز بدرو) والذي كان موضوع احدى روائع دي فايا الموسيقية . ان الخلفية الموسيقية لـ « الثرثاران » كانت مقطوعة « قصة جندي » من تاليف « سترافنسكي » ، موزعة على الكلارينت والكمان(١) والبيانو ، وكان « دون مانويل دي فايا » هو من عزف على البيانو .

اما البند الثاني من البرنامج فكان مسرحية للعرائس كتبها فديريكو نفسه وهي « الفتاة التي تسقي بنات الريحان » . وقد ضاعت مخطوطة هذه المسرحية . لقد صرح فديريكو انها « مبنية على حكاية شعبية» ولكن لم يتذكر أي شخص انه سمع تلك الحكاية سابقا ، ويبدو من الممكن انه اراد ان يجعل المسرحية تبدو اكثر مدعاة للتصديق من قبل جمهوره الصغير السن . وقد عزفت الاوركسترا الصغيرة خلال هذه المسرحية قطعا موسيقية لكل من « البينيز » و « دوبوسي » و « ورافل » .

خلال تغير الديكورات بين المسرحيات الثلاث ، ظهرت على الخشبة الصغيرة شخصية دون كريستوبال التقليدية التي كان يوجه كلامه الى جمهوره المبتهج الصغير السن مناديا الاطفال باسمائهم ومرتجلا الحوار معهم . وهذا من اعراف مسرح العرائس الاسباني أيضا . كان دون كريستوبال يحرك ويشخص من قبل فديريكو غارثيا لوركا بشكل طبيعي جدا والى حد ان المرء قد يشك أن فديريكو قد تقمص شخصية الدمية .

وبما اننا لا نملك نص « الفتاة التي تسقي بنات الريحان » فان أولى المسرحيات من هذا النوع هي مسرحية (دمى الهراوة) المتضمنة في هذا الكتاب . ومن الممكن ان تكون النسخة الأولى من

١ ــ في الصفحة السابقة ذكر الكاتب انه كان هناك عود ، وهو الآن يذكر الكمان (المترجم)

هذه المسرحية قد كتبت قبل « الفتاة التي ٠٠ » لان هناك مخطوطة لها مؤرخة من قبل فديريكو « اب ١٩٢٢ » اي ستة اشهر قبل مسرحيات عيد الفطاس ٠ ان جزءا كبيرا من نسخة عام ١٩٢٢ قد دمجت دون تغيير في النص المنشور ٠ وكانت هناك ايضا نسخة مع اغان ورقصات اضيفت الى النص ٠ ولكن لم يعثر لها على اثر بين اوراق فديريكو ٠

في « دمى الهراوة » نرى ان المؤلف قد سبق له ان وجد لغته المسرحية الخاصة ٠ وهو يظهر بعض العناصر التي ميزت فيما بعد اشهر مسرحياته ٠ هنا يسمى دون كريستوبال بلقبه كريستوبيتا ويظهر بشخصيته التقليدية اي شخصية المستاسد على من هم اضعف منه والمتبجح ولكن مع بعض اللمسات الساخرة من ابتداع فديريكو ٠ اما العقدة نفسها ، قصة الفتاة الصغيرة الفقيرة المزوجة الى ماهو مفترض انه وحش عجوز غني ، فهي مماثلة لعقد مسرحيات ادبية وشعبية كثيرة في اسبانيا، ولكن المؤلف ضمنها هنا خياله الخاص ، وكذلك انعطافات في العقدة ، واختراعات من كل نوع ٠ وان شخصية « موسكيتو » ـ تخاطب الجمهور مباشرة ـ وهذا ايضا تقليد في مسرحيات العرائس الاسبانية الشعبية ، ولكن فديريكو كتب ما كتب بصوت اصيل جامح الخيال ٠ هذا وبطريقة رائعة تظهر المسرحية قدرة فديريكو على دمج التراث الشعبي بطلاقة شعرية من احدث طراز ٠ هناك التباسات مقصودة في مسرحية « دمى الهراوة » وليس اقلها مسألة ما اذا كان المؤلف قد قصد ان تمثل من قبل اشخاص يتصرفون كالعرائس ٠ وهو النهج المعتاد في اداء المسرحيات ، او من قبل عرائس تعرك على المسرح وكانها بشر ٠ من الواضح ان المؤلف لم يرغب ان يجاب على هذا السؤال ٠

في تاريخ لاحق وبمعالجة وتقنية مختلفتين تماما كتب فديريكو غارثيا لوركا مسرحية عرائس اخرى تدعى « قصة دون كريستوبال » والتي ستنشر ترجمتها في الكتاب الثالث من مسرح لوركا ٠ لذا لن نناقش هذه المسرحية هنا ، ولكننا سنقول ان دون كريستوبال فيها هو بلا ادنى ريب دمية ٠ كما في اصوله التراثية ، وانه في هذه الاعمال الثلاثة ، والتي تجذرت في ذكريات وتجارب طفولة المؤلف اعاد الشاعر الى الحياة تراث مسرح العرائس والذي كان قد وجده في حالة الرباني الانقراض، ورفعه الى منزلة الادب ٠

فرانثيسكو غارثيا لوركا

١٩٦٣

الشـــــخصيات

موسكيتو	كوريتو من الميناء
روزيتـــا	المضجر ـ وهو اسكافي
الاب	فيجارو ـ حلاق
كوكوليش	ولـد شـريـر
جوني	سيدة شابة في ملابس صفراء
دونكريستوبيتا (او كريستوبال)	شحاذ أعمى
خـــادم	حسناء ذات شامات اصطناعية
ساعة زمانيـــة	قنلفت
فتيـــان	ضيوف مع مشاعل
مهربون	قساوسة لمراسيم الجنازة
الجزمة المرتعشة ، صاحب الحانة	موكب جنائزي
الشـــاب	الفتـى

(تراجيكوميدي عن دون كريستوبال والآنسة روزيتا)
(فارس تهريجي في ستة مشاهد وإعلان)
(كتب بين عامي ١٩٢٢ ــ ١٩٢٥)

اعـــــــلان

(صوت بوقين وطبل ، يدخـل موسكيتو(١) من حيث يرغب • موسكيتو شخصية غامضة ، جزئياً شبح ، جزئياً جني على هيئة عجوز صغير ، وجزئياً حشرة • انه يمثل مرح الحياة الحرة وظرف وشاعرية الشعب الأندلسي • يحمل بوقاً صغيراً من النوع الذي يباع في معارض القرى •)

موسـكيتو : أيها الرجال والنساء ، انتبـاه ! يا بني أغلق فمك الصغـير ، وأنت أيتها الفتاة الصغيرة اجلسي بحق كل ما هو غير مقدس • والا سكوتاً حتى يصبح الصمت واضحاً وكأننا في منبعه الخاص • سكوتاً حتى تترسب حثالات آخر الهمسات •

(قـــرع على طبــــل)

للتو وصلنا صحبتي أنـا من مسـرح البورجوازيين ، مسـرح الكونتات والمركيزات ، مسرح من الذهب والكريستال حيث يذهب الرجـال ليغطوا في النوم وكذلـك النساء • كنا صحبتي وأنـا سجناء هناك ! لا تستطيعون أن تتصوروا الى أي حد كنا تعساء هناك • ولكني في أحد الأيام ، وخلال ثقب المفتاح شاهدت نجماً يلتمع كزهرة بنفسج من النور ، زهرة صغيرة ندية متوهجة • وفتحت عيني الى آخر حـد أستطيعه (كانت الريـح تحاول أن تغلقها لي بأصبعها) وهناك تحت النجمة ، كان نهر عريض يبتسم وقد جعدت صفحته قوارب بطيئة • ثم أخبـرت ها ، ها ، ها ،

---

١ ــ تعني البعوضة بالاسبانية •

أصدقائي عنه ، وركضنا عبر الحقول ، نبحث عن الناس البسطاء لنريهم الأشياء · الأشياء الصغيرة ، وأصغر الأشياء الصغيرة في هذا العالم ، تحت قمر الجبل الأخضر وقمر الشاطىء الوردي · فلنكن في نور منتصف النهار أو في ضوء منتصف الليل فنحن دوماً على ما أتم ما يكون من الراحة · والآن يبزغ القمر وتتسلل اليراعات الى أوكارها الصغيرة ، وقد اقترب موعد تقديم المسرحية العظيمة المسماة « تراجيكوميدي عن دون كريستوبال والآنسة روزيتا » ·

استعدوا لتحمل الطبع الخسيس لهزاز القبضة الصغير كريستوبال، وللبكاء على المصير الحزين للآنسة روزيتا ، التي بالاضافة الى كونها امرأة ما هي الا عصفورة صغيرة مقرورة على بركة ، عصفورة رقيقة من عصفورات الثلوج · هيا نبدأ ! (يخرج ولكنه يعود راكضاً) · والآن ، أيتها الريح ! كوني مروحة لكل هذه الوجوه التي اعترتها الدهشة ، واحملي كل التنهيدات عالياً الى ما فوق قمم الجبال وجففي تلك الدموع في عيون الشابات اللواتي لا عشاق لهن ·

(موسيقى)

كانت أربعة أوراق صغيرة تنمو

فوق شجرتي الصغيرة

والريح جعلتها تطير ·

المشـــهد الأول

غرفة الطابق السفلي من منزل الآنسة روزيتا ·

في آخر المسرح نافذة ذات قضبان من الحديد المشبك وبـاب · من خلال النافذة يرى بستان من البرتقال ·

(روزيتـا ترتدي ثوبا بلون الزهـور ذا لبادة لنفخه عنـد الردفين · وهو مزركش بالأشرطة والتخريمات · عندما ترتفع الستارة تكون جالسة الى اطار تطريز كبير وهي تطرز ·)

روزيتــا : (تعد الغرزات) واحدة ـ اثنتان ـ ثلاث ـ أربع ـ (تخز نفسها) أخ ! (تضع اصبعها في فمها) لقد وخزت نفسي أربع مرات على حرف «ب» من « الى والدي المحبوب » · حقاً ان التطريز بالأبرة عمل شاق · واحدة اثنتان ··· (تترك الابرة مغروزة في الكنفا) آه لكم أود لو أتزوج ! سأرتدي ملابسي مع زهيرة صفراء في قمة رأسي ووشاح يتجرجو على طول الشارع · (تنهض) وعندما تطل ابنة الحلاق من نافذتها سأقول لها : « سأتزوج قبلـك ، قبلك بكثير ، ولديّ أساور وكل شيء · »

(في الخارج يصفر شخص ما ·)

أو ····!···· انه حبيبي ! (تركض نحو النافذة)

الأب : (خارج الخشبة) روزيتا ···!····!

روزيتــا : (خائفة) ما ··· ا ··· ذا ؟

(صفـرة أعلى حـدة · تركض وتجلس الى الاطار ، ولكنهـا ترسل قبلات نحو النافذة) ·

الأب : (وهو يدخل) لقد فكرت للتـو بالدخول ورؤية فيمـا اذا كنت تطرزيــن ···· استمري في العمل يا ابنتي ، استمري ، لأننـا بهذا العمل نتدبر أمر معيشتنا ! آه ، لكم نحتاج الى المال ! من

الحقـائب الخمس المليئة بالمـال التي ورثناها من عمك ، كبـير القساوسة ، لم يبق سوى القليل !

روزيتـــا : يا لهـا من لحيـة كـانت لعمي كبـير القساوسـة ! واي حبيب عجوز كـان !

(صفرة من الخارج)

وآه ... واي صفرة كان يستطيع تصفيرها ! يا لها من صفرة !

الأب : ولكن ما هذا الذي تقولين يا ابنتي ؟ هل جننت ؟

روزيتـــا : (مضطربة) كلا ، كلا ... لقد أخطأت .

الأب : آه يا روزيتا .. لكم نحن غارقون في الديون ! ماذا سيكون مصيرنا؟

(يخرج منديله ويبكي)

روزيتـــا : (باكية) حسناً ... اذا ... أنت .... أنا ....

الأب : لو انك تفكريـن على الأقـل بالزواج ، فقد يبزغ علينـا فجر جديد . ولكني أعتقد أنك الآن ...

روزيتـــا : لا عليك ! هذا تماماً ما كنت أفكر به ..

الأب : حقـــاً ؟

روزيتـــا : ولكن ... أولم تلاحظ ! لكم أنكم عديمو الملاحظة أنتم الرجال !

الأب : هذا يناسبني تماماً ، تماماً !

روزيتـــا : لا عليك ، ما هي الا تسريحة من النوع الذي يرد فيها الشعر الى قمة الراس وبعض اللون الأحمر على وجنتي ...

الأب : اذن . فأنت توافقين .

روزيتـــا : (رزينة كراهية) أجل يا والدي .

الأب : ولن ترجعي عـن رأيك ؟

روزيتــا : كــلا يا والــدي ·
الاب : وسوف تطيعينني دائماً فيما أطلب منك ؟
روزيتــا : أجــل يا والـــدي ·

الاب : حسناً ، هذا كل ما اردت سماعه · (يبدأ بالخروج ·) لقد أنقذت من الافلاس · أنقذت !
(يخـــرج)

روزيتــا : ماذا يعني بقوله · « لقد أنقذت من الافلاس ، أنقذت » · ان ما لدى حبيبي كوكوليش من المال أقل حتى مما لدينا · أقل بكثير! لقـد تركت له جدته ثـلاث قطع نقـدية ، مرطبانـاً من مربى السفرجل و ··· هذا كل شـيء ! أو ·! ولكني أحبه ،أحبـه ، واحبه مضاعفـاً ! (يقال هـذا بسرعة كبيرة) المال المجـوز القذر ؟ انه للبقية من النـاس · سـأنال الحب · (تركض نحو النافذة وتلوح بمنديل كبير زهري اللون من خلال القضبان ·)

صوت كوكوليش : (مغنياً مصاحباً بجيتار) ·

متطلبـة النسيم
تمضي الآهات التي تطلقها حبيبتي ،
متطلبـة النسيم ،
والنسـائم تمتطـي ·

روزيتــا : (مغنيــة)
متطلبـة النســيم
تمضي الآهات التي يطلقهـا حبيبي ،
متطلبـة النســيم ،
والنســائم تمتطـي ·

كوكوليش : (يظهر عند قضبان الشباك) توقفي ، من هناك ؟
روزيتــا : (مخفية وجهها بمروحة كبيرة ومغيرة من نبرة صوتها) صديقة ·
كوكوليش : من باب الفرض ليس الا هل تسكن فتاة باسم روزيتا هذا المنزل ؟
روزيتــا : انها تستحم الآن ·

كوكوليش : (متظاهراً بالانصراف) حسناً ، فليكن « نعيماً » ·

روزيتـــا : (كاشفة وجهها) وهل كانت لديك الرغبة فعلا بالانصراف ؟
كوكوليش : كلا لم اكن أقدر على ذلك · (بمندوبـة) بالقرب منك تصبـح قدماي ثقيلتين كالرصاص ·
روزيتـــا : هل تريد أن تعرف شيئاً ما ؟
كوكوليش : مـــــاذا ؟
روزيتـــا : أوه ، انـي لا أجـرؤ !
كوكوليش : هيّـــــا ·
روزيتـــا : (بجد حقيقي) انظر اليّ جيداً ، لا اريد أن اكون واحدة من أولاء الفتيات الوقحات الصفيقات ·
كوكوليش : حسنا ، تبدو هذه فكرة طيبة جداً بالنسبة لي ·
روزيتـــا : اسمع ··· لقد حدث ان ···
كوكوليش : قـوليهـــا !
روزيتـــا : دعني اختبيء خلف مروحتي ·
كوكوليش : (يائسا) أوه ، أرجـوك ·
روزيتـــا : (مغطية وجهها) سأتزوجك ·
كوكوليش : مـاذا ؟ مـاذا قلت ؟
روزيتـــا : ما سـمعته تماماً ·
كوكوليش : اوه روزيتـا !
روزيتـــا : وحـالاً ···
كوكوليش : حالاً سأكتب الى باريس لاحضار مربية ···
روزيتـــا : اصغ إليّ ، ليس الى باريس · لا أريد منه أن يتحدث كؤلئـك الفرنسيين وي ··· وي ·· وي
كوكوليش : وإذن ···
روزيتـــا : سنكتب الى مدريد ·
كوكوليش : ولكن هل يعلم والدك بالأمر ؟
روزيتـــا : وقد منحنا اذنه بذلك ·

كوكوليش : اوه ·· يا روزيتاي ! تعالي اليّ · اقتربي اكثر !

روزيتـــا : هيـا ، لا تكـن عصبيـاً ·

كوكوليش : أشعر وكان شخصاً ما يدغدغ باطن قدمي · اقتربي اكثر ·

روزيتـــا : كـلا ، كـلا · سأرميك بقبلة من هنا ·

(يتبادلان القبل من بعيد · ترن أجراس صغيرة ·)
هكذا يحدث دائماً ! شخص ما قادم · وداعاً حتى الليل ·

(تسمع أجراس صغيرة ، وتظهر عربة تجرها جياد صغيرة مـن الكرتـون مرتدية أعرافـاً ذات ريش خارج قضبان النافـذة المريضـة وتتوقف ·)

كريستوبيتا : (من العربة) لا شك في ذلك ، انها أجمل فتاة في المدينة ·

روزيتـــا : (ناشرة أسفل ثوبها وهي تنحني في احترام) شكراً جزيلاً ·

كريستوبيتا : سأحوز بها بلا ريب · يبدو أن طولها ثلاثة أقدام · على المرأة أن تكون بهذا الطول تماماً ، لا أكثر ، لا أقل · ولكن يا لتكوينها ويا لحركتها ! لقد كادت تستحوذ على اعجابي ·

إلى الأمـام أيهـا السائق !

(العربـة تخرج ببطء ·)

روزيتـــا : (بهزء) أوه ، وهل الأمر هكـذا ؟ « سأحوز بها » · يا له من سيد بشع الصورة سيء السلوك ! لا بد وأنه واحد من أولئـك العابثين الذين يفدون الينا من البلاد الأخرى ·

(يطير عقد من اللؤلؤ داخلا من النافذة)

اوه ما هذا ! يا للسماء ! يا له من عقد لؤلؤ جميل ! (تلبسه وتنظر الى نفسها في مرآة يد صغيرة ·) لا بد وأن « جنفييف دوبرابانت » كانت ترتدي واحداً مثل هذا عندما كانت تذهب الى برج قلعتها لتنتظر زوجها · وهو يبدو مناسباً لي تماماً ولكن من أرسله يا ترى ؟

الأب : (يدخل) يا ابنتي · لقد تمت الفرحة ! لقد اتخذت كل الاستعدادات الضرورية لزفافك !

روزيتا : لكم أنا ممتنة لك ، وكوكوليش سيكون ممتناً جداً ! منذ قليل···

الأب : كوكوليش ؟ كوكوليش في عين خنزير ! ما الذي تعنينه ؟ لقد أعطيت يدك الى دون كريستوبيتا ، صاحب الهراوة ، والذي مرّ منذ قليل في عربته ·

روزيتا : حسناً ، لن أتزوجه ، لن أفعل ، لن أفعل ! وأما بالنسبة ليدي ، فانك لن تستطيع أن تأخذها مني · ان لي حبيباً ··· وسارمي بهذا العقد بعيداً !

الأب : حسناً ، ليس هنالك من شيء آخر أضيفه ·· هذا الرجل غني جداً ، انه يناسبني · ولقد اتخذت كل الاستعدادات الضرورية لأننا ان لم نفعل ذلك فسنجد أنفسنا نتسول في الغد ·

روزيتا : أفضّل التسول ·

الأب : أنا الذي يعطي الأوامر هنا لأنني الأب · ما تم قد تم والسمن اصبح على النار · ليس هناك من شيء آخر أضيفه ·

روزيتا : ولكني ····

الأب : صمتاً !

روزيتا : بالنسبة لي ···

الأب : اخرسي · (يخرج)

روزيتا : أوه ··· أوه ! اذن فهو يستطيع أن يتصرف بيدي ، هكذا ، وعليّ أن أحتمل ذلك لأن القانون الى جانبه · (تبكي) لماذا لا يمكث القانون هذا في موطنه حيث ينتمي ؟ لو أنني أستطيع ان أبيع روحي للشيطان ! (تصرخ) أيها الشيطان ، اخرج ، أيها الشيطان ·· اخرج ·· أرفض أن أتزوج كريستوبال ذاك !

الأب : (يدخل) ما هذا الصراخ كله ؟ كوني هادئة واستمري بتطريزك! ماذا يحل بهذا العالم ؟ هل أصبح الأولاد يعلمون آباءهم كيفية التصرف ؟ ستطيعين كل أمر من أوامري كما أطعت أبي عندما

زوجني من أمك ... التي ، والشيء بالشيء بالشيء يذكر ، كان لها وجه بدين مدوّر ، حسناً ...

روزيتـــا : فليكــن . ســأهــدأ .

روزيتـــا : (مغادراً) هل شاهدتهم أبداً شيئاً كهذا .

روزيتـــا : شيء جميل .. بين القس والأب لا يمكننا نحن الفتيات ســوى أن نشعر بالاشمئزاز الكامل . (تجلس لتطرز) بعد ظهيرة كل يوم ثلاث ، أربــع يقول لنــا القس : ستذهبون الى الجحيــم ، وستموتون من شدة الحرارة ، ميتة أسوأ من ميتة الكــلاب ... ولكني أقول أن الكــلاب تتزوج من ترغب به وتفلــح في تدبير أمورها بتلك الطريقة . لكم أتمنى لو أكون كلبة ! لأني لــو أصغيت الى كلام أبي أربعة ، خمسة ، ساكون في الجحيم ، واذا لم أفعل ، فسأنتهي الى الجحيم الآخر الذي هو فوقنا . هنــاك لعــدم اطاعتي له ... يجب علي القساوسة أن يخرسوا أيضــاً والا يتكلموا كثيراً ... لأنه ... (تجفف دموعها) . اذا لــم أتزوج كوكوليش فستكون تلك غلطــة القس ... أجل غلطــة القس .. الذي ، مع ذلــك كله ، لا تهمــه أياً من هذه الأمــور البتة . أخ ... أخ ... ، أخ ... آخ !

كريستوبيتا : (عند النافذة مع خادمه) انها قطعة جميلة . هل تعجبك ؟

الخادم : (مرتجفاً) أجل يا سيدي .

كريستوبيتا : الفم اكبر مما يجب ولكن بمقدار تافه ... ولكن آه ... يا له من طبق لذيذ هذا الجسد ... لم أسو الصفقة بعــد ... أود لو أتحدث معها ولكني لا أريد رفع الكلفة معها . ان رفع الكلفة أم كل الخطايا . إياك ومعارضتي .

الخادم : (مرتجفاً) ولكن يا مولاي .

كريستوبيتا : هنالك أسلوبان فقط في معاملة الناس : أما ألا تعرفهم أبداً ، أو أو تتخلص منهم !

الخادم : أيتهــا الســماء الرحيمة !

كريستوبيتا : اســمع هــل تعجبك ؟

الخادم : ان أفضل ما في هذا العالم ·· لا يناسب مقامك يا صاحب السمو·

كريستوبيتا : انها قطعة صغيرة لذيذة ، وانها لي ! لي وحدي !

(يخـرجـــان).

روزيتـــا : هذا كل ما أردت معرفته · آه ! اني يائسة الآن · سأسمم نفسي بجرعة من السم أو بكلوريد الزئبق ·

(تفتح ساعة الحائط وتظهر (ساعـة زمانية) مرتدية ثوباً أصفر ذا لبادة لنفخه عند الردفين) ·

الساعةالزمانية : (بصوتها ومع الجرس) رنين ! يا روزيتـا – كوني صبورة · ماذا بامكانـك أن تفعلي ؟ كيف تعرفـين الى ما ستنتهي اليـه الأمور ؟ بينما الجو مشمس هنا ، فانه ماطر في مكان آخر ··· هل تعرفين أية رياح ستعبث بدليل اتجاه الريـح على سقفك غدا ؟· أنا ، بما أني هنا كل يوم سأذكرك بهذا عندما تهرمـين وتكونين قد نسيت تقويباً هذه اللحظة · دعي الماء يجر والنجوم تلمع يا روزيتا ، كوني صبورة ! رنين ! الساعة هي الواحدة ·

(تنغلــق ساعة الجـدار) ·

روزيتـــا : الساعة الواحدة ··· ولكن فلألعن إن كنت أشعر بالجوع !

صـــوت : (خارج الخشـبة) ·

(ممتطيـة النســـيم

تمضي الآهـات التي يطلقها حبيبي) ·

روزيتـــا : أجل · أراها وهي تأتي ، آهات حبيبي ·

(تنفتح ساعة الجدار ثانية لتظهر الساعة الزمانية وقد راحت في غفوة · يسمع صوت الجرس فقط) ·

روزيتـــا : (بصوت باك) الآهات التي يطلقها حبيبي ·

ستــار

المشـــهد الثـاني

المسرح الصغير يمثل ساحة عامة في بلدة أندلسية • الى اليمين منزل الآنسة روزيتا • يحتم وجود نخلة ضخمة ومقعد •

(كوكوليش يأتي مـن اليسار ـ متلكئاً حـول بيت روزيتـا • انه يحمل جيتاراً ويرتدي عباءة خضراء ذات تخريجات سوداء • وهو يرتدي أيضاً الزي الشعبي لأوائل القـرن التاسع عشر • ويضع على رأسه ، بكبرياء ، قبعة « كالانيا » ذات حافة عالية)

كوكوليش : ولا اشارة من روزيتـا • انها تخاف القمـر • ان ضوء القمـر لشديد القسوة على أولئك الذين يجب أن يعشقوا سراً • (يصفر) لقد نقرت صفرتي زجاج نافذتها كحصـاة موسيقية صغـيرة • البارحة كانت تضع قوساً أسود في شعرها • قالت لي يومـاً : « ان شريطا أسود في شعري هو كالآفة على قطعة من فاكهة • » اذا حدث ورأيتني كذلك فكن حزيناً ـ فسرعان ماسوف يهبط اللون الأسود فيغطيني حتى قدمي » • لا بد وأن شيئاً ما قـد حدث لها •

(بدات شرفتها التي صفت عليها أواني الزهور تشع بوهج ناعـم •)

روزيتــا : (من خارج الخشبة) :
ان هذه الفيتو(*) ••• الفيتو تثيرني ••
ولـوف أرقصها حتى تقتلني •

كوكوليش : (مقترباً أكثر) لماذا الاتخرجين •

روزيتــا : (في الشرفة بتأثر كبـير وبشاعرية تامـة) آه يا شابي العزيز الصغير ! في هذا اليـوم سيجعل نسيم عربي كل دليـلات اتجاه

(*) Vito وهي اغان ورقصات شعبية اندلسية تقليدية وقد جمعها لوركا واعاد اليها شعبيتها •

الريح في الأندلس تدور وتدور ·· وبعد مئة سنة من الآن ستظل تدور · وبالأسلوب نفسه ·

كوكوليش : ماذا تحاولين ان تقولي ؟

روزيتـــا : ان عليك ان تتعلم كيف تنظر الى كلا طرفي الزمن ·· اليمين واليسار ، وهكذا تعلم قلبك الاستسلام ·

كوكوليش : اني لا افهمك ·

روزيتـــا : ان الجزء الآخر هو الذي سيصدم · هذا ما أحاول ان اجعلك تتهيأ له · (وقفة ، تبكي روزيتا خلالها بشكل مضحك وهي تكاد تختنق محاولة استرداد أنفاسها ·) لااستطيع الزواج منك!

كوكوليش : روزيتا !

روزيتـــا : أنت تفاحة عيني ··· ولكني لا أستطيع الزواج منك (تبكي)

كوكوليش : هل ستتصرفين الآن كراهبة ؟ هل أخطات في حقك ؟ أوه ، أوه ، أوه !
(يبكي بكاء هو بين الطفولي والكوميدي) ·

روزيتـــا : ستعرف كل شيء فيما بعد · والآن ــ وداعاً ·

كوكوليش : (صارخاً وضارباً الأرض بقدميه) آه ، كلا ، كلا ، كلا ، كلا !

روزيتـــا : وداعاً · ان والدي يناديني ·
(تغلق مصاريع الشرفة) ·

كوكوليش : (محدثا نفسه) ان أذني لتطنان وكأني فوق قمة جبل · أشعر وكأني دمية من الورق تحترق في لهيب قلبي بالذات ·· ولكني لن أترك الأمور تسير على هذه الحال ·

كلا ، كلا ، كلا · (ضارباً الأرض بقدميه) · ماذاتعني بقولها انها لن تتزوجني ؟ عندما أحضرت اليها تلك المدلاة من معرض ميرينا ··· مرّرت يدها فوق وجهي · وعندما أعطيتها الشال ذا الزهور ، نظرت الي بطريقة ··· وعندما أحضرت

اليها مروحة من عـرق اللؤلؤ ، تلك التي رسم عليهـا (بدرو روميرو) وهو ينشر رداءه الخاص بمصارعي الثيران قبلتنـي قبلا بعدد ما في المروحة من أضلاع · أجل يا سيدي ! قبلا بتلك الكثرة ! لكان أفضل لي لو أن سهماً من البرق شطرني نصفين !

(يبكي بوتيرة ممتازة) ·

(من اليسار ـ يدخل عدة فتيان في ملابس أندلسية) أحدهـم يحمل جيتارا وآخر تامبورينا · يغنون)

في نهر غواد الكويفير
تسبح التي ساتزوج ·
ان حبيبتي تطرز المناديل

المصنوعة من الحرير والتي لونها احمر ·

الفتى الأول : يا للعجب ! ها هو كوكوليش ·

الفتى الثاني : لماذا تبكي ؟ انهض ولا يزعجنك أن طيرا في بستـان يقفز من شجرة الى أخرى ·

كوكوليش : دعوني وحيدا !

الفتى الثالث : لا يمكننا ذلك · هيا بنا . ان الريح عبر الحقول ستحمل حزنك بعيدا ·

الفتى الأول : هيا بنا · هيا ·

(يأخذونه معهم · أصوات وموسيقى · الخشبة تترك فارغة · يشرق القمر على الساحة الواسعة · يفتح باب منزل الآنسـة روزيتا ويظهر والدها مرتدياً ثوباً رمادياً ، مع شعر مستعـار زهري اللون ، ووجهه مدهون بنفس اللون ليتناسب مع الشعر· يدخل دون كريستوبيتا مرتدياً ، ثوباً أخضر ، له كرش ضخم وحدبة خفيفة · يرتـدي عقـدا وسوارا مصنوعـاً من أجراس صغيرة ، ويحمل هراوة يستعملها كعكاز ·)

كريستوبيتا : اذن فالصفقة قد تمت · موافق ؟

الأب : أجل يا سيدي ··· ولكن ···

كريستوبيتا : (لا تلكنني بأية لكنات !) لقد تمت الصفقة · سأعطيك المئة قطعة ذهبية حتى تنقذ نفسك من الدين وتعطيني ابنتك روزيتا ··· وعليك أن تكون راضياً مسروراً لأنها ــ حسناً ــ ناضجة اكثر مما يجب ··· ولكن ليس كثيرا جدا ·

الاب : انها في السادسة عشرة ·

كريستوبيتا : قلت انها ناضجة · اكثر مما يجب وهي ناضجة اكثر مما يجب !

الاب : أجل يا سيدي انها لكذلك ·

كريستوبيتا : ولكن رغم كل شيء ، فانها فتاة فاتنة · يا للشيطان · « أن بوكاتودي كاردينالي ! »

الاب : (بجدية حقيقية) هل تتحدث سموك بالايطالية ؟

كريستوبيتا : كلا · ولكني عندما كنت طفلا عشت في فرنسا وايطاليا ، في خدمة شخص يدعى « موسيو بانتالون » ··· ولكن ليس هذا من شأنك ·

الاب : كلا ··· كلا يا سيدي ··· ليس اطلاقاً يا سيدي ·

كريستوبيتا : من ذا الذي خاطبني بكلمة : لا ؟ لا أدري لماذا لم أرسله الى الجرف حيث رميت بالكثيرين من هناك · هذه الهراوة التي تراها هنا قد قتلت الكثيرين من الرجال ــ فرنسيين ، ايطاليين ، هنغاريين ··· القائمة لدي في البيت · أطمنـي ! ــ او أنك سترقص على نفس اللحن الذي رقصوا عليه ! لقد مضى وقت طويل على هذه الهراوة لم تقم فيه بعمل وهي جاهزة للقفز من يدي · كن حذراً !

الاب : أجل يا سيدي ·

كريستوبيتا : والآن اليك بالمال · انها تكلفني الكثير · الكثير ! ولكن مانم فقد تم · أنا رجل لا يعود أبداً عن كلامه ·

الاب : (جانباً) يا للرب العزيز ، أي نوع من الرجال هذا الذي أسلمه طفلتي ؟

كريستوبيتا : ما هذا ؟ ··· تعال سنخبر القس ·
الأب : (مرتجفاً) حسناً جداً ·
روزيتـــا : (من خارج الخشبة) :

ان هذه الفيتو ، الفيتو تثيرني ،
وسارقصها حتى تقتلني !
فمع مرور كل دقيقة
تحرقني أكثر فاكثر الرغبة العميقة ·

كريستوبيتا : ما كان ذاك ؟
الأب : انها ابنتي الصغيرة تغني ··· انها أغنية جميلة ·
كريستوبيتا : ياه ! ساعطيها شيئا يجعل صوتها أجش ــ فذاك طبيعي أكثـر وسيجعلها تغني تلك الأغنية التي تقول :

الضفدعة تنق نقيقـاً
نقيقاً ·· نق ··· ق ··· ··· يقا ·

ستـــار

المشـــــهد الثـالث

حانة في قرية · الى الخلف براميل النبيذ ، وعلى الجدران البيضاء أباريق زرقاء · وكذلك صورة كبيرة لمصارع ثيران قديم وثلاثة مصابيح زيتية ، الوقت : ليلا ·

(صاحب الحانة خلف منضدة الحساب في ملابسه العادية له شعر خشن وأنف أفطس ·· اسمه الجزمـة المرتعشة ·· الى اليمين · مجموعة من المهربين التقليدين ــ يرتدون المخمل ولهم لحي ، ويحملون بنادق قصيرة · يلعبون الورق ويغنون) ·

المهرب الاول : من تادش الى جبل طارق
يا للمر الجميل !
يعرف البحر من تنهيدتي

أني مررت من هنا ثانية ·
آه يا حبيبتي ، يا حبيبتي ، آه
كل تلك الزوارق في الميناء
في ميناء مالقة !
من قادش الى اشبيلية
الكثير من أشجار الليمون !
لا بد وأن بستان الليمون يعرفني !
فقد حركت تنهداتي النسيم ·
آه يا حبيبتي ، يا حبيبتي آه ،
كل تلك الزوارق في ميناء مالقة !

الهرب الثاني : أنت هناك · أيها الجزمة المرتعشة ! هذه الأغنية الصغيرة المباركة تجعلني ظمئ · أحضر بعضاً من نبيذ مالقة ·

الجزمة المرتعشة : (بكسل) حالا ·

(من خلال الباب الأوسط يظهر شاب يرتدي رداء أزرق ويضع قبعة صغيرة ذات حرف مستقيم · ترقب قلق · يذهب ليجلس الى طاولة الى اليسار ، لا زال مخفياً وجهه) ·

الجزمة المرتعشة : هل ترغب سموك بمشروب ؟
الشـاب : آه ··· أنا ! كلا !
الجزمة المرتعشة : يبدو وكأنك قد تنهدت ·
الشـاب : واحسرتاه !· واحسرتاه !
الهرب الأول : من يكون ؟
الجزمة المرتعشة : لا أستطيع تمييز ذلك ·
الهرب الثاني : أنت لا تعتقد أنه ···
الهرب الأول : ربما كان من الافضل أن ترحل ·
الهرب الثاني : الليل نير جدا ···
الهرب الاول : والنجوم تكاد تلامس اعالي السقوف ·
الهرب الثاني : عند الفجر ستكون على مرأى من البحر · (يخرجون) · (يترك الشاب وحيداً على الخشبة · بالكاد نستطيع رؤية رأسه الصغير · يضاء كل المسرح بنور أزرق حاد) ·

الشـاب : شاهدت مدينة أكثر بياضاً،أكثر بياضاً بكثير . وعندما أبصرتها من الجبال ، اخترق نورها عيني وفورا اخترقني حتى قدمي . يوماً ما سنجـد أنفسنا نحـن الاندلسيين نطلي بالأبيض حتـى أجسادنا . ولكني أرتجف في الداخل قليلا . أيها الرب ! ماكان علي أن أجيء .

الجزمة المرتعشة : يا للحالة التي هو عليهـا ـ أسوأ من الحالـة التي كان عليهـا « تانكرد » ولكني .. (يسمع صوت جيتارات وأصوات مرحة في الشوارع بينما يغادر الجزمة المرتعشة الخشبة) : ما هذا ؟ (تدخل مجموعة الشبان وكوكوليش بينهم وهم يقودونه) .

كوكوليش : (مخمورا) أيها الجزمة المرتعشة ، أسقنـا خمـرا حتى يخرج الخمر مـن عيوننا ـ أوه ، ولكن ذلك سيجعل دموعنا جميلة ، فلنبك دموعاً من التوبـاز ، دموعاً من الياقوت ... آه أيهـا الشباب ، أيها الشباب !

الفتى الأول : أنت صغير جدا في السن ! لا يمكننا أن ندعك تحزن !

الجميـع : حسناً !

كوكوليش : كان من عادتها ـ أن تقول لي أشيـاء في منتهى الرقـة ! كانت تقول ، « شفتاك ثمرتان من ثمار الفريز ، لم تنضجـا كثيـرا بعـد ... »

الفتى الأول : (مقاطعاً) انها امراة رومانسية جداً ... هذا كل ما في الأمـر ولهذا السبب لا عليك أن تقلق . ان دون كريستوبيتا رجـل بدين ، سكير نؤوم بحيث لن يمضي وقت طويل ....

الجميـع : برافو !

الفتى الثاني : بحيث لن يمضي وقت طويل ....
(قهقهات)

الجزمة المرتعشة : أيها السادة ، أيها السادة .

الفتى الثاني : والآن الى شرب الانخاب .

الفتى الأول : أشرب نخب ماأشرب لأني لا أفكر الا بالذي أشرب· ياكوكوليش· في منتصف الليل ستجد الباب مفتوحاً على مصراعيه وكل شيء آخر ·

الجميـع : اوليـــه ! (*)

(يعزفون على الجيتارات)

الفتى الثاني : اشرب نخب دوناروزيتا !

الشـاب : (وهو ينهض) نخب دوناروزيتا !

الفتى الثاني : ولنأمل ·· ان ينفجر زوجها المقبل كالبالون !

(ضحـــك)

الشـاب : (ذاهباً اليهم ولكنه لا زال يخفي وجهه) لحظة واحدة أيهـــا السادة !·

أنا غريب هنا وأريد أن أعرف من هي دونا روزيتا هذه التـي تشربون نخبها بكل هذا المرح ·

كوكوليش : غريب ومهتم بالأمر الى هذا الحد !

الشـاب : ربمـــا !

كوكوليش : أيها الجزمة المرتعشة ، أغلق الباب ، فرغم أننا في شهر أيار الا ان هذا السيد يبدو مقرورا جدا ·

الفتى الثاني : خاصة وجهه ·

الشـاب : أسألك سؤالا لطيفاً فتجيب بشيء لا هو هنا ولا هناك · أعتقد ان النكت لا مبرر لها ·

كوكوليش : وماذا يعنيك من تكون السيدة ؟

الشـاب : أكثر مما تعتقد ·

كوكوليش : حسناً ، اذن فالسيدة هي دونا روزيتا التي تعيش هنـــاك في الساحة العامـة · أفضل مغنيـة في الأندلس وحبيبي ··· أجل حبيبتي !·

(*) الهتاف الذي يردده الاسبان للتشجيع في حلبة مصارعة الثيران ·

الفتى الثاني : (متقدماً) وبما انها ستتزوج من دون كريستوبيتا اليوم ، فهذا الفتى ··· حسناً ، يمكنك أن تتصور !

الجميـع : أوليـه ! اوليـه !

(ضحـك)

الشـاب : (بحزن شديد) أرجو عفوكم ·· لقد اهتممت بحديثكم لأنـه كانت لي مرة حبيبة تدعى روزيتا أيضاً ···

الفتى الثاني : والآن هي ليست حبيبتك ؟

الشـاب : كلا ·· يبدو أن الفتيات أصبحن يفضلن المتبجحين في أيامنا هذه · ليلة سعيدة · (يبدأ بالخروج)

الفتى الثاني : يا سيدي ، قبل أن تغادرنا ، أود لو تشرب كأساً من الخمر معنا·

(يعطيه كأساً)

الشـاب : (عند الباب ، بعصبية) شكراً ، اذ أنني لا أشرب ! ليلتكمسعيدة أيها السادة ·
(جانبـاً وهو يخـرج) لست أدري كيف استطعت أن أصمـد حيال الأمر ·

الجزمة المرتعشة : ولكن من كان ذاك الرجل ؟ ولماذا جاء الى هنا ؟

الفتى الثاني : كنت سأسألك انا عن ذلك ··· من هو يا ترى ذاك الملتفع بردائه، لماذا التخفي ؟

الفتى الاول : أنت صاحب حانة مسكـين ·

كوكوليش : انه يقلقني ··· يقلقني ··· ذاك الرجل ·

(الجميع قلقون ويتحدثون الى بعضهم البعض في أصواتخفيضة)

الفتى الثاني : (من الباب) أيها السادة ، ان دون كريستوبيتا في طريقه الى هنا الى الحانة ·

كوكوليش : هذا هو الوقت المناسب لأمرغ وجهه بالتراب ·

الجزمة المرتعشة : لا اريد مشاجرات في حانتي ، لذا يجب أن تغادروا الآن ·

الفتى الأول : لا تبحث عن المتاعب يا كوكوليش ! لا تبحث عن المتاعب !

(اثنان من الفتيان يخرجان كوكوليش بينما الآخران يختبئان خلف براميل الخمر • يعم المسرح الصمت •)

كريستوبيتا : (عند الباب) عو ••• واو !
الجزمة المرتعشة : (مروعاً) مساء الخير •
كريستوبيتا : لديك الكثير من النبيذ ، أليس كذلك ؟
الجزمة المرتعشة : كل الأنواع التي قد ترغب بها •
كريستوبيتا : أريدها كلها ، كلها •
الفتى الأول : (من الزاوية وبصوت كالصرير) كريستوبيتا •
كريستوبيتا : ماذا ؟ من هناك ؟
الجزمة المرتعشة : لا بد وأنه أحد الجراء في الحديقة •

(يأخذ هراوته وينشد) :

ان كنت ثعلبــاً فغبيــم منـك الذنب
هراوتـي تعرف كيـف الثعـالـب تضرب

الجزمة المرتعشة : (مضطرباً) يوجد نبيذ حلو ••• نبيذ أبيض ••• نبيذ حامض ••• نبيذ نبيذي •••

كريستوبيتا : ورخيص أليس كذلك ؟ • أنتم جميعاً حفنة من اللصوص !قلها: «حفنة من اللصوص »•

الجزمة المرتعشة : (مرتجفاً) حفنة من اللصوص •

كريستوبيتا : غداً سأتزوج الآنسة روزيتا واريدالكثير من النبيذ حتى أستطيع ••• أن أشرب كله لوحدي •

الفتى الأول : (من برميل) كريستوبيتا ••• يا من يسكر ثم ينام !
الفتى الثاني : (من برميل آخر) يا من يسكر وينام !

كريستوبيتا : بر ــ ر ــ ر ــ ر ــ بر ــ بر ! هل تتكلم براميلك ، أو هل تحاول أن تمازحني ؟

الجزمة المرتعشة : من ••• أنا ؟

كريستوبيتا : شم هذه الهراوة ! ما رائحتها ؟

الجزمة المرتعشة : يا للفظاعة ، ان رائحتها ··· تشبه ···

كريستوبيتا : قلهـــا !

الجزمة المرتعشة : يا لفظاعة ، تشبه رائحة الأدمغة ·

ماذا ظننت اذن ؟ · (بغضب) وماذا عن السكر والنوم · سنرى من الذي يسكر أو ينام ، أنت أم أنا ·

ولكن يا دون كريستوبال ، ولكن يا دون كريستوبال ·

الفتى الثاني : (من برميل كبير)

كريستوبالي

يا أيها الكرش البالي !

الفتى الأول : أيها الكرش الكبــير !

كريستوبيتا : (مهددا بهراوته) لقد حانت ساعتك أيها الوغد ، أيها الوغد ، أيها النذل !

الجزمة المرتعشة : يا دون كريستوبيتا يا صديقي العزيز !

الفتى الثاني : أيها الكرش الكبــير !

كريستوبيتا : تسخر مني ، أليس كذلك ؟ سنرى · خذ هذه يا كرش ، خذتلك يا كرش !

(يخرجان ، دون كريستوبيتا يضربه بالهراوة والجزمة المرتعشة يصرخ مذعورا كالجرذ ·· الفتيان يزمجران ضاحكــين مــن البراميل ·)

(موسيقــــى)

ستـــــار

■ البقية في العدد القادم ■

القســم السـابــع

☐ **تاتيـوس Tatius**

هو ملك السابينيين الذي أعلن الحرب على روما انتقاماً لقومه بعد حادثة السبي التي قادها رومولوس • وقد طالت مدة هذه الحرب واكتنفتها تقلبات كثيرة الى أن اقتحم السابينيون قلعة روما بمساعدة تاربيا • وعلى أثر هذه الحادثة تصالح الشعبان الروماني والسابيني وأسسا حكومة واحدة تحكم ثنائياً من قبل تاتيوس ورومولوس ، ولكن اللورنتيين اغتالوا تاتيوس انتقاماً لما حل بهم على يد السابينين فدفنه زميله رومولوس باحتفال مهيب ولم يفعل شيئاً لمعاقبة قتلته ثم حكم الشعبين وحده •

☐ **تاجيس Tagès**

اله أتروسكي من آلهة ما تحت الأرض • ظهر لأحد الفلاحين نابتاً من أحد الأثلام التي شقها ذلك الفلاح في هيئة طفل صغير ممتلىء بالحكمة والعقل وقدم نفسه على أنه أحد أحفاد جوبيتر • ولما اجتمع الأتروسكيون حوله علمهم من حكمته العرافة التي اشتهروا بها فيما بعد وسجلت في كتبهم المقدسة ، وهي قراءة الطالع

عن طريق تفسير الدلالات الكامنـة في أحشاء الحيوان المقرب الى الآلهـة · وقد أخذ عنهم الرومان هذا العلم · واختفى تاجيس بعد أن أدلى بتعليماته ·

☐ تاربيـا Tarpéia

تقول الأسطورة الأصلية أن تاربيا كانت ابنة تاربيوس الذي كلفه روموليوس بحماية قلعة روما أثناء الحرب مع السابينيين · وقد التقت بتاتيوس ملك السابينيين فأحبته ووعدها بالزواج على أن تفتح له أبواب القلعـة وحين وفت هي بوعدهـا نكث بوعده وأمر جنوده بخنقها تحت تروسهم · وبمرور الزمن احتضنها الرومـان وعدوها بطلة من بطلاتهم وطوروا الأسطورة لصالحهـا فتارة جعلوها ابنة تاتيوس ملك السابينيين وأن روموليوس اختطفهـا فانتقمت منـه بأن فتحت الأبواب لجيش شعبها · وتارة أخرى يقولون بأنها ماتت على يد السابينيين بسبب رفضها البـوح بالخطة الحربية التي يدبرها روموليوس · وقالوا أيضاً انها حاولت أن تحتال على السابينيين فوعدتهم أن تفتح لهم الأبـواب بشرط أن يتخلـوا عن كل ما في أيديهم اليسرى وكان ظاهر هذا الشرط طمعها بحليهم ولكن باطنه الذي كشفهتاتيوس هو تجريدهم من تروسهم ليصبحوا تحت رحمـة الرومان ولذلـك أمر بقتلهـا · وقـد سميت باسمها في روما الصخرة التي يلقى من فوقها المجرمون ·

☐ تارتـار Tartare

هو الجحيم أو أعماقه عند اليونان والرومان · وهو عبارة عن هوة سحيقـة جدا تحت الأرض أو تحت البحر تحيط بها حواجز منيعة تمنع المعذبين من الهروب· وقد ألقى فيها زوس آلهة الجيل الأول الذين قهرهم ثم التيتان والمردة الذين ناوأوه فتغلب عليهم·وفي التارتار يتعذب كبار مخالفي الآلهة من البشر مثل تانتال وسيزيف واكسيون ·

ويلوح زوس بعقاب التارتار للآلهة الذين يخالفون قوانين الأولمب ·

☐ تالاسيو Talassio

هو ملاك الزواج عند الرومان وعند الأتروسكيين من قبـل · كان يرفع لـه

الدماء حين تقاد العروس الى بيتها الجديد ويصيح المحتفلون باسمه حين تصل ٠ وكان صديقاً لرومولوس ولعب دورا هاما في حادثة سبي السابينيين ٠

□ تالوس Talos

١ ــ هو تمثال برونزي صنعه هيبايستوس وأهداه الى مينوس لحماية جزيرة كريت ٠ وكان عندما يقترب غريب من شواطئها يتوهج بالنار ويحيطه بذراعيه فيقتله ٠ وقد نزعت منه الساحرة ميديا هذه القدرة بل تسببت في موته بأن أصابته بالجنون فقطع عرق الحياة من قدمه أثناء مرور الأرغيين بكريت خلال رحلتهم المشهورة ٠ ويقال ان فيلوكتيت أرداه بأحد سهامه ٠

٢ ــ هو ابن أخ ديدال وتلميذه فاقه في العبقرية والمهارة فاخترع دولاب الخزاف والمنشار والفرجار ٠ وقد حسده ديدال فألقاه من قمة الأكربول ولما اكتشفت جريمته حوكم في الأريوباج الأثني ونفي بينما تحولت روح تالوس الى حجلة ٠

□ تانتال Tantale

هو ابن الآله زوس من الحورية بلوتو ٠ ملك فريجيا أو ليديا ٠ وكان والد بيلوس ونيوبه ٠ أصاب حظاً كبيراً من المجد والغنى حتى أنه خالط الآلهة في حياتهم ولكنهم ما لبثوا أن غضبوا عليه لأسباب منها أنهم اتهموه بافشاء أسرارهم الى البشر ومنها سرقته طعام الخلود ليأكل منه أو لتأكل منه رعيته ومنها أنه أراد أن يختبر قدرة الآلهة على معرفة الغيب فدعاهم الى وليمة قدم لهم فيها ابنه بيلوس مطبوخاً ولكن زوس اكتشف جريمته وكان قد سخط عليه لأنه لم يعتن بالكلب الذهبي الذي كان قد أوكله يحفظه في المعبد المقدس ٠ وقد أوقعت الآلهة على تانتال عذاباً مريراً بأن حرم من الطعام والشراب مع أن الماء يصل الى شفتيه ولكنه يهرب حين يهم بالشرب ويتدلى فوقه غصن مثمر حتى اذا هم بقطف ثماره ابتعد عنه ، فهو يقضي أيامه متألماً من الجوع والعطش والحرمان في أعماق الجحيم ٠ وقيل أنه نصب في مكان وعلقت فوقه صخرة تهدده بالوقوع عليه في كل لحظة ٠ واستمرت هذه اللعنة في ذريته مثل أتريوس ونيوبة وبقية التانتاليين وقد ظهرت صورة تانتال ومشهد عذابه على آثار فنية عديدة ٠

☐ تايجت **Taygète**

هي احدى بنات أطلس · عشقها زوس ولاحقهـا فالتجات الى أرتيميس التـي حولتها الى وعل لتحميها من الآله ثم أعادتها الى هيئتها البشرية · فنذرت للآلهـة أرتيميس وعلا ذا قرون ذهبية وهو الوعل الذي كلف بعدئذ هرقل باحضاره·ويقال أنها رضخت لرغبة الآله زوس وأنجبت منه لاكيديميون جد شعب اسبارطة ·

☐ تروس **Tros**

هو حفيد داردانوس وابن أريختونيوس واستيوشة · كان تروس أحد مؤسسي مدينة طراودة التي سميت باسمه وأصبح فيما بعد ملكاً على كل مقاطعتها · تزوج كاليرووية بنت آله النهر اسكاماندر فولدت له كيلوباترة وأبنـاءً ثلاثة هم ايلوس وأساراكوس وغانيميد · وقد قدم ولده الأخير هذا الى الآله زوس مقابل حصوله على جوادين سريعين ·

☐ تروفونيوس **Trophonios**

هو في الأصل معمار شهير اشترك مع حميه أغاميـد في بنام معبـد أبولون في دلفي ثم قتل حماه فابتلعته الأرض ثم أصبح مؤلها واختص بمهبط وحي في بيوتيـا حيث تقيم روحه في نفق يدخله المستشيرون فيقدمون قرابينهم ثم ينامون على أمل أن يتلقوا وحي هذا الآله الأرضي ·

☐ تريلوس **Troïlos**

هو أحد أبناء بريام آخر ملوك طراودة من زوجتـه هيكوب ويصل نسبه الى الاله ابولون · وقد زعمت احدى النبوءات أن طراودة لن تسقط في يد الاغريق اذا بلغ تريلوس سن العشرين · ولذلك بادر آخيل الى قتله حين قبض عليه وهو يسقي جياده خارج أسوار بلدته · وتقول رواية أخرى ان آخيل أحبه وأراد أن يتقرب منه فخاف تريلوس والتجأ الى معبد الاله ابولون فغضب آخيل وداس القوانين المقدسـة بأن قتله على مذبح الاله ·

وقد ظهر ترويلوس على بعض الآنية اليونانية • وتوجد صورة له مائية اتروسكية تمثله وهو يسقي جياده من ينبوع حيث كمن له أخيل ليقتله •

☐ تريبتوليموس Triptolème

هو ابن سيليوس ملك ايلوزيس من زوجته ميتانير • حين هجرت ديمترا الأولمب عقب اختطاف ابنتها برسفونة أكرم سيليوس وفادتها فارادت ، اعترافاً بجميله ، أن تمنح الخلود لابنه الأصغر ديموفون وأخذت تجري عليه بعض عملياتها السرية ففاجأتها أمه وهي تلقيه في النار المقدسة لتطهيره فأنكرت فعلها فتحول حنان ديمترا الى الأخ الأكبر تريبتوليموس وعلمته الزراعة ومنحته محراثاً تجره التنانين وكلفته بأن ينشر الزراعة في العالم فلقي في مهمته هذه كثيرا من الصعوبات والمخاطر كانت ديمترا تخلصه منها • وحين خلف أباه على عرش ايلوزيس أسس طقوس عبادة ديمترا السرية • هذا وتجعله بعض الروايات ابناً لأوقيانوس وغايا •

وكانت صورته تظهر على الأواني القديمة بشكل شيخ عجوز ملتح يمسك الصولجان بيد وحزمة من سنابل القمح بيد أخرى رمزاً للسيطرة على الخصب وأصبح في العصور المتأخرة يصور على هيئة فتى جميل عار يقف بين راعيتيه ديمترا وبرسفونة •

☐ تريتون Triton

اله بحري طيب ومخيف • استورد البحارة اليونان عبادته حتى أصبحت له أسطورة خاصة وصار يعد ابن بوزيدون اله المياه من زوجته أمفتريت • ويشتهر تريتون بالنفخ في القوقعة الهائلة كما يعزف أحياناً على القيثارة • وله صور مختلفة أشهرها جسم انسان ينتهي بذيل سمكة أو بذيلين وقد يبدو على هيئة نصف حصان • ويعبده البحارة اذ يعتبرونه مهدئاً للامواج العاتية ووسيطاً بينهم وبين أبيه بوزيدون • ومن مآثره أنه أرشد الأرغيين الى الطريق الصحيح ومنها انه حسر مياه الطوفان وسكن آلام البطل الطراودي اينياس •

☐ تليبوليم **Tlépolème**

هو ابن هرقل من أستيوشة اشترك في الحملة التي أخضعت بلاد اليونان لذرية هرقل وأصبحت ارغوس من نصيبه الا انه طرد منها بسبب قتله عمه خطأ • فالتجأ الى جزيرة رودس حيث أصبح ملكاً عليها وأسس فيها عدة مدن • ونظراً لأنه كان أحد الطامحين الى الاقتران بهيلين واقسم كغيره من الأمراء المتنافسين على نصرة من تختاره فقد انضم الى الحملة الذاهبة الى طراودة بأسطول صغير حيث قتل في الميدان• وقد انتقمت زوجته بوليكسو من هيلين بعد ذلك لأنها كانت سبب الحرب الطراودية التي أدت الى مقتله •

☐ تليماك **Télémaque**

هو ابن أوليس من بينيلوبة • غادره والده الى حرب طراودة طفلا فشب في غيابه ودافع عن أمه ضد مضايقات خطابها الفاسدين • وقد مضى للبحث عن أبيه بتوجيه من مانتور وبرعاية من الآلهة أثينا • فمر بالملك نسطور الذي أرسل معه ابنه الى مينيلاوس وعاد خائباً ليجد أباه قد سبقه بقليل الى ايثاكا وكان لايزال في ضيافة الراعي أوميوس فتعارفا ودبرا مقتلة لخطاب بينيلوبة • وتنسب الأساطير الى تليماك زوجات عديدات منهن الساحرة كيركة أو ابنتها (اخته من أبيه) •

وقد ظهرت صور تليماك ضمن الآثار التي تصور مغامرات والده ومنها صورة على وعاء يعود الى القرن الخامس ق•م يبدو فيها وهو يواسي أمه الحزينة العاكفة على نولها •

☐ تندار **Tyndare**

هو ابن أوبالوس وغوغوفونة • طرده أخوه من اسبارطة ولكنه عاد اليها وملكها بمساعدة هرقل • وقد تزوج ليدا بنت ثيستيوس ملك ايتوليا الذي حماه أثناء محنته • وكان زوس يحب ليدا ويزورها متنكرا في هيئة لقلق • ولهذا يعد الأخوان ديوسكور رسمياً أبناء تندار وفعلياً أبناء زوس • وقد أصبحا في عداد الآلهة • ومن ذرية تندار هيلين وكليتمنسترة • وقد تزوج مينيلاوس هيلين وخلف

تندار على عرش اسبارطة وظلت نهاية تندار غامضة الا أن احدى الروايات تزعم أن اسكولاب اله الطب بعثه من موته وآلهه ٠

☐ توسر أوتوكروس **Teukros - Teucer**

١ ـ هو ابن الاله النهري الفريجي سكاماندر من الحورية ايدايا ٠ غادر موطنه الأصلي كريت الى آسيا الصغرى حاملا معه عبادة الآلهة سيبيل فأصبح أول ملك أسطوري على طراودة وقد زوجه داردانوس ابنته وأعطاه مملكته ٠ واليه ينسب الطرواديون ٠ وهو والد أريختونيوس وجد تروس ٠

٢ ـ أمهر رماة النبل عند الاغريق المحاصرين لطروادة وهو ابن تيلامون أخي بريام ٠ ويعد أخاً غير شقيق للبطل أجاكس الكبير ٠ كان في عداد الأبطال الذين اقتحموا طروادة في جوف الحصان الخشبي ٠ وقد اختلفت الروايات حول مصيره بعد عودته من فتح طروادة فتقول احداها أنه عوقب لعدم منعه أجاكس من الانتحار وطرد من مدينة أبيه سلامين فالتجأ الى بيلوس ملك صور فأعانه مضيفه هذا على العودة الى قبرص ٠ وتقول رواية أخرى أنه حاول عبثاً استعادة عرشه فغادر مدينته الأصلية الى اسبانيا حيث أسس مدينة قرطاجنة ٠

☐ توشة **Tuchê**

ومعناها القدر وهي الهة يونانية تشخص الحظ الحسن والسيء ٠ وتقابلها عند الرومان فورتونا ٠ وقد أصبحت في العصر الهيلينستي حامية لمدن عديدة ٠ وتكتسب حمايتها عادة بأن يبنى لها معبد ينصب فيه تمثالها ٠ ومن أشهر تماثيلها الباقية توشة الانطاكية التي ينبثق العاصي كاله نهر من تحت قدميها ٠ وقد انتشرت هذه الصورة ونسخت على بعض النقود ٠ وتمثل توشة عادة على هيئة امرأة متوجة بتاج المحاربين البواسل تمسك بيدها قرن الوفرة ودولاب الدفة رمزاً للحظ الذي يمكن أن يتجه نحو السعد أو النحس ٠

☐ تيبر أو تيبرينوس **Tibre**

هو النهر الشهير الذي يمر بروما واله هذا النهر ٠ أخذ اسمه من تيبرينوس ملك آلب لا لونغ الذي غرق في هذا النهر ٠ ويصور بهيئة شيخ ذي لحية خضراء وملامح طيبة ٠ وقد عبده سكان روما وأقاموا على شرفه أعياد تيبرينااليا في ١٧ آب

وحين وصل البطل الطروادي اينياس واصحابه الى ايطاليا ماعدهم اله النهر هذا حين ساروا في مجراه · وظهر لاينياس فنصحه بأن يذهب الى أعالي واديه ليصل الى ايفاندر ملك روما القديمة المتواضعة · ويعتقد الرومان أن التيبر أنقذ حياة بطليهم روموس ورومولوس حين القيا في سلة الى مياهه · وقد تزوج تيبر النبية مانتو فانجبت له بيانور الذي أسس مدينة مانتو وكان أول ملوكها ·

ويوجد في متحف اللوفر تمثال لاله النهر تيبر يمثله في هيئة شيخ طيب متكيء وفي احدى يديه المجداف رمز التجارة والتجار وفي اليد الثانية قرن الوفرة رمز قوة العطاء الموجودة في مياهه والى جانبه الذئبة وهي ترضع روموس ورومولوس مؤسسي روما ·

☐ تيتان Titans

يطلق هذا الاسم على أبناء أورانوس وغايا الاثني عشر وهم ستة ذكور أسماؤهم « اوقيانوس وكوس وكريوس وهيبريون وجابيت وكرونوس » وست بنات هن « تيثيس وثيا وثيميس ومنيموزين وفوبيه ورييا » وتختص البنات وحدهن باسم تيتانيد وأما اسم تيتان فيشملهن مع اخوتهن الذكور · كما يشمل الذرية التي ولدت من تزاوج هؤلاء الاخوة والأخوات · وحين استفحل أمرهم أراد والدهم أورانوس أن يلقيهم في أعماق الجحيم وقد ألقى بعض ذريتهم فعلا فتآمرت زوجته مع أبنائها ضده فخصوه وأجبروه على التخلي عن العرش وحكموا بدلا منه بقيادة كرونوس الذي تزوج أخته رييا ·

وخشي كرونوس من أبنائه على عرشه فأخذ يلتهمهم الواحد تلو الآخر · ونجا منهم ابنه زوس بأعجوبة واستطاع أن يقيده وسقاه شراباً مقيئاً جعله يلفظ أبناءه من جوفه · وتعاون زوس مع اخوته هؤلاء فشنوا حرباً ضد أعمامهم التيتان وتمركز في جبل الأولمب بينما تمركز التيتان على جبل اوثريس في تساليا · وكانوا يتسلحون بالصخور الكبيرة بينما استعان زوس ببعض المردة الذين صنعوا له الصواعق والاسلحة الفتاكة فكان النصر حليفه وأعلن بعض التيتان ولاءهم له بينما القي الآخرون في أعماق الجحيم · ويرى بعض المفسرين أن الارضية الواقعية لهذه الحرب كانت حدوث اضطرابات جيولوجية في تساليا أولها العقل الأسطوري بصراع

بين جيلين من أجيال الآلهة • ويمكن أن تحمل هذه الحرب الاسطورية معنى انسانياً بتمثيلها الصراع بين الهمجية الغريزية وبين النظام والعدل ممثلين في حكومة زوس •

☐ تيتيوس Tityos

هو مارد ولدته ايلارا بنت ملك أورشومين نتيجة حب بينها وبين زوس وقد ولد تيتيوس في جوف الأرض حيث خبأ زوس حبيبته ولهذا يعتبر انه الأرض وقد هام بليتو بها وحاول اغتصابها فقتله زوس بصواعقه • وفي رواية أخرى أن أبولون وارتيميس ارديا. بسهامهما انتقاماً لكرامة أمهما • ثم ألقته الآلهة في أعماق الجحيم حيث يعكف عقابان على قضم كبده باستمرار لأن الكبد عند الاغريق مقر الغرائز البهيمية وارادة القوة • ويظهر تيتيوس على بعض الآنية الاغريقية ماردا ملتحياً يخر تحت سهام أبولون وأرتيميس وقد تبدو أمه في بعض الصور وهي تحاول حمايته •

☐ تيثونوس Tithonos

هو ابن لاوميدون أحد ملوك طروادة الاسطوريين وكان الأخ الأكبر لبريام وأمه ستريمو بنت سكاماندر اله النهر ونظرا لجماله الأخاذ فقد أحبته ايوس الهة الفجر وتزوجا وأنجبا ولدين هما ممنون وايماثيون • وقد طلبت له الخلود من زوس ونسيت أن تطلب الشباب الدائم فشاخ حتى تيبست أعضاؤه وانطوى بعضه على بعض وعندئذ حولته ايوس الى صرصور وقد أصبح تيثونوس رمزا للشيخوخة الدائمة •

☐ تيثيس Téthys

هي احدى الهات الجيل القديم من آلهة اليونان • كانت ابنة أورانوس وغايا واخت أوقيانوس وزوجته وأما لعدد كبير من البنات والأبناء كحوريات البحر وآلهة الأنهار والينابيع ومعنى اسمها (المرضعة) لأنها كانت ترمز الى قوة الماء الخصبة ، وهي التي تمد الطبيعة بالرطوبة والري •

☐ تيديوس **Tydée**

هو ابن أونوس ملك كاليدونيا ووالد ديوميد • ارتكب في شبابه جريمةقتل استحق عليها النفي فالتجأ الى أدراست ملك ارغوس الذي قبل أن يطهره ثم زوجه ابنته فاصبح عديلا لبولينيس بن أوديب المطرود من طيبة • وقد اشترك تيديوس في حملة القادة السبعة ضد طيبة مع حميه أدراست وكان أحد أبطالها الملمين • ولكنه أصيب بجرح مميت في مبارزة مع ميلانيبوس الذي أصيب بجرح مماثل • وقد حزنت الآلهة أثينا لاصابة تيديوس وهمت أن تمنحه الخلود الا أنه حين تلقى جمجمة خصمه فتحها وأكل دماغها فتقززت أثينا من وحشيته وتركته يموت •

☐ تيرسيشور Terpsichore

هي حورية الغناء الجماعي والرقص • وقد اعتبرت أما للسيرينات (أي الحوريات المغنيات) اللواتي يملكن مثلها القدرة على سحر من يسمعهن • ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد اعتبرت حورية الشعر الغنائي والكورس المسرحي • وتمثل عادة على شكل فتاة مرحة تعزف على قيثارتها •

☐ تيرمينوس **Terminus**

هو اله روماني لحدود الحقول ، وكان الرومان يقيمون في الثالث والعشرين من شهر شباط الاحتفالات التيرمينالية على شرفه فيجتمع الجيران في وليمة تقدم فيها القرابين بالقرب من حجارة الحدود التي ما لبثت أن أصبحت تعبد كآلهة ذات شخصية • وتوجد صلة وثيقة بين جوبيتر وتيرمينوس حتى أن كبير الآلهة عبد تحت اسم جوبيتر تيرمينوس • ويقال أن تيرمينوس هو الآله الوحيد الذي لم يتنازل لجوبيتر عن حقه في الأرض التي أقام عليها معبده في الكابيتول ولذلك يوجد في المعبد نفسه حجر مقدس يرمز الى الحدود •

☐ تيرو **Tyro**

هي ابنة الملك سالمونيوس • مات أبوها وأمها وهي صغيرة فنشأت عند عمها كريتيوس وأساءت زوجة أبيها سيديرو معاملتها • وقد أحبت اله النهر اينيبيوس

الا ان بوزيدون تنكـر في هيئتـه واغواها فولدت منه التوأمـين بيلياس ونيليوس فنبذتهما ولكنهما عندما شبا عادا الى امهما وانتقما لهـا من سيديرو • وتزوجت تيرو فيما بعد عمها كريتيوس وانجبت منه ثلاثة أولادكان أحدهمايزون والد البطل جازون ثم اختطفها عمها الآخر سيزيف انتقاماً من أخيه فولدت منه ولدين ذبحتهما في الحال •

☐ تريزيـاس Tirésias

هو كاهن من أصل اسبارطي يعد مع كالشاس أشهر أصحاب النبوءات الأسطوريين وقد اكتسب قدرته على التنبؤ في ظروف غريبة اذ رأى ثعبانين متشابكين فقتلهمـا واذا به ينقلب امرأة • وقد أمضى سبع سنوات في حالته الأنثوية حتى رأى الثعبانين على حالتهما السابقة مرة أخرى فعاد ذكراً • وبما أنه خبر الجنسين الذكر والانثى فقد حكمه زوس وهيرا في خلاف نشب بينهما حول الحب فأسخط حكمـه هيرا التي ضربته بالعمى • ويقال ان التي أصابته بالعمى هي أثينـــا جزاء اختلاسه النظر اليها وهي تستحم• فأعاضه زوس بأن منحه القدرة على التنبؤ وكتب له عمراً مديداً يبلغ سبعة أمثال عمر الانسان العادي • ولذلك دخل تيريزياس في أساطير عديـدة جرت في أوقات متباعدة منها انه كشف لأوديب جريمته المشؤومة غير المتعمدة وأنه تنبأ بحرب القادة السبعة ضدطيبة وأكد أن النصر سيكون لطيبة اذا ضحىمينوسيوس بن كريون بنفسه • وقد نصح الأبيغونيين بعد ذلك بعقد هدنة والخروج من طيبة ورافقهم في سفرهم فالجأه العطش الى نبع تيليفوز الذي كانت مياهه متجمدة فشرب منها ومات واحتفظ بقدرته على النبوءة بعد موته اذ نصح أوليس حين قابله فيالعالم السفلي بأفضل الوسائل للعودة الى وطنه • وخلف بعده بنتاً هي مانتو •

☐ تيفـون Typhon

هو مارد فظيع ولدته غايا الارض التي اقترنت بالترتـار أو أعماق الجحيم كي تنتقم لأبنائها التيتان الذين قهرتهم آلهة الأولمب • وكان تيفون ذا مئـة رأس تنيني تنفث اللهب وذا مئة ذراع ، وكانت الثعابين تخرج من فخذيه • وقد شن حرباً على الآلهةوهزمهم جميعاً قبل أنيتدخل زوس وعندما تدخل هذا أسره تيفونوحبسه

في غاره بعد ان قطع أوتار عضلات أطرافه · ولكن هرقل خلص الاله الكبير فانطلق وقذف تيفون بصواعقه فارداه ودفنه تحت جبل اتنا حسب ارجح الروايات حيث لا يزال ينفث اللهب من فوهته · وقد تزوج ايشيدينا التي ولدت منه عدداً من الخلائق الرهيبة مثل سيربير وشيمير والاسفنكس والهاربيات ··· ويقال انه أنجب هذه المخلوقات من هيرا التي اتصلت به انتقاماً من زوجها زوس لانه ولد اثينا بدون مشاركتها ·

وترمز أسطورة تيفون الى الصراع بين العناصر الأرضية المظلمة الفوضوية والعناصر السماوية النيرة النظامية وقد يكون لهذه الأسطورة أصل واقعي يتمثل في انفجار بركاني هات دمر جزر الأرخبيل اليوناني وخلف للبشر ذكريات الرعب ·

وتوجد في متحف ميونيخ صورة مائية تمثل القتال بين تيفون وزوس الذي ينقض عليه والصاعقة في يده اليمنى ·

☐ تيلامون **Télamon**

هو ابن اياكوس ووالد البطل أجاكس الكبير وشقيق بيلياس والد البطل أخيل اشترك في قتل أخيه غير الشقيق فوكوس فطرد من وطنه ايجين · والتجأ الى ملك سالامين الذي طهره من ذنبه وزوجه ابنته ، وقد حكم سالامين بعد وفاة حميه وزوجته واشترك في رحلة الأرغيين وصيد الخنزير البري في كاليدونيا واعان هرقل في قتاله الأمازونات ثم في صراعه مع لاوميدون ملك طروادة · وقد زوجه هرقل ابنة هذا الأخير مكافأة له على جهوده ·

☐ تيلشين **Telchines**

اسم يطلق على نوع من أنصاف الآلهة كانوا في الأصل كهان جزيرة رودس ويعدون تارة من نسل بوزيدون وتارة معلميه · وقد انتشروا في كريت وبيوتيا أيضاً وكانوا في الأصل طيبين الا انهم خلفوا ذرية شريرة تتمثل في هيئات حيوانية ـ انسانية كأن يكون لأحدهم ذيل سمكة أو جسم أفعى مع رأس انسان · والى هذه الكائنات كانت تنسب الكوارث الطبيعية التي تحل برودس مثل الزلازل والبراكين

والثلج والبرد ٠ وتشبه هذه الكائنات بالسيكلوبات وقد ينظر اليها كجن يعيشون تحت الأرض ويمتلكون القدرة على صهر المعادن وفن الحدادة ٠ وهم الذين صنعوا معزف كرونوس وحربة بوزيدون المثلثة ولكن أفعالهم الشريرة طغت على مهارتهم وأثارت حنق الآلهة عليهم فمسخهم زوس صخوراً ويقال أن أبولون صرعهم بسهامه ٠

☐ تيلوس **Tellus**

آلهة رومانية لخصب الأرض ٠ كانت تعبد تحت اسم الأم الأرضية ٠ وتمثل بهيئة امرأة ذات أثداء عديدة ٠ وبما أنها من آلهة الوفرة فقد الحقت بآلهة العالم السفلي ، وكانت على كل حال ترعى ازدهار النوع الانساني وتحمي الغلال وتشبه عند الاغريق غايا ٠ ومع الزمن أضاعت تيلوس معالمها الخاصة منصهرة في سيريس وديمترا وسيبيل ٠

وقد عبد منها أيضاً شكل مذكر يسمى تيلومو اعتبره الرومان ممثلا للقوة المغذية للأرض ٠

☐ تيليسفورس **Telesphore**

هو ابن اله الطب أسكولاب وأخو هيجيا ٠ كان مثل والده آلها للشفاء ٠ وقد انتشرت عبادته في برغام في العصر الهيلنستي حوالي سنة ٢٠٠ ق٠م ووجدت صور له في آسيا الصغرى وهو يرتدي معطفاً عريضاً وقبعة فريجية ٠

☐ تيليغونوس **Télègonos**

هو ابن أوليس من الساحرة كيركة وهي التي دفعته الى البحث عن أبيه فسار مع أصحابه حتى وصل الى ايتاكا واستولى أصحابه على بعض القطعان فنشبت بينهم وبين السكان معركة٠ وكان قائد الايتاكيين اوليس نفسه فقتله ابنه بحربة مصنوعة من عظام سمك الرنك دون أن يدري ٠ وهكذا تحققت النبوءة التي أخبرت اوليس بأن البحر سيقتله بيد ابنه ٠ وحين اكتشف تيليغونوس جريمته بكى طويلا وعاد بجثة أبيه الى أمه كيركة التي أقامت له الاحتفالات الجنائزية اللائقة ٠

وتزوج تيليفونوس فيما بعد بينيلوبة زوجة أبيه وانجبت منه ايتالوس الذي ارتحل الى ايطاليا وسميت باسمه ·

☐ تيليفوس Télèphe

هو ابن هرقل من أوجيه التي نبذته على الجبل حين ولدته فالتقطه الرعاة وقدموه الى الملك كوريثوس فنشأ عنده · وحين شب استشار وحي دلفي في أمر والديه فأشار عليه العرافون بأن يذهب الى ملك ميزيا الذي كان قد تزوج أمه · فامضى مدة عنده حليفاً للطرواديين وصار ملكاً على ميزيا واشترك في صد هجوم أسطول يوناني وقتل عددا من أبطال قومه مثل ثيرساندروس بن بولينيس · ولكن الآله ديونيزوس أصابه بالخبل فوقع في أحد الكروم حيث جرحه آخيل جرحاً لم يستطع أن يبرأ منه واخبر الوحي الأغريق بأن طروادة لن تسقط الا بمعونة تيليفوس فعاد آخيل الى جريحه وشفاه بلمسة من حربته الصدئة وعرفانا للجميل دله تيليفوس على أفضل الطرق لاقتحام طروادة ·

تيليفوس في الفن : تبدو صوره على العديد من الاواني الاغريقية والتوابيت والأحجار الكريمة والصور الجدرانية الأتروسكية رجلا ملتحياً عارياً أو لابساً وهو يعاني الآلام من جرحه · وله صورة في معبد هركولانوم يبدو فيها طفلا ترضعه وعلة ويبدو أمامه تشخيص أركاديا كما يظهر في طرف الصورة والده هرقل ·

☐ تيمينوس Téménos

١ ــ ابن بيلاسغوس · يقال انه التقط الآلهة هيرا عندما ولدت على جزيرة ساموس وانشأها في أركاديا وبنى لها ثلاثة معابد ، الأول للآلهة الطفلة والثاني لها وهي زوجة لزوس والثالث لها وهي منفصلة مؤقتاً عنه ·

٢ ــ أحد أحفاد هرقل· أراد مع اخوته وابنائهم أن يستولي على شبهجزيرة المورة · ولكن أحدهم قتل كارنوس شاعر اكارنانيا الذي دخل المعسكر الاغريقي لينشد أشعاره النبوئية ، فغضبت الآلهة لمقتله ودمرت الأسطول الاغريقي بالعواصف وأصابت الجيش بالمجاعة الى أن تم نفي القاتل واستشار القوم وحي دلفي فأشار

عليهم بأن يبحثوا عن دليل بثلاث عيون فكان ذلك الدليل اوكسيلوس الأعور ممتطياً جواده · وهكذا دخلوامقاطعة الايليدوسيطروا على شبه جزيرة المورةواقتسموها

☐ تينيس Ténès

هو ابن سيكنوس · وكانت زوجة أبيه قد شكته الى والده فوضعه في صندوق والقاه في اليم فرسا على شاطىء جزيرة تينيدوس حيث أصبح ملكاً عليها ثم عبد كبطل ·

☐ ثاليا Thalie

ربة الكوميديا والشعر الضاحك · وتمثل على هيئة فتاة مرحة بيدهااليمنى ضفيرة نباتية وباليسرى قناع الكوميديا بينما يزدان راسها بنبات اللبلاب · وتعد ايضاً ربة المراعي والرعاة ولذا تبدو احياناً وفي يدها عصا الراعي ·

☐ ثاميريس Thamyris

هو ابن فيلامون والحورية أرجيوبية · ويعد مع اورفيوس أشهر شعراء اليونان الأسطوريين تعلم الغناء والموسيقا من لينوس وعلمهما هوميروس · وكان هذا الشاعر التراقي كثير الابداع نافس الآله أبولون في حب الحورية هياسانت فأوغر هذا الاله عليه صدر ربات الشعر بأن زعم لهن أن ثاميريس يدعي التفوق عليهن فاصبنه بالخرس والعمى فحطم معزفه ورماه في نهر باليرا ·

☐ ثاناتوس Thanatos

ذكره أوريبيدس كاله للموت في روايته السيست · وفي الحقيقة أنه أقرب الى أن يكون رسول الموت لا الموت نفسه · وقد كان يقطن الجحيم حيث ولد من الهة الليل وتوأمه هيبنوس (النعاس) ولم يكن للتوأمين ولا لنظيرهما الرومانيأوركوس أية أسطورة خاصة · ويمثل بهيئة فتى يمسك بيده مشعلا مقلوباً وبالأخرى تاجاً أو فراشة والترن في بعض الصور بأخيه هيبنوس متقلدا سيفاً ومتمتعاً بجناحين كبيرين كما في النقش الموجود على أحد أعمدة معبد آرتيميس في ايفيز ·

☐ ثومـاس **Thaumas**

اله من الرعيل الأول للآلهة اليونانية • وهو ابن بونتوس مـن غايا • تزوج ايليكترا بنت أوقيانوس فولدت منه أصنافاً من الأوبئة والغيلان كما ولدت منـه ايريس رسولة الآلهة المحبوبة •

☐ ثوواس **Thoas**

هو ابن ديونيزوس وآريان وقد ملك ليمنوس وكان الرجل الوحيد الذي نجا من بين رجال ليمنوس الذين قتلتهم نساؤهم لما أهملوهن اثر لعنة أفروديت • وقد أنقذته ابنته والتجأ الى قبرص • وفي رواية أخرى أنه مضى الى توريد في شبهجزيرة القرم حيث تختلط أسطورته بأسطورة ملكهـا الذي عملت ايفيجنيا بنت آغامنون كاهنا في بلاده للآلهة آرتيميس • وقد فرت مع أخيها أورست وقتل الملك •

☐ ثيـا **Thya**

هي بنت كاستاليوس كاهن ديونيزوس او اله النهر سيفيز • احبهـا أبولون وولدت منه دلفوس الذي سميت باسمهمدينة دلفي• وقد أسست ثيا أعياددبونيزوس التي كانت نساء أثينا يقمنها كل سنة على قمة البارناس • وتسمى النساء اللواتي يفتتحن الاحتفالات الديونيزوسية ويثرن حماسة النساء فيها بالثيادات أو الميناداتِ•

☐ ثيـانو **Théano**

هي بنت الملك التراقي سيسيوس • تقول احدى الروايات انها أخت هيكوب زوجة بريام • وقد تزوجها أنتينور الطروادي‌وأصبحت سادنة لمعبد أثينا فيطروادة وأحسنت استقبال أوليس ومينيلاوس رسولي اليونان في أمر ارجاع هيلـين التي اختطفها باريس • ولذلـك حفظ عليها اليونان حياتها وحيـاة زوجها وأولادها • وتقول رواية أخرى انها انما أحرزت حياتها ثمناً لخيانـة وطنهـا اذ دفعت الى اليونانيين تمثال أثينا الحامي للمدينة •

☐ ثيتيس Thétis

هي بنت نيريوس ودوريس من أشهر حوريات البحر بنات نيريوس • وكانت أجملهن واشتهرت بحسن ضيافتها حتى أنها استقبلت هيبايستوس بعد أنقذفهزوس الغاضب من أعالي الأولمب • ويقال انها لم تقبل الزواج بزوس لئلا تغيظ زوجته هيرا التي كانت مربيتها • ويقال أن كلا من زوس وبوزيدون خشيا الزواج بها لنبوءة أكدت أنها ستلد غلاماً يفوق أباه • وأخيرا حظي بها بيلياس الانسان الذي استطاع أن يخضعها لحبه وارادته بعد ملاحقات عديدة كانت فيها تغير هيئتها بصور شتى • وازدان حفل زفافهما بحضور الآلهة الذين قدموا الهدايا للعروسين ، الا أن ايريس آلهة الشقاق غيظت لعدم دعوتها والقت في الحفل تفاحتها الذهبية المشؤومة التي سببت حرب طروادة • وأنجبت ثيتيس أخيل الشهير ، وقد مر في ترجمته انها حاولت تجنيبه أخطار الجروح فغمسته في نهر ستيكس ما عدا كعبيه ••• وبعد مقتله أحاطت ابنه نيوبتوليم بعنايتها وجنبته الغرق الذي حل بالأسطول اليوناني عند عودته الى الوطن •

☐ ثيرساندروس Thersandros

هو ابن بولينيس وحفيد اوديب • كان أحد الأبيغونيين الذين استطاعوا اقتحام طيبة بعد فشل آبائهم في تحقيق هذا الهدف وقد انضم الى الاسطولاليوناني الذاهب لغزو طروادة الا ان مركبه حط على رمال شاطىء ميزيا فقتله ملكها تيليف • تزوج ديموناسا احدى بنات أمفياروس أحد القادة السبعة فولدت لـه تيسامينوس الذي حكم طيبة فيما بعد •

☐ ثيرسيت Thersite

هو أحد المقاتلين اليونان تحت أسوار طروادة اشتهر بقبحه وجبنه وخبثه وتروى حول موته قصتان أحداهما أنه حاول اثارة فتنة في الجيش فقتله أوليس ، والثانية انه شوه جسم ملكة الأمازونات التي كـان أخيل قد جرحها جرحاً مميتاً ووقع في حبها مع ذلك فما كان منه الا أن عاقب ثيرسيت ساحقاً جمجمته بقبضة يده•

☐ ثيسبة Thisbé

انظر بيرام .

☐ ثيسبيوس Thespios

هو ابن أريختيوس . كان ملك ثيسبيا في بيوتيا . وقد استقبل في بلاطه هرقل بعد أن قتله ليث سثيرون . وكان له خمسون بنتاً تزوجهن هرقل جميعاً فمن قائل أن زواجه بهن كان خلال خمسين ليلة ومن قائل أنه تم في ليلة واحدة .وقد انجب منهن خمسين ولداً منهم من اقام في ثيسبيا ومنهم من سافر الى طيبة أو غيرها من الجهات وأسس المستعمرات .

☐ ثيسيوس Thesée

هو ابن ايجيوس ملك أثينا من زوجته ايترا بنت ملك تريزين . وقد ترك ايجيوس زوجته الحبلى عند أبيها واوصاها اذا ولدت غلاماً ألا تخبره باسم أبيه الا اذا بلغ أشده وأصبح قوياً بحيث يستطيع رفع الصخرة الثقيلة التي خبأ تحتها ايجيوس سيفه وحذاءه . وقد ظهرت على ثيسيوس مخايل الشجاعة ورباطة الجأش منذ طفولته فيروى أن هرقل عندما زار بلاط جده رمى جلد الليث الذي كان يرتديه فهرب الجميع من منظره الا الطفل ثيسيوس الذي امتشق حسامه واستعد لقتال الليث . وحين بلغ السادسة عشرة قادته أمه الى الصخرة فرفعها وتقلد سيف أبيه الذي أعلمته باسمه فقرر الالتحاق به ولم يقبل نصيحة أقربائه بأن يركب البحر الى أثينا تجنباً لأهوال الطريق البرية بل أصر على السفر براً وقتل في طريقه عدداً كبيراً من الوحوش وقطاع الطرق والكائنات المخيفة المؤذية . وعندما وصل الى أثينا وجد أن أباه يخضع فعلياً للساحرة ميديا التي كان قد تزوجها . وقد عرفت حقيقة ثيسيوس قبل أبيه وأوغرت صدره والقت في نفسه الخوف على عرشه منه واقنعته بدس السم له في الوليمة التي أقيمت على شرف الوافد الشجاع ولكن أباه عرفه من سيفه الذي جرده ليقطع به اللحم في المأدبة . وشمر الوالد بالقوة الى جانب هذا الولد القوي فطرد ميديا من قصره واستعاد سلطانه كاملاً . ولكن أبناء أخيه بالاس اغتاظوا لعودة ثيسيوس التي حرمتهم من وراثة العرش فشرعوا يتآمرون عليه مما حمله على قتلهم جميعاً .

وكانت أثينا يومئذ تدفع لكريت ضريبة سنوية بشرية تتألف من سبعة فتيان وسبع فتيات يرسلون الى كريت كل عـام ليأكلهم المينوتور وحش الجزيرة وقـد تطـوع ثيسيوس بالانضمام الى ركب الضحايا وحين وصل الى كريت انشاعلاقة حب مع آريان بنت الملك مينوس فاعطته خيطاً قاده الى مخبأ الوحش في التيه فاستطاع أن يقتلـه وعاد بآريان الى أثينا ولكنه تركهـــا في جزيرة ناكسوس ويقال أن ديونيزوس هو الذي أوحى اليه أن يتركها ليتزوجها • وحين اقترب ثيسيوس من شواطىء بلاده نسي أن يرفع الأشرعة البيضاء دلالة على النصر بدلا من الأشرعة السوداء • وكان على الشاطىء والده فرأى الأشرعة السوداء فظن أن ابنه قد هلك فألقى بنفسه في البحر منتحرا • وقد ملك ثيسيوس أثينا بعد أبيه ووحد جميع أقسام مقاطعة اتيكا وسن قوانين ديموقراطية لم يرض عنها الأغنيـــاء والنبلاء ودافع عن أثينا ضد الأمازونات اللواتي حاصرنها واختطف ملكتهن أنتيوبة أو هيبوليت وولد لهمنهاولد يدعى هيبوليت واشترك في رحلة الأرغيين وصيد الخنزير البري وأسس الأعيـاد الباناثينية على شرف الآلهة أثينا والأعياد الاستمية على شرف الاله بوزيدونوتزوج فيديرة أخت آريان فولدت له آكاماس وديموفون • واشترك مع صديقه بريثوس في خطف هيلين أخت الأخوين الماردين ديوسكور ثم انحدرمع بريثوس الى العالم السفلي ليختطفا برسفونة ولكن هادس خدعهما وأجلسهما على كرسي النسيان الذي ظل عليه بريثوس جالساً الى الأبد ، وأما ثيسيوس فقد خلصه هرقل بعد أشهر وعاد الى مملكته ليجد الاخوين ديوسكور قد خلصا اختهمـا وأجلسا بمعونة الأغنيـــاء على العرش رجلا آخر هو مينيستيوس • فالتجأ ثيسيوس الى ليكوميد ملك سيروس الذي تظاهر باكرامه ثم اغتاله بخسة • وقد أصبح ثيسيوس بطلا معبودا في آثيناواقيمت على شرفة أعياد ثيزيا كما جعل منه الأثينيون شخصية تاريخية اذ أكدوا أنهم شاهدوه في معركة الماراثون عام ٤٩٠ ق•م ومن أمثالهم السائرة «لاشيء يتم بدون ثيسيوس»•

☐ ثيميس Thémis

هي ابنة أورانوس وغايا وتنتسب الى الجيل الأول من الآلهة ، وقد تزوجهـا زوس قبل هيرا فولدت منه كائنات عديدة تتعلق كلها بالأقدار والمصير لأن ثيميس ذاتها تجسيد للعدالة والقانون • وكان الرومان يسمونها جوستيسيا • تبـدو في

الآثار الفنية على هيئة فتاة أنيقة مهيبة تحمل ميزانا وسيفاً وهما رمز العدالة وربما عصبت عيناها كناية عن عدم التحيز · وكانت لها القدرة على التنبؤ حتى ان وحي دلفي كان يعتمد عليها قبل اعتماده على ابولون ·

☐ ثيميستو **Themisto**

هي ابنة هيبسوس والزوجة الثالثة لأثاماس وحين عاد هذا الى زوجته الثانية اينو قررت ثيميستو أن تقتل أبناء ضرتها ولكي تميزهم في الليل البستهم ثياباً سوداء وألبست أبناءها ثياباً بيضاء · واكتشفت اينو المكيدة فبدلت ثياب أبنائها بثياب أبناء ضرتها ، وهكذا قتلت ثيميستو أبناءها ونجا أبناء أينو ·

☐ ثيا **Theia**

وتدعى أيضاً أوريفاسا وتعد احدى ربات الرعيل الأول · وهي ابنةأورانوس وغايا تزوجت أخاها المارد هيبريون وولدت منه هيليوس اله الشمس وسيلينة آلهة القمر وايوس آلهة الفجر ·

☐ ثييستوس **Thyeste**

هو ابن بيلوبس وهيبودامية وشقيق أتريوس وقد تعاون الأخوان على قتل أخيهما من أبيهما كريسيبوس فطرده والدهما والتجأ الى بلاط ملك ميسين حيث تنازعا على العرش الجديد · وأغوى ثييستوس زوجة أخيه اتريوس ولما أصبحهذا ملكاً طرد أخاه وحرمه ثم تظاهر بمصالحته ودعاه الى وليمة قدم له فيها ولديه مذبوحين فلعن ثييستوس أخاه اتريوس وذريته · وقد كان لهذه اللعنة أثرها فقد قتل آغا ممنون ابن أتريوس ثم قتل أورست ابن آغا ممنون أمه ·· الى غير ذلك من المصائب ·

★ ★ ★

في المكتبات

إعداد : أديب عزت

د. حسام الخطيب وملامح في الأدب والثقافة واللغة ..

يفتح د. حسام الخطيب في كتابه الجديد الذي صدر حديثا عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في القطر العربي السوري بعنوان « ملامح في الأدب والثقافة واللغة » ٤١٦ صفحة قطع كبير ... يفتح نافذة .. بل القضا .. على آداب اجنبية .. بتحدث عن قضايا أدبية وفكرية في العالم ..

يضم الكتاب مجموعة من الأبحاث والمقالات والدراسات التي كان د. حسام الخطيب كتبها ونشرها في دوريات عربية مختلفة ، وهذه المجموعة المختارة ، المنتقاة من بين : « مجموعة كبيرة من المقالات والأبحاث » لا يكاد يجمعها جامع من موضوع أو اختصاص ، سوى أن مؤلفها واحد واهتمامها بالثقافة والأدب واللغة والاجتماع منبثق من ينبوع واحد هو الالتزام بقضايا الوطن والعصر ..

وحول ذلك يقول المؤلف :

« انني نخلت واصطفيت وأبقيت ما أحسب أنه يفتح للقارىء كوة إما على باب بكر غير مطروق أو على زاوية غير مألوفة ، وآمل أن يكون في مجموع هذه الأبحاث اسهام في القاء ضوء ـ مهما صغر شأنه ـ على مسلسل الهموم الكبير الذي يحاصر الثقافة العربية اليوم » .

يخصص المؤلف القسم الأول من الكتاب للبحث في قضايا أدبية ، فيتحدث عن « ملامح مفهوم الحداثة في الأدب » و « الأيام وجوهر التجربة الانسانية » و « الموضوع الفلسطيني في القصة السورية » و « من قضايا الأدب المقارن » و « الأدب في معركة الصراع مع الذات » و « بعض قضايا المنهج في آداب النهضة » و « شكسبير عنوان غامض لتراث مشرق » ويختم هذا القسم ببحث : « الكلمة والشخصية » ٠

القسم الثاني من الكتاب يخصصه المؤلف لأبحاث ودراسات حول الثقافة ، فيتحدث عن : « ثنائيات المواجهة العربية للحضارة الحديثة » ، و « نحن والعالم واليوم » ، و « الفن ومعركة المصير » و « في معنى السلم والحرب » و « مع كولن ولسن وتجربته الفكرية » و « أفكار من قلب آسية » و « من مشكلات الترجمة ٠٠ المترجمون العرب الأوائل : طرائقهم ومشكلاتهم » و « التعليم في عالم متعدد الثقافات » ، و « الجنوح والطبقة » ٠٠

القسم الثالث والأخير يضم دراسات حول اللغة :

هموم اللغة العربية في عصرنا ٠

اللغة والمرأة ٠

النحو والنحاة ٠

أول أبحاث الكتاب بحث هام بعنوان « ملامح مفهوم الحداثة في الأدب » يتحدث فيه المؤلف عن اتجاهات أدبية شتى ظهرت في أوربا الغربية وأمريكا في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وكان يبدو في الظاهر أنها متناقضة ومتباينة الى حد لا يكاد يوحي بوجود شيء مشترك بينها ، ولكن : « المتمعن فيها يستطيع أن يهتدي الى خط عام ينتظمها بشكل رئيسي ، ويكاد يكون الخاصة المشتركة المميزة لها في كل ما عرف في تاريخ الانسانية من ألوان الأدب المختلفة ، وهو ما يمكن ان نسميه « الحداثة » ٠ ٠

وينبه المؤلف الى ضرورة التفريق بين كلمة الحداثة بمعناها العريض (الجدة والابتداء) وبين الكلمة الاصطلاحية التي تمت اليها بصلة اشتقاقية ودلالة قوية جداً وهي كلمة (الحداثية) ٠٠

ويتحدث المؤلف عن استخدام مصطلح الحداثة ودلالته في الأدب الانكليزي ، وعن العناصر التي تكوّن مفهوم (الحداثة) في الأدب ، ويدرس ويحلل هذه العناصر ، ويصل في سياق البحث الى الحديث عن ظاهرة الرفض ويرى أن هذه الظاهرة :

« أخذت أشكالا مسرفة وعجيبة في أوربا ، وقد انتقلت الى المنطقة العربية وشاعت في أدب الكثيرين من الشبان على سبيل التأثر والمحاكاة » ويلاحظ أنه : « حين يقرأ الانسان لهؤلاء الشبان يحس بصدق بعضهم وأصالة تجربته ، ولكنه يحس عند بعض آخر بأنه رافض لما هو غير موجود في مجتمعه »٠

ومما يقوله د٠ حسام عن ظاهرة الرفض وأساسها وجذورها :

« كان هناك أساساً تاريخياً لظاهرة الرفض في مجتمع أوربا الغربية بالذات، فقد نشأتهذه الظاهرة أصلا من فكرة الاحتجاج على الحرب وعلى الانظمةالسياسية التي جعلتمن هذه الاداة الجهنمية وسيلة لتصفية الخلافات والمنازعات، وقد تمثلت الموجة الأولى من هذا الاحتجاج في (الدادية) ابان الحرب العالمية الأولى ٠٠ اذ اجتمع لفيف من الشبان الذين رأوا في الحرب قضاء على الانسان وقيمه ، وأعلنوا الثورة على العلم الذي يقدم وسائل الحرب والدمار ، وعلى الفلسفة التي تسعى دوماً لتسويغ التضحيات وتزكية الأسباب اللاحقة لها ، لقد اختفت (الدادية) بعد الحرب ، الأولى ولكن الرفض استمر بأشكال مختلفة بعضها مجرد احتجاج انفعالي وبعضها عن وعي كامل ، ثم ان الحرب العالمية الثانية خلفت وراءها موجة من الرفض شبيهة من بعض الوجوه بما خلفته الحرب الأولى ، ولعل مجموعة الشبان الناضبين في بريطانيا تمثل كما يرى المؤلفهذه الظاهرة أصدق تمثيل وقد ظهرت هذهالمجموعة في الخمسينات ومن أبرز ممثليها جون أوزبورن مؤلف تمثيلية : « انظر الى الوراء بغضب » التي ظهرت عام ١٩٥٦ وكنفسلي أميس مؤلف « جيم المحظوظ » و « ذلك الشعور غير المؤكد » ولعله أعمقهم فناً ، وقد أثبت على الاقل أنــه أقدرهم على الاستمرار ، ويذكر مع هؤلاء الغاضبين أيضاً كولن ولسن ويقول المؤلف في سياق هذا البحث أنــه مع الرفض ومع الصدق ، نجد لدى أدباء العصر الحديث انكفاءا واضحاً باتجاه العالم الداخلي للانسان ، وانه بتأثير فرويد وبتضافر عوامل فكرية

واجتماعية أصبح الاهتمام باللاشعور سنة من سنن الأدب في هذا العصر لا يكاد يخلو منه انتاج أدبي ، وأكبر أدباء العصر مثل : فرانز كافكا ، وجيمس جويس وتوماس مان · و ت· س· اليوت ، كلهم متأثرون بنظريات فرويد ، على اختلاف شديد في التركيز على هذه الناحية أو تلك من تعاليمه أو في فهم منهجه » ·

ويدرس المؤلف « السريالية » التي : « تعد تجسيدا فنياً لمنهج فرويد لأنها قامت على ركيزتين أساسيتين من ركائز التحليل النفسي الفرويدي وهما : الحلم والطفولة ، ويرى المؤلف : « ان تأثير الموجة الطاغية من الاهتمام باللاشعور ، أي بالانسان الداخلي لا بتصرفاته الخارجية لم يقف عند حدود السريالية وما شاكلها من الاتجاهات ، فهناك نواح أخرى عديدة أهمها اعتماد الرواية في العصر الحديث اعتماداً رئيسياً على تيار الوعي كروايات جيمس جويس ، وفرجينا وولف ، ووليليام فوكنر ، وكثيرين غيرهم من مشاهير الروائيين في هذا العصر ·

ويرى المؤلف أيضاً في هذا المجال أن « الاغتراب » كان عاملا أساسياً في احياء الحس التاريخي لدى أدباء العصر الحديث بحيث أصبح السعي للعودة الى التاريخ والاتصال الحيوي بما أثر من الماضي من أساطير علامة مميزة للادب المعاصر ··

ويعرج المؤلف على دراسة ظاهرة الشعر الحر والرواية الجديدة ·· ويطرح السؤال التالي :

وماذا عن الأدب العربي ، وأين يقف أدباؤنا من نزعة الحداثة ومناتجاهات الأدب المعاصر في العالم عامة ؟ ويدرس انعكاس الحداثة على ضوء النظر الى تاريخ الأدب العربي الحديث ويصل الى الجواب ·· الى القول :

« ان الخط الذي نرى أنه قابل للنجاح في الأدب العربي باكمله هو ذلك الخط المتزن، المنطلق من معرفة بالجذور الثقافية العربية واحترام التيار الذوقي الموروث، والتصاق بالواقع العربي وقضاياه من جهة ، والاستعداد من جهة أخرى للتفاعل مع الأفكار المعاصرة المفيدة أينما كانت في العالم والاستفادة بوجه خاص من التجارب الفنية العالمية في مجال الشكل والتقنية » ·

وبعنوان : « من قضايا الأدب المقارن» يتحدث المؤلف عن المؤتمر الثامن للرابطة

الدولية للادب المقارن الذي عقد في بودابست بين الثاني عشر والسابع عشر من آب ١٩٧٦ ، ويعرف باتجاهات المؤتمر ومناقشاته ، ويتحدث عن الابحاث الرئيسية ٠٠

ويدرس بعض قضايا المنهج في عصر النهضة ، ويكتب عن شكسبير ٠٠ ويقدم عرضاً وافياً لحديث كولن ولسن الذي ألقاه مساء الخامس والعشرين من أيار١٩٧٤ أمام جمهور المركز الثقافي العربي بدمشق ٠٠

وفي « أفكار من قلب آسية » يعرض المؤلف ويحلل تجربته في مؤتمرين :

الأول : ملتقى المفكرين الأفروآسيويين في لاهور (١٠ــ١٤ شباط ١٩٦٥)

والثاني : ملتقى الوطن العربي والهند ، دلهي (١٥ ــ ١٨ شباط ١٩٦٥)

ويقدم ترجمة وافية لنص الكاتبة الهولندية رمك كروك وعنوان هذاالنص هو: « المترجمون العرب الأوائل: طرائقهم ومشكلاتهم » ويقدم هذا النص معلومات هامة عن اهتمام أجدادنا بحركة الترجمة وتوفير كل أسباب الرعاية لهـا ٠٠ كي تستمر وتزدهر ٠٠

ويعلق د٠ حسام على نص الكاتبة الهولندية ومما يقوله :

« صبت المؤلفة اهتمامها على الترجمات العلمية، ولم تشر الى الترجمات الأدبية، وعلى الرغم من أن اهتمام المترجمين الرئيسي كان متصلا بحقول العلم المختلفة فقد وجدت بعض الترجمات الأدبية ، منها مثلا (كليلة ودمنة) في مطلع العصر العباسي، وكذلك (الصحيفة الهندية) وكتابا (الخطابة) و (الشعر) لأرسطو ٠

وبعنوان : « التعليم في عالم متعدد الثقافات » يترجم المؤلف قسماً رئيسياً من محاضرة ألقاها د٠ توماس بري في مؤتمر للدراسات الشرقية اقامته جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية في ايلول ١٩٥٨ وتوماس بري هو مدرس التاريـــخ الآسيوي والديانات الآسيوية في جامعة سيتون هول بالولايات المتحدة ٠

وختام الكتاب دراسة معربة وملخصة عن الجنوح والطبقة ل٠ د٠ داونز وأبحاث عن هموم اللغة العربية في عصرنا ، واللغة والمرأة ، والنحو والنحاة ٠

مذكرات بورجوازي صغير
بين نارين وأربعة جدران

مجموعة من الخواطر والأفكار والتأملات في شؤون الانسان والأدب والثورة والحياة ، يضمها كتاب الكاتب والروائي الفرنسي المعروف ريجيس دوبريه ، الذي ترجمه د. سهيل ادريس الروائي والكاتب العربي اللبناني ، وصدر في بيروت بعنوان : « مذكرات بورجوازي صغير بين نارين وأربعة جدران » .

ودوبريه كتب هذه الخواطر ، الأفكار ، التأملات التي يقوم عليها كتابه الجديد ، في السجن فمن المعروف أنه : « في أثناء الحرب البوليفية ، اعتقلت السلطات بعد مقتل تشي غيفارا ، الكاتب الفرنسي دوبريه صديق غيفارا وحكمت عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً ، ولكن انقلاباً حدث عام ١٩٧٠ وخففت على أثره قيود الزنزانة عن دوبريه في سجن كاميري » وسمح له بان يقرأ ، وان يكتب .

و « مذكرات بورجوازي بين نارين وأربعة جدران » ثمرة تلك الأفكار والتأملات في السجن .. وفي كثير من مقاطع الكتاب يخاطب الكاتب والمناضل الفرنسي دوبريه نفسه ، متحدثاً عن كثير من هموم المناضلين والمثقفين :

« انه في سجنه . يعيش في صحراء تبعد الوف الأميال عن أوروبا ، وداخل أربعةجدران يكاد يعتبر نفسه جزءاً منها،فيلتزم صمتاً يتكون جرحه من الكلمات »

ان السجن هنا في الكتاب هو لحظة الحقيقة وقد امتدت على سنوات

ويتحدث مترجم الكتاب د. سهيل ادريس قائلا :

« .. وحين لقيت ريجيس دوبريه في ربيع ١٩٧٧ ، وحدثته عن رغبتي في ترجمة كتابه الى العربية قال انه يعتقد بأن الكتاب صعب ، ويتطلب فهمه ، فضلا عن التركيز ادراكاً مسبقاً لكثير من البواعث والاحالات ، وكان جوابي « اني كنت أعلم ذلك ، وأن هذا بذاته ما يشكل الاغراء ، ان لم أقل التحدي ، لنقله الى العربية

لا سيما وان قراءنا أصبحوا يعرفون دوبريه معرفـــة جيدة عبر كتابيه « ثورة في الثورة » و « دفاعاً عن الثورية » ٠

وفي مقدمة الكتاب يتحدث دوبريه عن الظروف التي كتب فيها هذا الكتاب ، ومما يقوله :

« ولكي أملأ بطالتي أنا المتوحد الى ابعد حد ، أخذت أسود يوماً بعد يوم ، دفاتر مدرسية ، أهي مفكرة بلا راس ولا ذنب ؟ أم مذكرات حميمة شبيهة بتلك التي كانت تخطها سابقاً في الأحياء الجميلة ، فتيات يرتدين أثواباً من التول ذات دائر خفيف دقيق ، لقد تغير الزمن ، واحسرتاه ، ومعـــه الأخلاق ، فوق مكتب مـــن الأكاجوه في غرفهن ذات الستائر المزرقة ؟ ان البطالة أم العيوب جميعاً ٠٠

وهذه اليوميات ، المذكرات التي لم تكن مرصودة للنشر نشرهـا المؤلف من أجل ان :

٠٠ وبان انشر هذه النتف التي لم تكن مرصودة للنشر ، بل لأن تتماسك في الحياة ، خطوط متكسرة ، خطوط هاربة ربما تتلاقى عند نقطة انسجام يود المرء اذا بلغها يوماً أن يلتقي عندها بعض أصدقاء ، ويبدو أن التعذيب والنضال والفناء قد هجرت هذه الاجترارات المنفرة بعض الشيء ، مكررات المتوحد هـذه ، ولعلها أن تكون في اضطراب الزمن ، أهـداب الطحالب والنفايات والزبـد التي تخلفها الموجة ، وهي تنحسر على الرمال ٠٠ »

ويتحدث دوبريه في مذكراته عن الشعر فيرى أن الشعر :

« الشعر امرأة ، وهناك لحظة في الحياة نتصرف فيها كالنساء تجاه الكلمات ، نغلق المصاريع ، ونشعل كتب الشعراء كشموع ملونة ، فتأتينـا صور وايقاعـات لتلتقط « اللحظـة » ونحنطهـــا ، وبـين الخامسة عشرة والثامنة عشرة « تقدير شخصي » تكون لحظة الهرب والرغبة الأولى ، وما أشد ما يجند الحب اللغة ويشعل النار في مكتسب من القراءات الجديدة ويدفع الى الجرأة والذكاء والاختراع ٠

ومن آراء دوبريه في كتابه «مذكرات بورجوازي صغير بـين نارين وأربعـة جدران » عن المثقفين قوله :

« اهزأ بالمثقفين ، ولكني لا أستطيع أن أستغني عن رفقة المناضلين ، ذلك شيء آخر اكتشفه في هذا السجن ، ان السمكة لاحاجة بها الى الماء ما دامت في الماء »

وعلى صعيد الحياة والصداقة والعلاقات الاجتماعية والانسانية فان دوبريه يرى :

« ان الأخلاقية هي أن يختار المرء أصدقاءه ، ألا يقبل أيا كان رفيقاً له أو صاحباً ، كما أن الشرف هو الا يقبل المرء أن يعيش كيفما كان ، ان الكائن اللا أخلاقي هو الذي يرفض الفرز ، لا يضع أي شرط للصداقة ، والمهم لديه أن يتصالح مع حضور بشري ما أياً كان يفلت من وحدته ، من نفسه ، منضجرذاته»

وعن الموسيقى والانفعال ودور الموسيقا يقول دوبريه :

ان الموسيقي لا يبكي وهو يستمع الى الموسيقى ، أما أنت فيتفق لك أن تبكي، حتى وأنت تسمع أغنية صغيرة أو لازمة تأتي من بعيد ، ان متعة متذوق للجمال ، أوهاو أو رجل ذوق سليم لا تعنيه ، فهو يضبطها ، وهو يربط أو يحل على هواه ، ولا حاجة له بها لكي يعيش بالرغم من أنه لا يستطيع أن يعيش بدونها ، أما أنت فمحتاج اليها كي تعيش ، لانعدام شيء آخر ، وهنا (في السجن) لما كان من المستحيل ماديا أن تنفعل لأنك وحيد وحدة صارمة ، مشدود الى كرسيك منذ ثلاثة أعوام ، ولأنك لم تبلغ بعد ، بالاتفاق ، أن تنفعل أنت نفسك ، فأنت بحاجة الى عشر دقائق من الموسيقى مسروقة من راديو مجاور لتكتب ثلاثة أسطر . »

وعن الكتابة والكلمات يقول دوبريه في مذكراته :

وبمقدار ما يكون الشق عميقا يكون الجرح ضيقاً والكلمات هي جرح الصمت، وان ايجاز الصورة الشعرية أو الاشارة النثرية « الكلمة في محلها » هو ما يتيح للحقيقة أن تنفجر انفجار الدم في عرق أو القيح في دمل ، ان من يتكلم ليسلي يصنع جملا ، أما من يتكلم تحت سلطة الحاجة فيتكلم بايجاز ، وفي هذا يشبه الكاتب الجراح أو طبيب الاسنان ، لا بد له أن يجري لنفسه عملية حقيقته الحميمة ، فاذا بقيت في داخله ، أصبحت قاتلة كالخراج ، واستئصالها بالكتابة ، واشاعتها في

الجمهور بالقراءة يستطيعان وحدهما أن ينتزعا منها بعض خبثها ، ان السرطان اذا نشر شفي نصف شفاء على الأقل في ذهن المريض ، صحيح أنه سيموت به على أي حال ، ولكنه سيموت وهو عارف ، اذن من غير رعب ، ان العملية الجراحية تستبعد التمثيل والتفخيم والزخارف ·

والانسان في الحياة انما هو الفكرة التي كونها ويكونها عن الحياة فان ما يسمى حقيقياً بالنسبة للفرد :

« ان ما يسمى « حقيقياً بالنسبة لفرد ، هو هذه الحقبة من حياته المتطابقة مع الفكرة التي كونها عن الحياة ، حين يحس حياته ترتفع وتتساوى ، ذات لحظة مع جوهره الحميمي ، تنتزع نفسها من نفسها » ·

والشقاء برأي دوبريه انما يعني :

« ان الشقاء يعني المألوف في الحياة ، هو أن يجد المرء نفسه مرتبكاً مع الخيالي ان نقص الكينونة أو قدرة التحرك = شقاء على طريقة سبينوزا ··

والنهار بالنسبة لدوبريه هو الآخرين فهم يضيئونك من أمام ، وما أن يمضوا ، حتى يكون الليل ، وحين يعودون ، ينفتح الباب ، ويعود النهار ··

والكلمة لهم :

« ان الكلمة لهم ، ولك أنت الهذر والحشو ··

ولكن من هم أولئك الذين لهم الكلمة في عالم دوبريه ·· انهم :

« ان الكلمة لهم هم خدم المطاعم ، مراقبي الباصات ، المتسكعين ، المارة ، جيران الطعام ، الأصدقاء المهاجرين المجهولين ، الصحفيين ، أطفال حديقةاللكسمبورغ عمال المرفأ القديم ، نساء ضائعات وعاملات ، مناضلين غفل الأسماء ، وجوه تلمع في الليل ، اخوة ماضيين ومقبلين ، رفاق وأصدقاء ··

ويختم دوبريه كتابه ، مذكراته بالايمان بالكلمة ودورها وفاعليتهاوقدسيتها:

« ليس ثمة من كلمة لا تفتح باباً أو قلباً أو لغزا ، ذلك أن القلوب والألغاز مصنوعة هي بالذات من الكلمات مجمعة في نظام ما ، ومن هنا كانت الاقتباسات

والتكييفات الاعجازية ، والقراءات الاختيارية التي تشد المعجم ، في لغة ، الى جوهر الأشياء ٠٠

و د٠ سهيل ادريس الكاتب والروائي والمترجم العربي اللبناني لـه دوره كما هو معروف في ترجمة أعمال ادبية وفكرية عديدة من الفرنسية الى العربيـة ٠٠٠ وهو هنا في هـذا الكتـاب يواصل دوره ويضيف جديداً الى أعماله المترجمة ، ودوره هنـا في ترجمة مذكرات ريجيس دوبريـه هو كما قال ، وكما يرى أن دور المترجم :

« على المترجم ، فيما هو ينقل النص الى لغته ، أن يحافظ حتى على طريقة التعبير لدى المؤلف بكل ما تحتمله هذه الطريقة من خصوصية وفرادة وتميز ، فقد حرصت على الابقاء على كل ما يكتنف النص من غموض أو ابهام ، للقارىء وحده ان يفك أسرارهما ويستجلي خفاياهما ، ان المترجم ناقل نص وليس مفسره ٠

عصام محفوظ ولويس أراغون ٠٠ الشاعر والقضية

يرسم عصام محفوظ الكاتب والشاعر والمسرحي العربـي اللبناني ، بالكلمة والحوار في كتابه الجديد لويس أراغون الشاعر والقضية ٠٠ ملامح شخصية الشاعر الفرنسي الكبير أراغون ٠٠

ويقول عصام :

« لويس أراغون ، أحد خمسة كتاب أوربيين أحيـاء نقلوا الأدب من عصر الى عصر ، وكما فعل ماركس بالفلسفـة ، نقلوا هـم الأدب من مرحلـة التفسـير والتصوير الى مرحلة التغيير ٠٠

ومن ناحية المشاركة السياسية للعالم النامي في وجه الضراوة الاستعمارية ، يكاد يكون أراغون أهم الكتّاب الذين شاركوا هذا العالم الثالث تطلعاته التحررية: بلدان العالم الثالث بعامة ، والعالم العربي بخاصة ، عبر القضيتين : الجزائريـة

والفلسطينية مسخرا مجلته « الآداب الفرنسية » التي توقفت قبل سنتين لهذه المشاركة ، وكان لهذه المشاركة بعد آخر على الصعيد الأدبي،تمثل في كتاب استوحى اراغون موضوعه من التراث العربي الاسلامي وهي ملحمة « مجنون السا » ١٩٦٣ التي شهدتها بعلبك ، خلال برنامجها العالمي لصيف ١٩٧٤ عرضاً مستوحى من نصها ، النص المبني على أروع ما يميز هذا التراث : الكفاح من أجل مثل أعلى مواكب كمحور لأخلاقية المستقبل ·

يضم كتاب عصام محفوظ نص مقابلة أجراها مع أراغون قبل أعوام، ودراسة موسعة عن أراغون في تطوره فمن أراغون والسوريالية الى أراغون والتحول ، الى اراغون والمقاومة واراغون ، والواقعية الاشتراكية ، وأراغون والسا ، ويختتم عصام كتابه عن أراغون بمختارات من شعر ونثر الشاعر الفرنسي الكبير ·

وفي مقابلة عصام مع أراغون :

سألته عن السبب في ايقاف مجلته « الآداب الفرنسية » فأجاب لا مبالياً أنه تعب ، ثم قال :

ألا ترى كم انني عجوز ؟

قلت له : لكنك لا تزال عاملا منتجا ، وأشرت الى روايته الأخيرة « الرواية – المسرح ١٩٧٤ »

فقال انها في التأكيد الأخيرة

ويتحدث المؤلف عن تحول اراغون عن السوريالية فيقول :

« ومهما يكن السبب ، فان هذا السوريالي المتطرف الذي كتب بضعة أعمال مهمة شعرياً ونثرياً في المرحلة السوريالية ، واندفع مع الموجة الرافضة بغية اقامة عالم سعيد في الخيال ، صار بعد العام ١٩٣٠ يؤمن أن العالم السعيد لا يمكن أن يكون مصباً للسعادة الجماعية والحرية الجماعية ، عندما تنتهي الحرب الباردة وتعم الاشتراكية العالم في جو من السلام ·

ويتحدث المؤلف أيضاً عن دور أراغون في المقاومة الفرنسية ضد النازية ويخلص الى القول: وتكاد قصة اراغون أثناء الاحتلال تختصر قصة المقاومة الفرنسية كلها التي برهنت من جديد ، بعد الثورة الروسية ، والثورة الاسبانية في القرن العشرين ان بامكان

الكاتب ان يلعب دورا فعالا في النضال من أجل قضية بلده ، مهما كانت الظروف ، بل ان دور الكاتب يستطيع أن يفوق اي دور ٠

وهي أمثولة تصلح جدا للحركات الثورية في العالم الثالث ٠

ويرى المؤلف في «اراغون والواقعية الاشتراكية » أن أراغون أوضح في كثير من مقالاته خاصة تلك التي جاءت بعد تجربة المقاومة ، مفهومه للواقعية الاشتراكية بعد نحو من نصف قرن على ظهور هذا التحديد الذي استخدمه الكاتب الروسي مكسيم غوركي للمرة الأولى ، وهو حاول ان يجعله بسيطا ومقبولا لدى الفرنسيين بتاكيده على قومية الأدب دون أن يشذ عن جوهر المفهوم الواقعي الاشتراكي الذي تبناه ٠٠

والسا في حياة اراغون هي كما يقول عصام محفوظ :

« السا في حياة اراغون الأدبية ليست امرأة مشوقة وحسب ، بل هي داخلة كما قال اراغون لي في رؤيته للمستقبل الانساني المطموح اليه ، وليس صدفة أن تكون الساتريوليه المرأة الروسية ، المهاجرة الى قلب أوروبا،منعطفاً في حياة أراغون الأدبية ، واستمرارا طبيعيا لها ، أراغون الخارج من السوريالية وقد بلغ الحد الأقصى من الرفض والهدم والسلبية حيث كان الحب بالنسبة اليه هو المأساة ، هو العلاقة المكسورة بين الانسان والعالم ، هو طريق الحلم الفاجع والأمل المسدود ، فاذا بها ، بالسا المرأة ، والسا المناضلة من أجل عالم جديد ، تفجر الحاجزفيتدفق سيل الحب غامرا النفس والعالم ، مساوياً بين حب الذات وحب الانسانية ، بين الخير واللذة ، بين الفرد والجماعة ، بين الانسان ومستقبله ٠٠

ويثبت المؤلف في ختام كتابه ، مختارات من شعر ونثر أراغون بالاضافة الى آخر فقرة من كتاب جديد لأراغون « المسرح الرواية » الـذي يقول عنـه أنه آخر ما سيكتب ٠

وعلى الرغم من قلة عدد صفحات الكتاب ١٣٠ صفحة قطـع صغير ٠٠ فان هذه الصفحات مسكونة بالجهد والشاعرية والاحاطة بعالم أراغون ٠٠ وقد استطاع عصام محفوظ ٠٠ الشاعر ٠٠ أن يقدم كتابا صغيرا جميلا عن أراغون ٠٠ الشاعر والقضية ٠

لــوركـــا ..

أربعون عاماً ونيف مضت على مصرع الشاعر الاسباني الشهيد فديريكو لوركا ، ورغم تلك الأعوام فان ذكراه حية ، ماثلة ، لا تزال ، وحضوره مستمر ، مشع ملء الحركة الثقافية والشعرية في العالم ..

كتب كثيرة صدرت عنه في سنوات ماضية ، ولا ريب أن كتباً أخرى جديدة سوف تصدر عنه في سنوات قادمة .. أعماله ترجمت ، وتترجم باستمرار الى لغات عدة ، وتنشر « الآداب الأجنبية » في عددها هـذا الجزء الأول من مسرحيـة لوركا « دمى الهراوة » .. ومنذ سنوات صدرت عن وزارة الثقافـة والارشاد القومي في قطرنا مجموعة مختارة من أشعار لوركا .. ترجمها الزميل الاستاذ عدنان بغجاتي.

ومؤخرا صدر في بيروت كتاب جديد عن هذا الشاعر الاسباني الشهيـد ، بعنوان « لوركا » . والكتاب من ترجمة وتقديم كميل داغر

ويرى المترجم الاستاذ داغر أن تقديم لوركا للقراء العرب :

.. وتقديم لوركا للقراء العرب ، على جانب كبير من الأهمية فالى جانب كون الشاعر ظاهرة عبقرية فريدة في الأدب الاسباني ، يتمتع شعره ومسرحه برصيد عظيم من الكثافة والجمال والمعاصرة ، رغم السنوات الطويلة التي تفصلنا عنـه ، وبقيمة نضالية بارزة وان لم تتخذ طابع التحريض المباشر ـ ليس هذا في كل حال وظيفة ضرورية وحتمية للعمل الفني ـ الى ذلك كله ، يطلع علينا لوركا كوريث شرعي ولو جزئياً ، لتلك الحضارة العظيمة التي شادها أجدادنا في شبـه الجزيرة الايبرية وما تزال معالمها الى الآن شواهد مجيـدة على نضارة التراث ، وما ديوان الأغاني ، والروما نسيرو جيتانو ، الا تتمة وبعثاً لازدهار الشعر والفنون في العصر الذهبي الذي عرفته الأندلس أبان الحكم العربي » .

ويضم الكتاب دراسات ثلاث حول الشاعر .. اثنتان منها كتبهمـا ناقـدان فرنسيان عرفا لوركا شخصياً ، وعاصرا العاصفة السوداء التـي أودت بحياته ، والناقدان هما أرمان غيبير ، ولـوي بارو ، والى جانب هاتـين الدراستـين دراسة ثالثة كتبها كميل قيصر داغر مترجم الكتاب .

وفي نهاية الكتاب ترجمة لعدد من قصائد الشاعر الاسباني الشهيد ٠٠

ومما يقوله الناقد الفرنسي أرمان غيبير في دراسته عن لوركا :

« ٠٠ أن تكون هذه الوفاة دفعت اسمه الى ذروة المجد ، وأن تكون جملته موضع تبني شرائح قراء لولاها لما تعرفوا اليه أبدا ، فذلك الأمر عديم الأهمية في ذاتـه ، أن ما ينبغي أن يهم ويبقـى انما هو الدرس المثالي المستخلص مـن تلك النهاية ، لا أحد يملك اليوم أن ينكر أن الرماة الذين قتلـوا في فديريكو ينابيـع الحياة والغناء ، أعطوا دون معرفتهم اشارة همجية جديـدة ، عبرهم نعرف الآن أن عالما تتولى فيه القوة الجاهلة السلطات المطلقة ، هو عالم غير قابل للحياة ، ان الفن لا يمكن أن يزهر حيث لا تهيمن الحرية ، وان واجب كـل كائن واع هو الوقوف حاجزا في وجه عقائد الموت والاستعباد ٠

ويتحدث لوي بارو في دراسته عن طفولة لوركـا وأعمالـه الأدبيـة الأولى ، ويحلل عددا من أعمال الشاعر الشهيد ، ويدرس حركة الألوان في شعر الشاعر . ويختم دراسته بالحديث عن مسرح لوركا ٠

ويدرس كميل قيصر داغر ، مترجم الكتاب أدب فديريكو غارسيا لوركا بـين العدمية والثورة مستندا الى عدد كبير من قصائد الشاعر ويرى :

« ان الصراخ المحطم قضبان الزيت والتناغم من أجل الخبز اليومي والزهرة والحنان ، ومن أجل « أن تكتمل مشيئة الأرض المانحة ثمارها للجميع » يسبغ على شعر لوركا الصافي قيمة سياسية نضالية عظيمة تضعه في الخندق الواحد مع جميـع من استشهدوا في مواجهة الطغيان الفاشي والتسلط بكافة تجسداته ، ان المصير الذي انتظره دائما ، والذي كان مفاجأة للكثيرين ، هذا المصير الذي يجمعه اليوم بفكتور جارا ، وبابلو نيرودا ، وهو الذي سيعلـن عاليـاً في يوم ليس بعيدا جـدا « مجيء مملكة السنبلة » ٠

وتبقى أهمية هذا الكتاب الصغير الحجم ١٦٦ صفحة ـ قطع صغير ٠٠ انـه يلقي حفنة ضوء على عالم وابداع لوركا ٠٠ الشاعر الاسباني الشهيد ٠

ناظم حكمت واغنيات المنفى

يقول الشاعر العربي الجزائري مالك حداد :

« ليس مهماً ان يكون المرء من بني الانسان ، ليس ذلك مهماً ابداً ، إما ان يكون انسانيا ، فهذا هو الصعب ، وهذا هو المهم · »

والشاعر التركي ناظم حكمت عاش حياته وهو الى جانب الانسان ، الى جانب الانساني في الانسان ، سلوكاً والتزاماً وأشعاراً وحياة ، وكثيرة هي الكتب التي صدرت في العالم عن هذا الشاعر الذي رحل عن الحياة قبل أعوام عديدة ، وبقي حياً وماثلا في أشعاره وعبر عطاءاته ومواقفه الى جانب الانسان · ومع الشعر الذي لا مكان فيه للوردة والبلبل وضوء القمر بقدر ما فيه من نبض بمحبة الوطن والانسان والقمح والشجر والطفولة ، وكل السواعد التي تبني وتعمل وتناضل من أجل شرف وكرامة الانسان ، ومن أجل الخبز مع الكرامة ··

وقد صدرت مؤخرا في القاهرة مجموعة شعرية جديدة لناظم حكمت بعنوان : « اغنيات المنفى » ترجمة : محمد البخاري ، مراجعة د· حسين مجيب المصري ، منشورات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، ويقول المترجم الاستاذ محمد البخاري :

هذا الديوان كتبه ناظم في السنوات الأولى التي اعقبت خروجه من سجنه الذي امضى به ثلاثة عشر عاماً متصلة ، كان الحنين الى الوطن خلالها يعصف في اعماقه، وقد اسماه « المنفى حرفة شاقة » اشترك هو نفسه مع الكاتب الفرنسي شارل دوبزينسكي في ترجمته الى الفرنسية » ·

ويريد المترجم أن تكون هذه الترجمة :

« تحية حب ووفاء ، لذكرى رجل عاش ومات ، كي تحيا الأجيال الآتية وراءه أفضل مما عاش » ·

وتعكس قصائد المجموعةالحب الكبير والثقة المطلقة بالانسان، ويحض الشاعر فيها على محبة الوطن والانسان والأرض والشجر والطفولة والحياة والمستقبل ، والنضال من أجل حياة أكثر شمساً وعدالة ومحبة ·